الثمرة الكونية

((أسرع من الضوء))

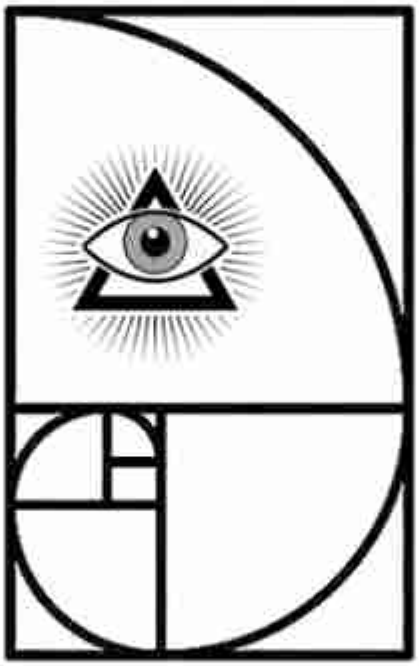

كتاب يقارب معالجات شائعة

د. غفار محمد

الشفرة الكونية ...

الإهداء :

إلى كل باحث عن الحقيقة يأبى

الوقوع في فخ مغالطات الحياة

..

الشفرة الكونية ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة المتوالية الهندسية (أنا و الساعة كهانتين)
- مغالطة الشفرة الكونية (النسبة الإلهية فاي)
- مغالطة الإشباع و بداية الضياع (الكون 25)
- مغالطة العبقرية الكئيبة (ذو العقل يشقى)
- مغالطة تعدد الآلهة (فإنك شمس و الملوك كواكب)
- مغالطة الحياة لا تتكرر (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)
- مغالطة القرآن البدوي (دمى الماتريوشكا)
- مغالطة القرآن بيد فنان (أسرار دافنشي)
- مغالطة الكؤوس الملونة (لا تحكم على الكتاب من غلافه)
- مغالطة علم الغيب (رؤية زرقاء اليمامة و رؤيا نوستراداموس)
- مغالطة خوارزمية الله (الرسم بلونين)
- مغالطة مارد الفانوس (عندما ينقلب السحر على الساحر)
- مغالطة قيمة الجرس برنته (الخَلق سرّ الخَلق)
- مغالطة الصبغي X (ضلع حواء و الفخّ الذهبي)
- مغالطة حقل الألغام (بثماني أضعاف الطلقة)
- مغالطة التطور (للعلم وجه وحيد و للنص الديني أوجه عدة)
- مغالطة فوبيا الإسلام (النص و الإخراج و التمثيل)
- مغالطة أسرع من الضوء (أسطورة التكيونات)
- مغالطة خارج الصندوق (العقدة الغوردية)
- مغالطة العلاقة السامة (وتد دراكولا)
- مغالطة البارانويا (نظريات المؤامرة)
- مغالطة الصدفة (السماء لا تلعب النرد)
- مغالطة العقل و الحاسوب (و فيك انطوى العالم الأكبر)
- مغالطة الأديان صناعة بشرية (الإله إيل و الديانة الميثرائية)

مغالطة المتوالية

الهندسية

(أنا و الساعة كهاتين)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= معلومات عن ملكة مصر **كليوبترا** بعضها غريب للغاية !

= أثرت فضولي ، مثل ماذا ؟

= السؤال التالي على سبيل المثال : أيهما أقرب إلى الفترة التي عاشت فيها كليوبترا ، بناء الأهرامات أم الهبوط على القمر ؟

= و هل هذا يحتاج السؤال ؟! كليوبترا من مصر القديمة التي بنيت فيها الأهرامات أما الهبوط على القمر كما يدعي الأمريكيون فقد تم منذ بضعة عقود !

= إطلاقاً يا صديقي .. كليوبترا عاشت في القرن **1** قبل الميلاد ، أما بناء الأهرامات فتم حوال **2500** قبل الميلاد و الهبوط المزعوم على القمر تم عام **1969** ميلادي أي أنه بحسبة بسيطة أقرب إلى كليوبترا ..

= مذهل بحق !

= بلى ، لكنّ المذهل أكثر أن الحضارة الفرعونية هي من أقدم الحضارات البشرية و عمرها قصير رغم ذلك ، فبناء الأهرامات تم منذ **4500** سنة فقط بحسب العلم .. أي أن عمر البشرية كما نعهدها الآن لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين لا غير !

= معك حق .. حقيقة تفجر العقل .. و تقودنا إلى سؤال آخر

غريب و محيّر .. كم يا ترى مضى من السنون منذ أبي البشر آدم حتى يومنا هذا ؟

= سؤال هام و خطير .. هل يمكن لأي إنسان الإجابة عليه ؟

*****

من رحم هذا النقاش المثير و الغريب بين شابين جامعيين حول ما مضى من سنوات على البشرية فوق كوكب الأرض تولد مغالطتنا الجديدة المثيرة بدورها (**المتوالية الهندسية**) مع سؤالها الخطير و الحساس :

(هل يمكن بالفعل تحديد الفترة الزمنية التي مضت على وجه الأرض منذ هبوط آدم و حواء من الجنة إلى زمننا هذا ، و كيف سنتكهّن بمقدار هذه الفترة ؟)

و الجواب المثير و الغريب عليه و الذي ربما سيفاجئك عزيزي القارئ هو :

(بالفعل ، يمكننا تقدير هذه الفترة ، ليس ذلك فحسب ، بل يمكننا أيضاً التكهن بالفترة الزمنية

المتبقية للحياة البشرية على سطح كوكبنا العزيز الأرض ، و ذلك بناءً على بعض المعلومات التي وصلتنا من الكتب السماوية و من الأحاديث النبوية الشريفة إضافةً إلى بعض التلميحات العلمية المنطقية بدون أدنى شك !)

لتوضيح هذا الجواب الجريء بتفصيل أكثر سنقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة عبر زاويتين ، **علمية و دينية** ، فهيا بنا نقوم بهذا التحدي ..

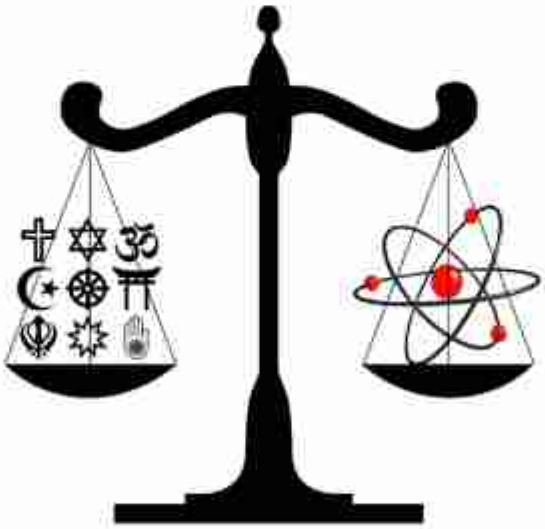

◈ **الزاوية العلمية** : و هي كما تتوقع فقيرة بالأدلة الدامغة و البراهين التي لا تقبل الشك ، فلا وجود لأي وسيلة علمية حتى الآن لتقدير الفترة الزمنية لحياة البشر على الأرض و

بالتحديد منذ بدء **التكليف الإلهي** مع سيدنا آدم .. فهي حقيقة غيبية لا يعلمها إلا الله و بالتالي لا يمكن التكهن بها إلا بالاعتماد على كلامه المنزل في الكتب السماوية أو بكلام رسله و أنبيائه المعصومين الذين ينهلون مباشرة من النبع الإلهي فالعلم ربما يخبرنا بسهولة أن أقدم كائن بشري مشى على قدمين بوجه مسطح هو **هيكل لوسي العظمي** الذي اكتشف شمال شرق أثيوبيا عام **1974** م و الذي يعود لأكثر من **3** ملايين عام، لكنه هيكل يعود لكائن بدائي صنيعة التطور و غير مكلف ، أما منذ متى هبط آدم من الجنة إلى الأرض أو كم تبقى للحياة البشرية على الأرض من وقت فموضوع آخر يصعب التكهّن به علمياً ! .. و لكن ..

هنالك بعض الأدلة العلمية التي توحي بأن ما تبقى من حياة البشرية على سطح الأرض ليس بفترة طويلة ، و سنكتفي منها بذكر أهم ثلاثة :

❁ **تطور العلم و التكنولوجيا عبر متوالية هندسية** ، و المتوالية الهندسية رياضياً هي متوالية تتسع بشكل متسارع ، على سبيل المثال .. **2 ، 4 ، 16 ، 256 ، 65536 ،** .... و هو حال التطور العلمي للبشرية بالفعل .. و لتوضيح هذا المفهوم تعالوا نقارب هذا التطور بالتواريخ .. فمثلاً **الثورة العلمية** بدأت منذ زمن قريب نسبياً في القرن **17** و **الثورة الصناعية** في القرن **18** و **الثورة التكنولوجية** في القرن **20** و **علوم الفلك و الفضاء** منذ عقود قليلة خلت ..

أي أن **العلم الحديث** كما نعرفه اليوم ولد منذ قرنين إلى ثلاثة لا أكثر و كأنه كان في حالة سبات لآلاف السنين ثم بدأ يستيقظ منها تدريجياً ليهرول مسرعاً على درب التطور !

تخيلوا معي قليلاً أن **تلسكوب هابل** الذي أنشئ عام **1990** م و هو أول من أخبرنا بمحتويات الكون خارج نظامنا الشمسي ، في حين كانت معلوماتنا قبله مقتصرة على المجموعة الشمسية و بمحاولات خجولة لا غير .. كذلك الأمر أول **حاسوب رقمي مبرمج** صمم عام **1948** م تحت اسم (**الطفل**) و كان يحتل حيزا كبيراً من المكان و بإمكانيات خجولة بدوره .. في حين بعد عقود قليلة من ذلك أصبح لدينا هواتف محمولة تحمل إمكانيات حاسوبية هائلة مقارنة به .. و غيرها من الأمثلة ..

أي كخلاصة ، تطور العلم منذ بدء الخليقة و حتى اليوم ينحو منحا شبيهاً بمتوالية هندسية تتسع بتسارع رهيب .. مما يمكننا من التكهن ببساطة أن أسرار العلوم الواسعة و الكون الشاسع ممكن أن تتكشف لنا خلال عقود قليلة تالية أيضاً .. مما يعني من زاوية أخرى أن ما تبقى من عمر البشرية ليس بكثير أيضاً قبل أن نتم اكتشافنا للعلوم و الكون ..

❁ **التطور الهائل على الصعيد العسكري و اختراع أسلحة دمار شامل** كفيلة بإنهاء البشرية في غمضة عين كالأسلحة النووية و الهيدروجينية و البيولوجية و غيرها كثير أخطر و

أكثر فتكاً .. مما يعيد إلى الأذهان فكرة معركة الرب الكبرى و الأخيرة (**هرمجدون**) في نهاية الحياة و التي ستفني أغلب البشرية كما أخبرتنا بعض النصوص الدينية القديمة .. فما كان مجرد أساطير و تكهنات خيالية غير قابلة للتنفيذ على أرض الواقع منذ قرون بات قريباً للغاية على عتبات أبواب المستقبل ..

❁ **ثقب الأوزون الخطير و التقلبات المناخية الحادة** التي و بحسب توقعات العلماء ستؤدي خلال وقت قصير قياسي إلى ذوبان الجبال الجليدية في القطبين و ارتفاع منسوب مياه المحيطات لتذهب بدول كاملة ، أو العودة بالأرض إلى عصر جليدي جديد يسبب زوال قارات بكاملها ..

و كخلاصة لزاويتنا الأولى العلمية فإنّ **تطور العلوم كمتوالية هندسية متسارعة و الإمكانيات العسكرية المهولة التي ممكن أن تفني البشرية و تدمر الكوكب و المشاكل المناخية الكارثية التي ممكن أن تنهي الحياة على الأرض** ، كل هذه

العناصر التي لم تكن متوفرة منذ زمن توحي بشكل كبير إلى أن ما تبقى أمامنا من سنوات نعيشها على كوكبنا ليس بكثير ، و الله أعلم !

◈ **الزاوية الدينية** : و هي دسمة للغاية بالدلائل التي تجيب بالفعل على سؤال مغالطتنا حول فترة الحياة البشرية بوضوح و سنقارب هذه الزاوية عبر ثلاث نقاط أيضاً :

❁ محمد رسول الإسلام هو خاتم الأنبياء و المرسلين ، و بالفعل ما من أحدٍ بعده ادعى النبوة ببراهين دامغة ، و هذا بحد ذاته إشارة سماوية إلى أن ما تبقى من حياة البشر ليس بكثير و إلا كان من البديهي أن يستمر إرسال الأنبياء كحاجة و ضرورة ملحة في حال كان أمام البشرية متسع من الوقت قبل القيامة ، و مما يعزز هذه الفرضية هو حديث منسوب للرسول محمد يقول فيه :

(بعثت أنا و الساعة كهاتين)

حيث أشار إلى إصبعين متجاورين في يده في إشارة واضحة

منه إلى أن قيام الساعة ليس ببعيد عن بعثته .. !!

❁ قول الله تعالى في القرآن الكريم :

(وإنّ يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون)

أي أن كل **1000** سنة بشرية تعادل يوماً إلهياً ، بتعبير آخر مضى حتى الآن يومان إلهيان و دخلنا في اليوم الثالث منذ ميلاد السيد المسيح أي **2024** سنة بشرية .. لكن كم يوماً إلهياً مضى منذ هبوط آدم حتى ولادة المسيح ؟

للإجابة على هذا السؤال سنستعين **بتسلسل آشر الزمني** الذي وضع في القرن **17** عبر قراءة دقيقة و مدروسة للعهد القديم و أعمار الأنبياء فيه من قبل **جيمس أشر**، رئيس أساقفة **أرماغ** و رئيس أساقفة كل **أيرلندا** .. حيث توصل آشر إلى أن الفترة الزمنية بين آدم و يسوع بناءً على تلك الأعمار هو تقريباً **4000** سنة أرضية أي **4** أيام إلهية .. بمعنى آخر مضى على البشر منذ أدم حتى اللحظة **6** أيام إلهية كاملة و دخلنا في اليوم السابع ..

❁ النقطة الثالثة و الأخيرة الخطيرة و المثيرة و هي صلب موضوع مغالطتنا :

(هل فترة الحياة البشرية على كوكب الأرض هي أسبوع إلهي أي7000 سنة بشرية ؟)

و للإجابة على هذه النقطة الحساسة من منظور ديني سنعتمد على **3** دلائل :

- **الأول** : حديث منسوب للرسول محمد رواه **عبد الله بن عباس** يقول فيه :

(الدُّنيا جُمعةٌ من جُمَعِ الآخِرةِ، سَبعةُ آلافِ سنةٍ)

و في هذا الحديث إشارة صريحة لفترة الحياة البشرية كما نتوقعها و تنسجم و تتلاءم مع ما سبق من أدلة علمية ودينية .. فلا يخفى على أحدٍ منا ، أنه كان بإمكان الحديث أن يشير إلى أي فترة زمنية أخرى أو أن لا يشير إليها من الأساس ، لا سيما بغياب أي أحاديث أخرى تشير إلى خلاف ذلك ؟!

- **الثاني** : مقولة انتشرت منذ مئات السنين البعض ردها

إلى المتنبئ الفرنسي الشهير **نوستراداموس** و البعض الآخر إلى الرسول **محمد** و آخرين إلى الإمام **علي** و تقول :

(**تؤلف و لا تؤلفان**)

و أغلب الدراسات أشارت إلى أن هذه المقولة تشير إلى التاريخ الهجري الذي تجاوز **1000** سنة بالفعل و تقول أنه لن يؤلف ثانيةً أي أن الحياة ستنتهي في اليوم الإلهي السابع الأخير في الدنيا الذي نعيشه الآن كما نتوقع بالضبط !!

- **الثالث** : **اليوم الآخِر** الذي ذكر في مناسبات كثيرة في القرآن الكريم و يقصد به الحياة بعد الموت ، أي اليوم الإلهي الثامن في العالم الآخر اللانهائي و الذي يتلو أيام الحياة الدنيا الإلهية السبعة ، و يمكننا ببساطة أن نلاحظ أن رقم **8** يشير إلى رمز اللانهاية الأبدي الذي لا ينتهي و لا أيام بعده ، أي اليوم الآخِر بالفعل ! كما قال تعالى في قرآنه الكريم :

(البرَ من آمن بالله و اليوم الآخِر)

بجمع كل هذه الدلائل العلمية و الدينية سوياً يمكننا أن توقع إلى درجة كبيرة بأن ما بقي من أيامنا على هذه الأرض ليس بكثير أي أن الحياة البشرية هي مجرد أيام إلهية معدودات .. و بأن الساعة ربما تقوم بالفعل في اليوم الإلهي السابع الذي نعيشه الآن ، لتصدق جميع الآيات و الأحاديث الدينية التي ذكرناها آنفاً ..

ربما كان رقم **7** ساحراً أكثر مما نتوقع ، كعدد الأيام الإلهية التي خلق فيها الله الكون و عدد السموات و طبقات الأرض و ألوان الطيف الضوئي و مرات الطواف حول الكعبة و عدد عجائب الدنيا و عدد محيطات الأرض و قاراتها .. و اللائحة تطول لتشمل ربما أخيراً عدد الأيام الإلهية في الدنيا قبل الانتقال إلى **اليوم الآخِر الثامن 8 اللانهائي** بعد القيامة و الحساب في الدار الآخرة !

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطة (**المتوالية الهندسية**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الدنيا أبدية و خالدة من مبدأ إلحادي .. أو في أحسن الأحوال لا تزال الساعة بعيدة فيها من قناعة دينية ، لذا أمامنا متسع من الوقت للتوبة و العمل الصالح ..

بل أن نقول :

= ربما كانت الدنيا أقصر مما نتخيل و الساعة تطل برأسها على العتبات .. فيأخذنا الموت و الحساب على حين غرّة ، لذا علينا استثمار كل ثانية منها في الترويج للأخلاق و صلاح الأعمال .. فمنذ قرون كان البشر ينتقلون من منطقة لأخرى على الجمال خلال أشهر طويلة .. أما اليوم فينتقل الإنسان بين قارات العالم خلال ساعات قليلة بالطائرة فالعلم يتطور بمتوالية هندسية تجعل كل عام بدائي مقارنة بالعام الذي يليه و ربما خلال عقود قليلة تمكن الإنسان من اختراع تقنية للانتقال الآلي من مكان لآخر .. فالزمن يمضي بتسارع رهيب في الإنجاز على نحوٍ يوحي إلينا بقوة بأنه يسابق نفسه للبوح بأسراره العلمية و الكونية قبل النهاية و قيام الساعة ..

إنّ كل شيء من حولنا ينطق بحقيقة واقعية إن نظرنا بتمعن و حاكمنا بمنطق بأنّ ما بين بعثة خاتم الأنبياء و المرسلين و بين قيام الساعة فترة زمنية قصيرة كحال المسافة بين إصبعين متجاورين ، فلنستغلها حتى الثمالة بالخير و الحب و

الأعمال الصالحة كي نقف بين أيدي الخالق بضمير راضٍ و مرتاح لا يخشى ما سيذكر في كتابه أمام الملأ ..

مغالطة الشفرة الكونية

(النسبة الإلهية فاي)

= وشم جديد على ساعدك يا فرانك ..؟

= بلى أيها الطبيب جيلبرت ..

= و من هي هذه الحسناء في الوشم ؟ خطيبتك ؟

ضحك المساعد فرانك ..

= يا ليت .. عندها لن أريد شيئاً آخر من هذه الدنيا ..

= و هل هي امرأة مهمّة إلى هذه الدرجة ؟

= بل جميلة إلى هذه الدرجة .. إنها أوليفيا ملكة جمال الكون لهذه السنة ، و قد صنّفت كأجمل امرأة في العصر الحديث ..

= بالفعل ، تكرّر اسمها كثيراً أمامي على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي ..

= لا شكّ في ذلك ، فهي الشغل الشاغل للناس حالياً .. يقال أن وجهها منحوت بيد الإله بعناية فائقة ، فلا تفصيل فيها خاطئ .. و أن في معالمها سحراً خاصّاً يأسر القلوب و يسحر العقول ..

= هذا ما يقال عن كل ملكة جمال جديدة ..

= لا ، لا أيها الطبيب صدقني .. هذه الأنثى مختلفة عن كل نساء العالم .. انتظر قليلاً ..

أخرج فرانك هاتفه و بحث قليلاً عن صورة لها ..

= انظر بعينك أيها الطبيب .. أليست لغزاً محيّراً من الجمال؟

وضع البروفيسور نظاراته على عينيه و تمعّن بذهول في وجهها ..

= أنت محقّ ، جمال استثنائي ..

= عليك أن تتجهّز للمرحلة القادمة فأغلب مراجعاتك سيطلبن ملامح وجه أوليفيا من اليوم وصاعداً ..

= لكنّ المشكلة أنهم لن يتمكنوا من الحصول عليها ..

= و لماذا ؟! أنت أفضل طبيب تجميل في الولاية و لم تعجز عن شيء من قبل ..

= في ذهني فكرة غريبة إن ثبتت صحتها ، فهذا الوجه يستحيل تكراره ..

= أية فكرة ؟

= سأريك ..

= فتح الطبيب حاسوبه ثم حمّل صورة لوجه ملكة الجمال أوليفيا من الشبكة العنكبوتية، بعدها أدخل الصورة إلى برنامج معين و ضغط بعض الأزرار فظهرت أمامه نتيجة جعلته يبتسم بذهول ..

= كما توقعت بالضبط ..

= ماذا ؟

= السرّ الكامن وراء سحر ملامح وجه أوليفيا أنها مخلوقة بالفعل بمعايير الإله الجمالية القصوى ..

= لم أفهم ..

= أنت تعرف النسبة الذهبية في الرياضيات صحيح ؟

= النسبة فاي ..!

= أجل أو النسبة الإلهية السحريّة المقدّسة .. يقال أنّ الكون برمّته مخلوق على أساسها ، و أينما وجدت وجد الكمال ، السحر و الإتقان ..

= و ما علاقة أوليفيا بذلك ؟

= هذا البرنامج قام بقياس النسب المختلفة بين ملامح وجهها (الجبهة ، العينان ، الأنف ، الشفتان ، الخدّان ، الفك و الأذنان) و بينها و بين الوجه ، و أعطى نتيجة مذهلة بأنّ النسبة فاي تحكم ملامح وجه أوليفيا كلّها بدقة غريبة .. إنها الجمال الكامل الذي لا وجود له كما كنّا نعتقد ..

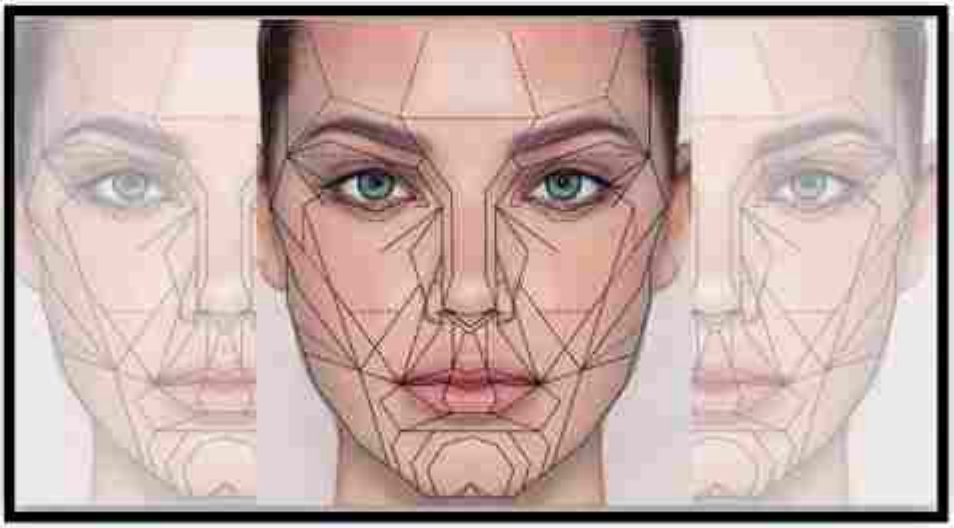

= إذاً فسرّ شهرتها الواسعة و انشغال الناس بها له تفسير رياضي علمي ..!

= بالضبط ..

= و لهذا السبب لن تتمكن أي فتاة من التشبّه بها ..

= بلى ، فبالأساس ملامح وجوه النساء تنحرف عن النسبة فاي بدرجات متفاوتة ، يمكنني كطبيب تجميل أن أقرّبها أكثر منها ، لكنّ التطابق أمر مستحيل ، فلا يمكنني تكبير العينين أو تصغير الأذنين مثلاً ..

= فهمتك الآن .. يبدو أنني كنت محقّاً في وشم أوليفيا على ساعدي ، فهي امرأة استثنائية حرفيّاً يصعب أن يجود الزمان بمثل جمالها..

ابتسم الطبيب جيلبرت ..

= بلا شك ، إنّ عينك ترصد الجمال كرادار ، و أتنبأ لك بمستقبل واعد في اختصاص التجميل ..

*****

من وحي عالم الجمال و الكمال المحكوم بالنسبة الإلهية السحرية فاي تولد مغالطتنا الجديدة الجميلة (**الشِفرة الكونيّة**) لتبصر النور مرتبطةً بالحقيقة بسؤالها الجوهري التالي كحبلٍ سرّي :

((هل حقّاً الكون برمّته مخلوق على أساس نسبة رياضية ثابتة تحكم كل شيء فيه ؟ أم أنّ الكون يدور كيفما اتفق

و فق قوانين متغيرة مع تغير الزمن ؟))

في الحقيقة إنّ جواب هذا السؤال الذي تروّي به مشيمة الحقيقة الأم مغالطتنا بسيط و لكن صادم في نفس الوقت :

((إنّ الله خلق الكون وفق برمجة مميزة و ترك الأمور تجري و تتطور كما برمجها بعد ذلك دون أن يضطر للتدخل أبداً، و هي كحال البرمجة الحاسوبية **تعتمد شفرة خاصة تترجمها إلى خلق مادّي كحال برمجة الحاسوب القائمة على متتاليات الرقمين 0 و 1 و التي تترجم لاحقاً إلى صوت أو فيديو أو صورة ... إلخ و أما الرقم السحري الذي يحكم برمجة الكون فهة ببساطة النسبة الذهبية فاي أو ما تدعى نسبة الإله المقدّسة))**

خلال الصفحات التالية سنحاول تفسير هذا الجواب على نحوٍ أعمق و أدق لنسبر أغوار هذه النسبة الغامضة أكثر كي نتوصّل في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة إلى كوكبة من الحقائق الغريبة و المذهلة ..

إنّ الغموض الذي يكتنف الكون بسبب تشفير ألغازه هو ما يضفي على حياتنا طابع المغامرة ، الإثارة ، التحدّي و التشويق ، فالبشر يعشقون الغموض و حلّ الألغاز لذا منحهم

الله الكون برمته على طبق من أسرار تنتظر منّا حلّها .. و لو بحثنا في ألغاز التاريخ لوجدنا أنّ أكثر اكتشاف غامض حيّر العلماء هو **مخطوطة فوينيش** الغامضة التي تبين بفحصها بالكربون أنّها تعود لأوائل القرن **15** و تنقلت بين أيدي كثيرين حتى وصلت إلى بائع الكتب البولندي في أمريكا **ويلفريد فوينيش** الذي احتفظ بها حتى وفاته ثم منحت **لمكتبة بينيك في جامعة يال الأمريكية** ، و سرّ شهرتها الواسعة أنها كتاب مؤلف من **272** صفحة مكتوبة بلغة غريبة لم يسبق لأحد معرفتها و غزيرة بصور أغرب عن نباتات و حيوانات لم يسبق لأحد مشاهدتها ، هذا الخليط الساحر من شِفرة الكتابة و الصورة أثار حماس مئات الباحثين و الخبراء لمحاولة فك شفرتها على مدار عقود عبثاً ، لكن لا بدّ من أن يأتي يوم و يُحلّ لغزها ليكشف ربما حقائق غريبة للغاية تذهل البشر ..

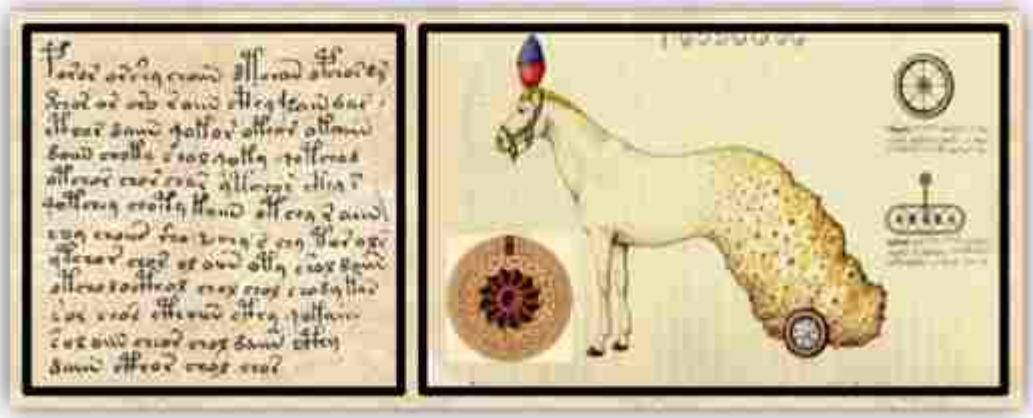

و على غرار مخطوطة فوينيش ، فإننا نجد الغموض الساحر في كل شيء من حنايا هذا الكون مشفّراً بطريقة مبهمة ، و

ما إن يتمكن العلماء من فكّ هذه الشِفرة حتى تتهاطل الاكتشافات المذهلة و الغريبة على البشرية كأمطار استوائية لتوضّح لنا أكثر كيف تسير الأمور داخل أجسامنا و من حولنا بل في الكون كلّه بدقة ، لنوحّد الله بعظمة خلقه و يصدق قوله في الذكر الحكيم :

((لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد))

و عندها تتضح لنا الحقائق التي كانت محجوبة عن أدمغتنا بشفرات غامضة تنتظر الحلّ لقرون ، كحال فك طلاسم الشفرة الجينية في **DNA** خلايا الجسم و ما أعقب ذلك من فهم دقيق لآلية عمل الخلايا و الجسم بشكل عام .. ثم التقنيات الجديدة الحديثة التي نتجت عن ذلك كالعلاج الجيني للأمراض ، و التعديل الجيني لإنتاج مواد نادرة بكميات كبيرة كإنتاج حرير العنكبوت من الماعز بكميات هائلة لصناعة الدروع المضادّة للرصاص ..و غيرها ..

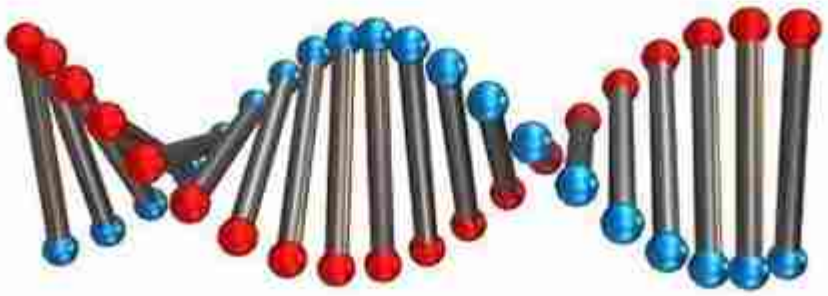

ثم لدينا فك الشفرات السرية عبر التلغراف خلال الحروب

العالمية كشفرة مورس مثلاً و الذي قلب الموازين و أمال الكفّة لمصلحة طرف على الآخر ..

و ربما كانت الشفرة الأكثر شهرة التي تمّ اكتشافها هي شفرة الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة ، عندما اكتشف أحد رجال الاحتلال الفرنسي لمصر (**حجر رشيد**) الشهير الذي مكّن العلماء لأول مرة من فك شفرة الكتابة الهيروغليفية ، مما فتح الأبواب على مصراعيها لمعرفة حقائق مذهلة عن الحضارة الفرعونية بعد ترجمة ما نقشه الفراعنة على الجدران أو كتبوه في البرديات ..

و لا ننسى أيضاً المعادلات النسبية لأينشتاين التي فكت جزءاً

كبيراً من طلاسم الكون الذي نعيش فيه .. أو شفرة برمجة الحواسيب الثنائية **0. 1** و التي تتم برمجة كل شيء حرفيّاً في الحاسوب عبر متواليات هذين الرقمين ..

و القائمة تطول ، فكما قلنا آنفاً لكلّ شيء من حولنا شفرة خاصة كلغز مثير و مشوّق ينتظر منّا الحلّ ، و قد تمكنّا بالفعل من حلّ قسم من هذه الألغاز و بقي قسم آخر عصياً على الحل .. و لا شكّ بأنّ الشفرة الأهم و اللغز الكوني الأكثر غموضاً بين كل هذه الشفرات هي الشفرة التي خلق الله الكون كاملاً وفقها على خلاف المغالطة الشائعة بين الناس بأنّ الكون محكوم بقوانين متغيرة بحسب الظروف أو كما يشطح البعض بآرائه فيقول على نحوٍ منافٍ للمنطق بأنّ الكون عشوائي بلا تنظيم .. و الحقيقة الخطيرة و المهمّة للغاية هنا هي أنّ كثيراً من العلماء يعتقدون بأنّ النسبة الذهبية فاي هي مفتاح هذه الشفرة ، و لهذا الرأي كما سنرى بعد قليل أدلة غزيرة تبرّره ، لذا دعنا الآن نتعرّف أكثر على هذه النسبة عبر ثلاثة محاور شيّقة :

◍ **تعريف النسبة فاي ..**

◍ **كيف تحكم النسبة فاي كل شيء في هذا الكون ؟**

◍ **الأفكار الغريبة و الخطيرة التي تولد من هذه النسبة ..**

و ركّز معي جيداً عزيزي القارئ فما أنت على وشك قراءته سيذهلك بكل تأكيد ..

❶ تعريف النسبة فاي :

هي عبارة عن ثابت رياضي قيمته تقريباً **1.618** نحصل عليه بتقسيم قطعة مستقيمة إلى قسمين **A** و **B** بحيث تكون نسبة الطول الكلي **A + B** إلى القطعة الأطول **A**، مساوياً لنسبة طول القطعة الأطول **A** إلى القطعة الأقصر **B** ..

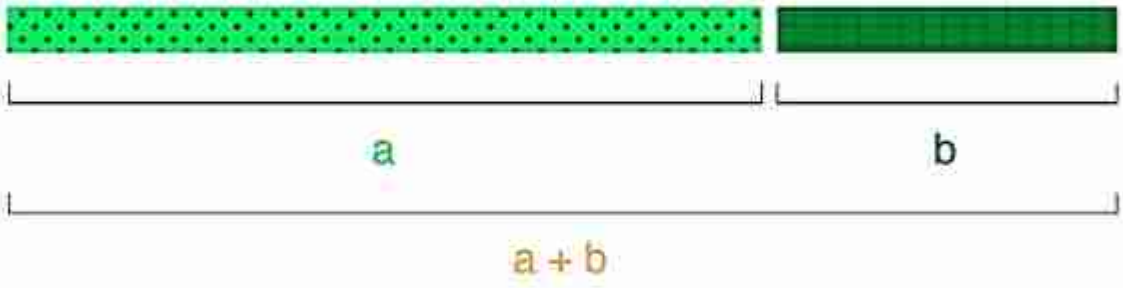

$$\frac{a}{b} = \frac{a+b}{a} = 1.618... = \Phi \text{ (Phi)}$$

و عادةً ما يتمّ تجسيد هذه النسبة المقدّسة بطرقتين شهيرتين :

■ **المستطيل الذهبي** : الذي يقسم إلى مربع مع مستطيل ذهبي آخر الذي يقسم بدوره إلى مربع آخر مع مستطيل

ذهبي جديد و هكذا بحيث تكون النسبة بين هذه الأشكال الهندسية المتتالية هي فاي ..

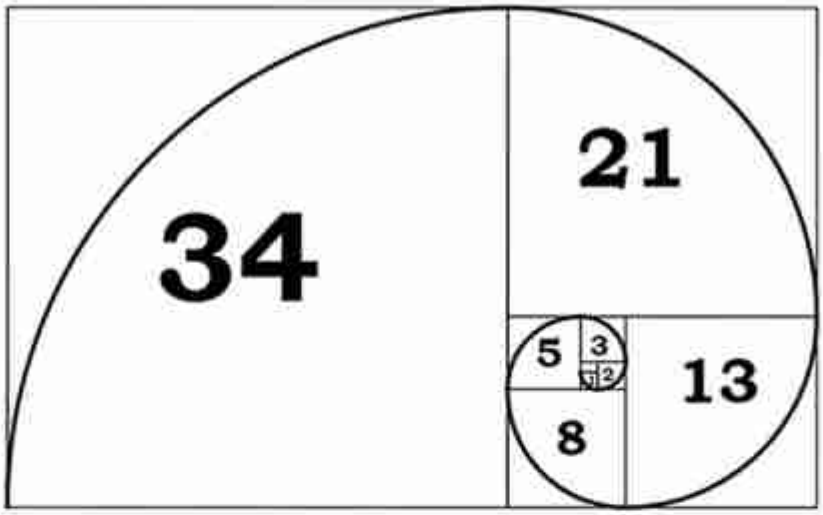

■ **متوالية فيبوناتشي الرياضية** : هي عبارة عن سلسلة من تتابع أرقام مرتبة بحيث كل رقم يكون نتيجة جمع الرقمين السابقين (**0, 1, 1, 2, 3, 5, 8, 13, 21**) ..

و قد وضعها عالم الرياضيات الإيطالي **ليوناردو فيبوناتشي** في القرن **13** و هو نفس العالم الذي أدخل الأرقام العربية إلى الثقافة اللاتينية و ما تزال مستخدمة في الغرب حتى اليوم و تعرف خطأ بأنها الأرقام الأجنبية ، أما الغريب في هذه المتوالية أن قسمة كل رقم فيها على الرقم الذي يسبقه هو النسبة فاي دائماً .. مثلاً **8** تقسيم **5** يساوي **1.618** و هكذا ..

❷ كيف تحكم النسبة فاي كل شيء في هذا الكون ؟

النسبة الذهبية فاي تحكم حرفياً كل شيء في هذا الكون بدءاً

من الذرّة و انتهاءً بالمجرّة .. منها ما تمكّن البشر من كشفه لكنّ ما خفي كان أعظم .. و سنتعرّف الآن على بعض الأمثلة من هذه السيطرة في نواحي الحياة المختلفة على سبيل المثال لا الحصر من باب إيضاح الفكرة لا التفصيل فيها :

◈ **علوم الذرات و الجزيئات** : حيث تبين أنّ النسبية فاي تلعب دوراً محوريّاً فيها دون الخوض في تفاصيل معقّدة أكثر ..

◈ **الطبيعة** : حيث تحكم النسبة فاي كثيراً من الظواهر الطبيعية من حولنا كالأعاصير مثلاً ..

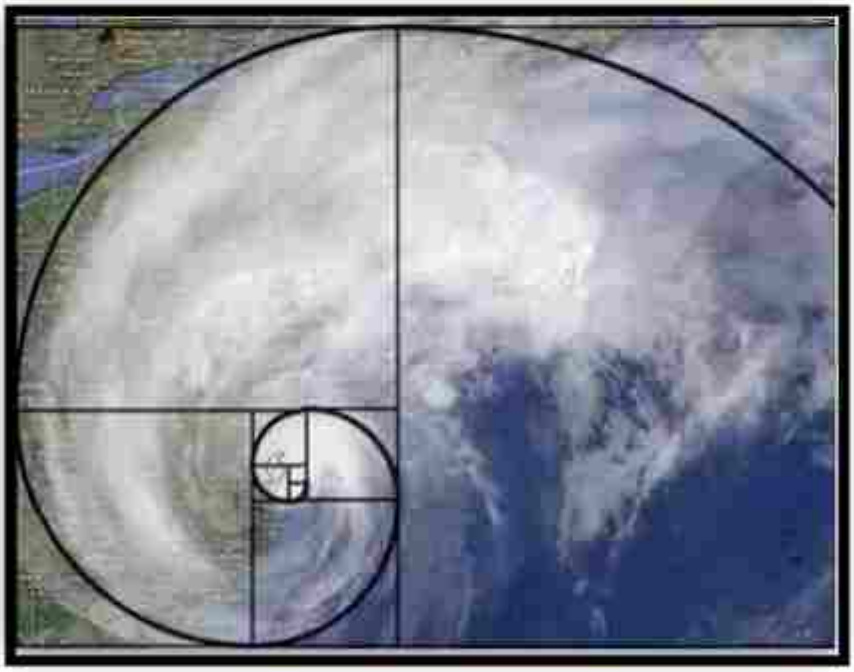

◈ **تشريح الجسد البشري** : حيث نجد النسبة فاي مجدداً في نسب أطوال أجزاء الجسد لبعضها البعض ، و في تركيب صيوان الأذن أو قوقعتها ، و في تركيب الجمجمة و الأسنان

و الرحم و العين ، كذلك في بنية الصبغيات و **DNA** الخلايا و غيرها ..

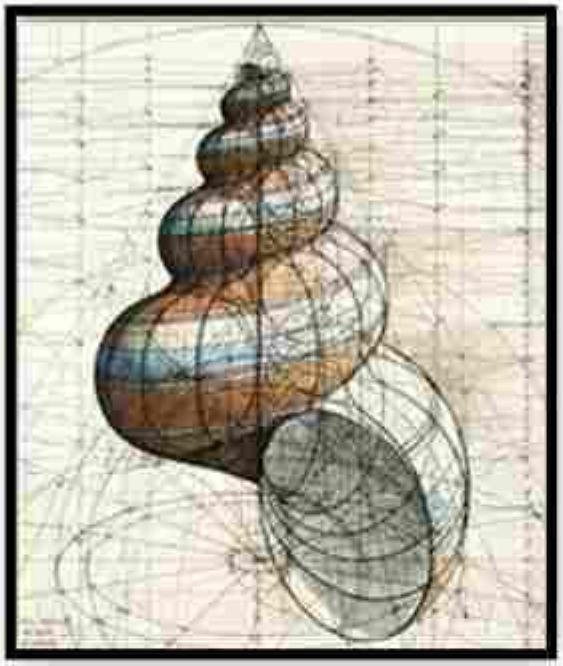

◈ **عالم الحيوان** : حيث نجد أيضاً النسبة فاي في تركيب قوقعة الحلزون أو كائن نوتيلوس أو نجمة البحر أو النمل أو بيوت النحل أو الفراشات ... إلخ

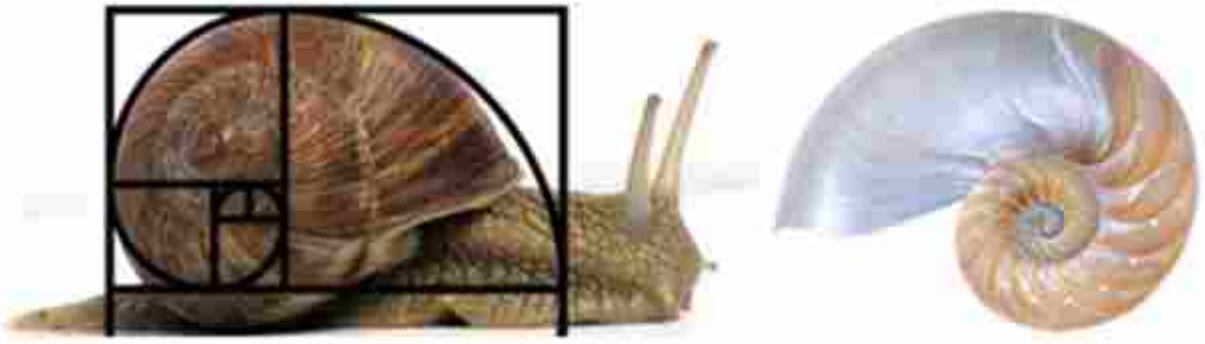

◈ **عالم النبات** : فنجد أنّ عدد بتلات الأزهار تتبع أرقام متوالية فيبوناتشي حصراً ، كذلك حال تراتب بذور زهرة عبّاد الشمس ، و بنية أكواز الصنوبر ، و تفرع غصون

الأشجار و عدد أوراقها .. إلخ

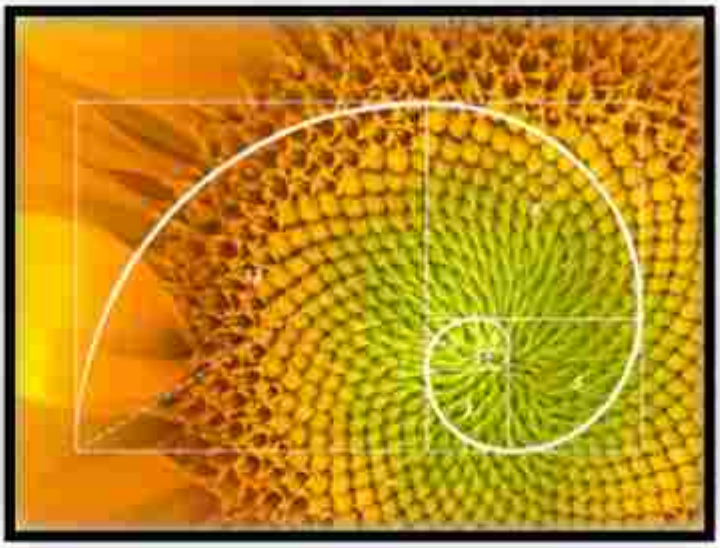

◈ **الهياكل الأثريّة** : فقد بنيت كثير من آثار البشرية اعتماداً على هذه النسبة كحال أهرامات الجيزة في مصر و أبي الهول ، و جامع عقبة بن نافع أقدم جامع في مدينة القيروان ، و المعابد الإغريقية القديمة كحال معبد البارثينون القابع على قمّة هضبة الأكروبوليس في العاصمة اليونانية أثينا ..

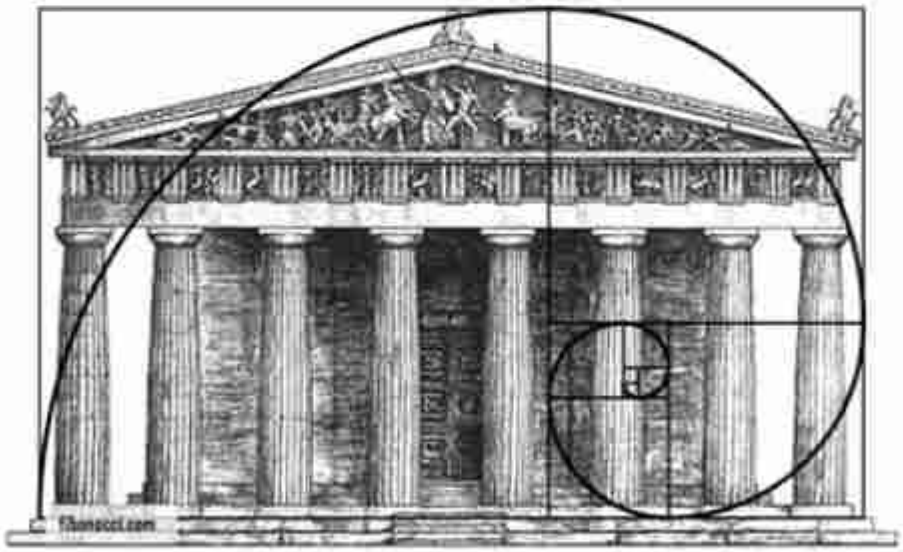

◈ **الأعمال الفنية الشهيرة** : حيث نجد النسبة فاي في لوحة

الموناليزا الشهيرة للفنان ليوناردو دافنشي و في أيقونة الرجل الفيتروني الشهيرة له أيضاً ..

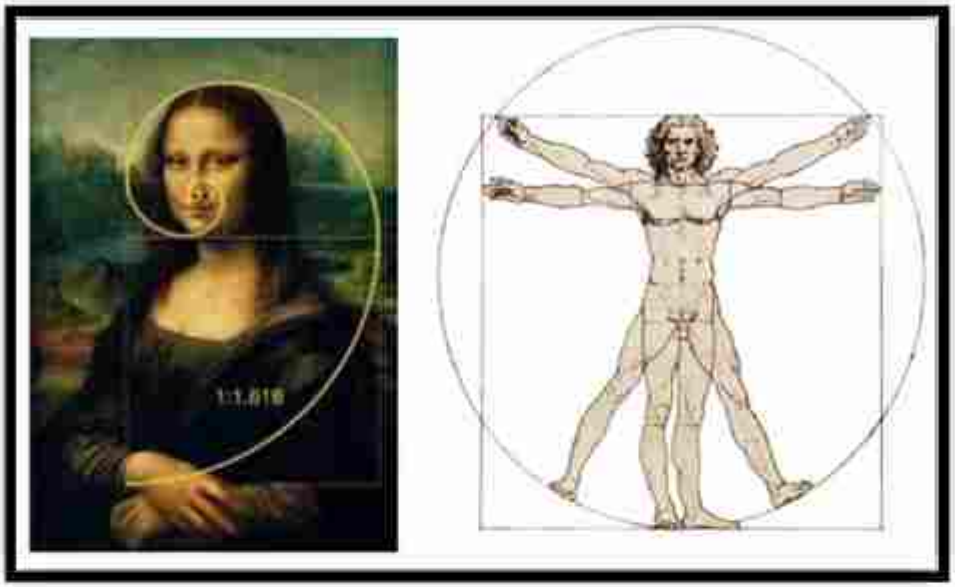

كذلك الحال في سمفونية بيتهوفن الشهيرة الخالدة .. حيث لحّنت على أساس هذه السمفونية بطريقة ساحرة تأسر القلوب و تسحر العقول .. لتصبح أشهر سمفونية في التاريخ ..

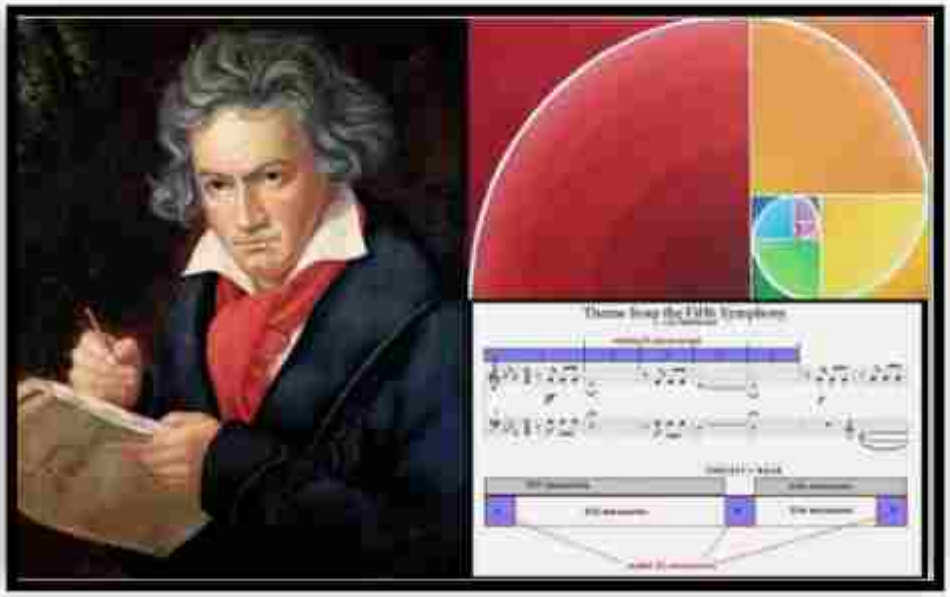

◈ **الفضاء الكوني** : حيث تتبع بينة المجرات بحدّ ذاتها هذه

النسبة بدقّة غريبة ..

3 الأفكار الغريبة و الخطيرة التي تولد من هذه النسبة :

و هذه بدورها قائمة لا تنتهي من الإمكانيات المذهلة التي ستفتح أبوابها أمامنا مشرّعة في حال تعمّقنا أكثر في دراسة هذه النسبة و علاقتها بكل شيء من حولنا و في داخلنا على حدّ سواء ، و سأكتفي بذكر ثلاثة أمثلة هامّة للغاية كي أوضّح خطورة فك شفرة هذه النسبة بشكل كامل في المستقبل القادم :

- تحديد عدد المجرات و الأجرام السماوية في الكون بدقّة ، و رسم حدود الحيّز الذي يتوسع في الكون اعتماداً على

هذه النسبة و متوالية فيبوناتشي التابعة لها ..

❁ كشف ألغاز القرآن الكريم المستترة حتى الآن من حيث عدد السور و الآيات و الكلمات و الأحرف ، و الكلمات الغريبة فيه كحال (كهيعص ، ألم ، ألر) و غيرها ..

❁ تحديد موعد يوم القيامة من باب التنبؤ و الاحتمال بناءً على هذه النسبة أيضاً ، و كتفسير مبسط على هذه النقطة ، لنفكر قليلاً ، لماذا جعل الله ميلاد السيد المسيح حدثاً هاماً في تاريخ البشرية دون غيره من الأنبياء .. في مقاربتنا لمغالطة سابقة بعنوان (**المتوالية الهندسية**)

قلنا بأن عدد السنوات بين أبي الأنبياء آدم و السيد المسيح هو **4000** سنة تقريباً .. فإذا افترضنا بأنّ المدة الزمنية بين آدم و قيام الساعة هو كقطعة مستقيمة تقيس **X** و آمنا بأنّ ميلاد السيد المسيح هام لأنه يأتي في نقطة من هذه القطعة تحقق النسبة الذهبية فاي فيمكننا بحسبة بسيطة أن نستنتج أن عدد السنوات من ميلاد السيد المسيح إلى قيام الساعة يحسب عن طريق تحديد قيمة **X** بالطريقة التالية $\mathbf{X = 4000 \times 1.618 =}$ **6472** سنة (لأن نسبة طول القطعة الكلية **X** و هو عمر الحياة البشرية على طول القطعة الكبرى منها و هو الفترة من آدم إلى السيد المسيح أي **4000** سنة يساوي النسبة الذهبية فاي **1.618** كما افترضنا) و هذا ينسجم مع ما

توصلنا إليه في مغالطة المتوالية الهندسية بأننا الآن في اليوم الإلهي السابع من نزول آدم إلى الأرض و بأن الحياة الدنيا جمعة من جمع الآخرة حوالي **7000** سنة أرضية .. و بالتالي يكون تاريخ قيام الساعة المقدّر هو **6472 – 4000 = 2472** من ميلاد السيد المسيح ، و الله أعلم ، لكنني على قناعة تامة بأنّ النسبة الإلهية فاي تحمل في شفرتها ألغازاً ضخمة و خطيرة للغاية من هذا القبيل .. و يكفينا شرف المحاولة و الافتراض .. و لقد شرّع البارئ لخلقه محاولة تحديد موعد القيامة بقوله الحكيم :

((إن السّاعة آتيةٌ أكاد أخفيها))

و في هذا إشارة صريحة إلى إمكانية الإنسان المجتهد من فك شِفرتها الغامضة و تحديد موعدها المخفيّ عن عيوننا ..

يتوجب علينا أخيراً التنويه إلى فكرة هامة ، و هي أن كثيرين يشككون بأهمية النسبة فاي بحجة أنّ أموراً كثيرة في الحياة لا تتبع متوالية فيبوناتشي و هذه النسبة ، لكنّ الحقيقة هي أنّ جهلنا الدقيق بطريقة سيطرتها على الكون لا ينفي أهميتها و حقيقتها كما حللنا خلال الصفحات السابقة ، فالقصور هو قصور معرفتنا و ليس قصور تلك النسبة .. فمثلاً عدد الكترونات الذرات يزداد واحداً بين عنصر و آخر بدءاً من ذرة الهيدروجين أي أنه لا يتبع متوالية فيبوناتشي ، لكن قد يثبت العلم لاحقاً بأنّ كل مجموعة متماثلة

بالخصائص من هذه العناصر تتبع النسبة فاي و متواليتها بطريقة ما.. و هكذا ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الغريبة الهامّة الجديدة (**الشِفرة الكونية**) من المنطقي بعد الآن ألا نقول :

= الكون عشوائي تحكمه الصدفة أو أنه محكوم بقوانين تتغير من زمن لآخر تبعاً للظروف الراهنة ..

بل أن نقول :

= الكون مبرمج كما نبرمج الحاسوب ، خلقه الله وفق شِفرة خاصة تحكم سيره من بداية الخلق حتى قيام الساعة دون أن يضطر للتدخل بعد ذلك .. و لا ندري لعلّ النسبة الذهبية فاي و متواليتها فيبوناتشي التي تبين لنا بأنها تتغلغل في أدق تفاصيل الكون من الذرّة إلى المجرّة هي حجر الزاوية في فك هذه الشِفرة الكونية على نحوٍ يمكننا من اكتشافات مذهلة و خطيرة كتحديد موعد القيامة مثلاً أو حدود الحيّز الذي يتسع فيه الكون أو غيرها من الأسرار المحتجبة عنّا حتى الآن ..

الرياضيات هي أمّ العلوم ، و الكون الذي نعيش فيه أشبه بمنظومة رقمية عملاقة تجري وفق قوانين ثابتة و بناءً على أسس راسخة لا تتزحزح .. و الله يخاطب خلقه فيها و

يروي لهم تفاصيل الحياة من ماضٍ ، حاضر و مستقبل بلغة نجهل تفسيرها أو فك شفرتها حتى اللحظة ، و أنا على ثقة تامّة بأنّ البشر سيصلون إلى يوم سيكتشفون فيه حجر رشيد الخاص بهذه اللغة كحدث ثوري عظيم يمكننا من فك شِفرة البرمجة الكونية و قراءة طلاسم الكون المحيّرة ، فنفهم لغة الإله و نتعرّف على قصة خلقه للكون و أسراره الدفينة فيه ، و لديّ حدس غريب بأنّ النسبة الإلهية المقدسة فاي هي حجر الزاوية هذا ..

مغالطة الإشباع و بداية الضياع

(الكون 25)

= أهلاً بك صديقي ، كيف هي أمورك ؟

= الحمد لله ، و أنت ؟

= جيدة .. كيف حال الزوجة و الأبناء ؟

= بخير و صحة جيدة ، لكن أولادي تالة و فارس يتعباننني بحق ..

= خير ؟!

= يتذمران على الدوام و تحصيلهم الدراسي غير مرضٍ مقارنة بأقرانهم رغم أنني أوفر لهم كل شيء .. لا يحتاجان أو يطلبان شيئاً إلا أمنته لهم في نفس اليوم .. !

= أمر مؤسف .. لكن اعذرني يا صديقي أن أقول لك بأنّ الحق عليك في المقام الأول ..

= عليّ أنا !!

= أجل .. فأكبر خطأ وقعت فيه هو توفير كل شيء يطلبانه لهما ..

= لم أفهم .. كيف يمكن لذلك أن يكون خطأً .. أنا ألعب دور الأب المثالي لهما ؟!

= المثالية ليست بتأمين كل شيء .. بل بتعليمهما قيمة كل شيء كي يقدراه حق قدره و يحافظا عليه ..

*****

من بين ضلوع هذا الحوار الذي اختبره أغلبنا في حيواتنا بطريقة أو بأخرى ، بين صديقين يتذمر أحدهما من سلوك أبنائه غير المُرضي رغم تأمين كل شيء لهما على نحوٍ غير عقلاني أو منطقي ، ينبض قلب مغالطتنا الجديدة (**الكون 25**) بالحيرة و الدهشة، فيحاك سؤالها على نول الحقيقة كالتالي :

(هل تأمين كل شيء للإنسان حرفياً ، بحيث لا يعرف طعم الحاجة في حياته يؤدي بشكل منطقي إلى سلوك إيجابي مقابل يحسّن نواحي حياته ، أم أنّ هنالك مسار آخر للأمور ؟)

الجواب الوجيز المبدئي هو و على نحوٍ قد يفاجئ الكثيرين :

(للأسف ، كلما عاش الإنسان في عالم مثاليّ لا يحتاج فيه شيئاً شذّ سلوكه أكثر و فقد كثيراً من إنسانيته و معاييره الأخلاقية)

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟

يبدو الجواب للوهلة الأولى غير منطقي ، فالإنسان كلما تحسنت نوعية حياته يفترض أن يزيد إنتاجه و تتفاقم سعادته ، أعلم ذلك ، لكنني سأحاول توضيح هذا الجواب أكثر لك عزيزي القارئ عبر الصفحات التالية ، و سأستهل مقاربة المغالطة بأن أروي لك قصة مقتضبة لكنها مفعمة بالعبر على نحوٍ لا أنكر بأنه مخيف و خطير إلى حدّ ما أيضاً ، حكاية عن تجربة سلوكية نفسية غريبة و فريدة من نوعها أجراها عالم الأخلاق الأمريكي (**جون كالهن**) عام **1986** م ، و تدعى تجربة (**الكون 25**)..

فقد أنشأ جون ما يعتبر مدينة فاضلة للفئران في مختبره ، فيها رزقٌ دائم و أمانٌ مستمر و مطلق، ثم وضع فيها أربعة فئران، اثنين ذكور و اثنين إناث ، و تركهم بعدها ليعيشوا و يتكاثروا كل **55** يوم و هو يراقبهم و يدرس سلوكهم و يسجله حتى بلغ عددهم حوالي **600** فأراً، فما الذي حدث خلال تلك التجربة بحسب رأيك عزيزي القارئ ؟

جوابك على الأرجح يفترض بأن الفئران عاشوا حياةً سعيدةً في مجتمع مثالي مؤمن فيه كل شيء بلا مسؤوليات أو حاجات أو هموم أو مخاوف !

لكن الصادم في التجربة أن ما حدث في الحقيقة هو العكس تماماً ، فمع قدوم الأجيال الجديدة من الفئران إلى الحياة و التي ترعرعت في عالم متوفر فيه كل شيء بدأت الأمور

التالية بالتفشّي :

1. **العدائية من الفئران تجاه بعضها البعض ..**
2. **الأنانية المفرطة خاصة عند الذكور و تخليها عن أزواجها و أولادها ..**
3. **قتل الأمهات لأطفالها ..**
4. **سلوكيات اجتماعية و جنسية غير طبيعية من قبل كلي الجنسين ..**

نتائج غريبة و عجيبة تخالف المنطق و التوقعات ، أليس كذلك ؟!

استمرت الأمور هكذا بتراجع أعداد الفئران حتى بقى فأر وحيد بعد عدة سنوات ليموت أخيراً فتنتهي معه تلك التجربة الغامضة و المحيرة و تنتهي أيضاً الأحلام بإقامة اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة كتجربة على مجتمع الفئران ..

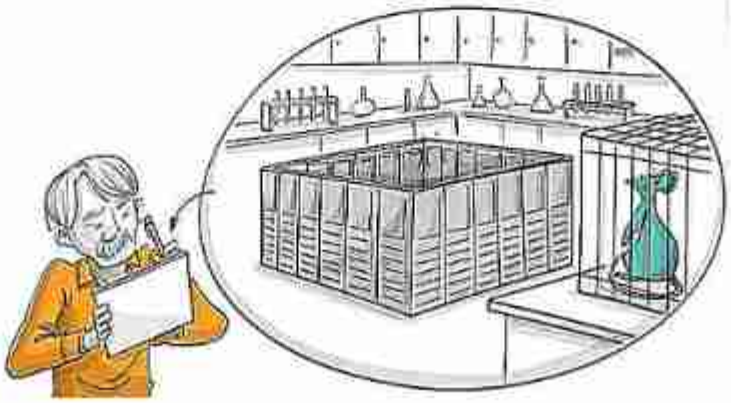

لكن .. لماذا حدث ذلك من وجهة نظر العالم جون العلمية ؟

في الواقع العالم جون لم يفسر النتائج بل وصفها فحسب فالعلم بحد ذاته لا يستطيع تفسير تلك التجربة لأن نتائجها لا تعتمد على أسس مادية ملموسة بل أنها تسير بعكس اتجاه التوقع العقلاني المنطقي ، لكننا نجد الجواب الشافي عن أسئلتنا عند الدين و الروحانيات هذه المرة ..

في الحقيقة يمكن تفسير تلك النتائج ببساطة شديدة عبر جملة واحدة فحسب :

(الإشباع و بداية الضياع)

و ترجمة هذه العبارة أنه بعد التعود على النعم لفترة من الزمن تفقد قيمتها في نظر مالكها تدريجياً ليتلو ذلك طور الانحدار عندما يصل الإنسان إلى مرحلة لا يقدر فيها مطلقاً ما بين يديه فيفقده..

و لا غرابة أن ما ينطبق على الحيوان في هذه النقطة ينطبق أيضاً على عالم الإنسان .. فجل الأمر ببساطة أنك يجب أن تجرب الحرمان و الحاجة للشيء أولاً كي تقدر قيمته تماماً فتحافظ عليه و لا تخسره لاحقاً ، أما من يولد في عالم متوفر فيه كل شيء بحيث لا يعرف للحاجة طريقاً سواءً كان إنساناً أو حيواناً (كفئران تلك التجربة) فلن يعي تماماً قيمة النعم ليفقدها عاجلاً أم آجلاً .. فالعملية نفسية بحتة بالمحصلة ..

و من وحي تفسيرنا الروحاني الأخلاقي هذا ، أستعين

بالقرآن الكريم مجدداً لأستشهد بآية أقدرها للغاية تلخص تجربة الكون **25** هذه بمنتهى الروعة و البلاغة و تختصر مفهوم الإشباع بأفضل طريقة ممكنة ..

تنص الآية على :

﴿ و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾

و كما ترى عزيز القارئ كم هي آية مذهلة و معبرة بالفعل ، فالله يعلم ما لا يعلمه البشر و يعرف مصلحتهم أكثر منهم ، إذ يدرك كما يقول بنفسه أن الرزق الشامل للجميع سيؤدي إلى فساد الأخلاق بسبب الوصول إلى الإشباع الخطير الذي ذكرناه آنفاً و بالتالي بداية طور الضياع و فقدان النعم أي تماماً كما جرى مع الفئران في مدينتهم الفاضلة التي أعدها لهم العالم جون و بسط لهم الرزق فيها !! ..

قد يسأل سائل هنا ، لكن لماذا يرزق الله قسماً من البشر الكثير، في حين يقتر رزقه على قسم آخر .. ؟!

سؤال هام ، مشروع و منطقي بلا شك .. تجيب عليه آية قرآنية مذهلة أخرى متممة للآية السابقة يعتدل معها ميزان العدل الإلهي و تتحقق المساواة بين الجميع .. و تقول :

﴿ و تلك الأيام نداولها بين الناس ﴾

أي أن دوام الحال من المحال فمن هو في النور أو اليسر قد يمسي في الظلام أو العسر و من هو في الظلام أو العسر قد يصبح في النور أو اليسر و هكذا كتوالي النهار و الليل في حياتنا و لا يبقى على حاله سوى الله تعالى ، فالحياة دورات من شد و إرخاء .. عسر و يسر و بين هذه الثنائيات يلقننا الله أبلغ المواعظ و أعظم الدروس ..

و يمكننا اختزال كل ما سبق بالجملة التالية المبسطة التي تلخص فلسفة الإشباع و بداية الضياع كاملاً ..

(وفرة النعم تسبب البطر ثم فساد الأخلاق ثم فقدان النعم)

البطر خطيئة لا توازيها خطيئة ، و كارثة حقيقية تعصف بحياة الإنسان ، و نظراً لخطورته و تأثيره السلبي على أخلاقه و إنسانيته نجد الله تعالى يقول في القرآن الكريم :

(و كم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً و كنا نحن الوارثين)

فالبطر ذو نتائج وخيمة تستدعي غضب الله و تأديبه للبشر

كي يعودوا إلى طريق الصواب و تقدير النعم بعيداً عن الإسراف أو التبذير ..

و هذا يفسر بدوره لماذا كان الأنبياء و القديسون زاهدين بالحياة و متقشفين، لأنهم يدركون بأن الغنى و الثراء يفتحان أبواب البطر على مصراعيه مع عواقبه الوخيمة ..

و خير مثال على ذلك هو بوذا الذي عاش أميراً مترفاً في شبابه يملك كل شيء، لكنه هجر كل ذلك لاحقاً و اكتفى بحياة الناسك بحثاً عن الاستنارة و فهم الحياة بصورة دقيقة و عميقة ، حتى أن كلمة بوذا تعني حرفياً :

(المستنير)..

وهنا يظهر مفهوم الصيام و أهميته في حياتنا ، طبعاً المقصود هنا هو الصيام عن كل متع و ملذات الحياة المادية

منها و المعنوية ، و ليس الطعام و الشراب فحسب، فالصيام بحد ذاته شكل مبسط من أشكال اللقاح ضد الإشباع .. إذ أنك بامتناعك عن متع الحياة لفترة من الزمن كما يحدث في الصيام تقدر قيمتها تماماً و كأنك فقدتها بالفعل، فتدرك ما الذي ينجم عن الإسراف أو التبذير بها مما يدفعك إلى احترامها و صونها بأشفار العيون ..

و كما أن للقاح الأولي جرعات معززة و داعمة لاحقاً ، كذلك الصيام يعود سنوياً لتدعم تجاربه بعضها بعضاً مما يرسّخ فكرة احترام النعمة في نفوس الناس ..

و يمكن القول و بكل ثقة بأن الصيام هو أهم أركان الأديان على الإطلاق لأنه إن مورس بوعي و إدراك قد يجنب الإنسان طور السقوط في الحياة عقب الإشباع عندما يعي بنفسه تماما قيمة النعم فيصونها محققاً غاية الإله الأسمى دون أن يحتاج الخالق أن يحرمه منها كي يعي قيمتها بحقّ .. أي أنّ **الصيام هو ترياق التسمم بالإشباع** ..

و في الحقيقة تجربة الكون **25** ليست الأولى من نوعها في التاريخ بل سبقتها بزمن سحيق تجربة مماثلة نعرفها جميعاً

بل أنها طبقت على الإنسان و ليس على الحيوان .. إنها تجربة أدم و حواء بعيد الخلق الأول في الجنة

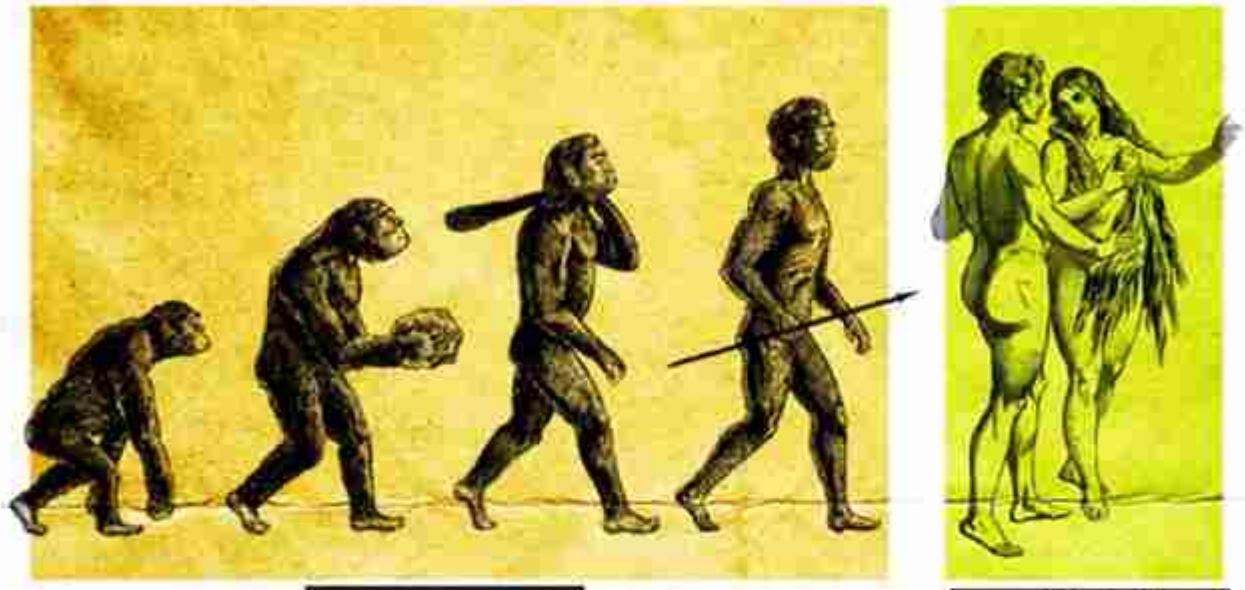

الإنسان غير المكلف

الإنسان المكلف
آدم و حواء

فقد عانيا بدورهما من تجربة الاشباع من نعم الجنة التي خلقا فيها و كانت تحتوي كل شيء حرفياً فلم يعرفا للحاجة طعماً ، فماذا كانت النتيجة ؟

تخليا عن كل تلك النعم و عصيا ربهما عند أول أمر منه لهما بالابتعاد عن شجرة التفاح فبطرا و خسرا تلك النعم ليهبطا إلى الأرض مرتع الحاجة و الحرمان و الدروس الفريدة في تقدير قيمة النعم و التزام النصائح الإلهية النبيلة.. فالقصة ليست قصة تفاحة فحسب بل قصة رمزية تشير إلى العصيان بعد الإشباع من النعم الإلهية .. فلو قال لهما الله لا تقطفا تلك الوردة على سبيل المثال لقطفاها دون تردد .. و هكذا ..

حتى أننا نجد الفكرة ذاتها تتكرر مع أشهر ثلاث تفاحات

أخرى في التاريخ .. **تفاحة الشقاق الذهبية** في الأساطير الإغريقية ، **تفاحة العالم اسحق نيوتن** و **تفاحة الثائر وليام تيل** .. و بعيداً عن صلب موضوعنا سنتطرق إلى هذه القصص باختصار من باب المعرفة و المتعة و التشابه برمزية التفاحة بينها جميعاً ..

فمثلاً قصة تفاحة الشقاق الذهبية التي نقشت عليها إلهة الشقاق والنزاع (إريس) جملة : (**إلى الأجمل**) ثم دحرجتها إلى جبل الأوليمب حيث اجتمع الآلهة هناك في حفل زفاف **تثيس و بيليوس** ؛ فقد كانت إريس غاضبة لأنها لم تدع إلى الحفل فقررت بث الشقاق و النزاع بين الآلهة و تحويل الزفاف إلى صراع..

و بالفعل وقع الخلاف المنشود عندما ادعت كل من **هيرا، وأثينا، وأفروديت** أحقيتها بالتفاحة لكونها الأجمل، ولم يستطيع أحد من الآلهة أن يحسم الخلاف بينهن ، فاختار زيوس كبير الآلهة **باريس الطروادي** للحكم في هذا النزاع كونه معروف برأيه المجرد و المحايد، فحكم بانها من حق أفروديت لأنها الأجمل، فوعدته كهدية له أن تزوجه أجمل نساء العالم في زمنه و كانت هي (**هيلين**) التي تركت زوجها و هربت مع باريس فكانت النتيجة حرب طروادة الشهيرة .. لنجد مجدداً التشابه بين التفاحة و الإغواء و العواقب الوخيمة بعدها فالقضية هنا ليست بالتفاحة نفسها بل

بفكرة الشقاق التي حملتها عبارة (إلى الأجمل) عليها ..

كذلك نجد تفاحة نيوتن التي سقطت أمامه و هو مستند إلى جذع الشجرة فأثارت في دماغه عاصفة من التفكير المنطقي و المحاكمة انتهت باكتشافه لقانون الجاذبية الأرضية ، و لو كانت ثمرة دراق أو برتقال لما تغير الأمر .. فالفكرة هي بسقوط الثمرة للأسفل و ليست بنوعها ..

و أيضاً تفاحة وليام تيل البطل السويسري الذي ثار على حكم الإمبراطورية النمساوية لبلاده في القرن **14** حتى ألقي القبض عليه و عاقبه الحاكم النمساوي بإجباره على التصويب بسهم على تفاحة فوق رأس ابنه، فأخذ تيل سهمين من كنانته وأصاب التفاحة من الضربة الأولى لينقذ ابنه من موت محتم، وعندما سئل تيل لماذا حمل سهمين معاً ؟ أجاب بأنه كان سيرمي الحاكم بالسهم الثاني لو أخطأ التفاحة وأصاب ابنه بالسهم الأول ، و قد ألهمت الحادثة السويسريين بعدها الذين ثاروا حتى انتهى صراعهم مع السلطة باستقلال بلدهم سويسرا، و هنا أيضاً القضية ليست قضية تفاحة .. فلو وضع الحاكم عصفوراً فوق رأس ابن تيل لكانت النتيجة نفسها ، فالقضية هي بوضع حياة ابنه على المحك بوحشية ..

و بالعودة إلى موضوعنا الأساسي حول الإشباع و بداية الضياع ، فهو برمته أشبه بدخول قطار حياة الإنسان في نفق مظلم ، في البداية و قبل دخول النفق يعيش الإنسان في

النور و يتمتع بمحاسنه و رونقه حتى يصل إلى مرحلة الإشباع منه فيصاب بالبطر و يبدأ طور الضياع ليدخل النفق المظلم فيتوه و تعصف به الحيرة و المرارة و الحرمان فيستذكر أيام النور بحنين لا يوصف و يقدره حق قدره معلناً التوبة و الطلاق من حالة الإسراف و التبذير للنعم و سوء تقديره لها في الماضي ، و عندها فقط يخرج قطار حياته من النفق إلى النور مجدداً و إلى الأبد لتبقى تجربة النفق درساً هاماً كبوصلة يستدل بها في قادم السنوات..

و مما يدعم تحليلنا السابق للمغالطة هو دراسة سلوكية نفسية اجتماعية أجراها العلماء حول معدلات الانتحار حول العالم ، فوجدوا أنّ أعلى معدلات الانتحار هي في المجتمعات المتطورة التي يتوفر فيها كل شيء للمواطن كالدول الاسكندنافية .. لماذا ؟ لأنهم بكل بساطة يملكون كل شيء فقد بلغوا بذلك درجة الإشباع فتلقفتهم غياهب الظلمة و الضياع

و قادتهم إلى الإحباط و اليأس بعد فقدان النعم لقيمتها في عيونهم .. !

الله نبيل ، رحيم و كريم .. لديه خزائن السموات و الأرض و لو شاء لمنحنا إياها بغمضة عين دون أن يخسر شيئاً .. لكن من سيخسر في هذه الحالة هو نحن ، عندما نفقد تقديرنا لهذه النعم فنضيع في متاهة الإشباع و الضياع .. لذا و من أجل مصلحتنا فقط لا غير يجعلنا الخالق نعيش الحرمان و الألم و الحاجة في الحياة الدنيا كي نقدر نعم الجنة اللامحدودة في الحياة الآخرة بعد الموت فنصونها بأشفار العيون .. و لدينا في قصة أبينا آدم و أمنا حواء عبرة و مثل بليغ .. لذا نجد الله يصف حياتنا في الدنيا بالقول :

(يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)

فالله لم يعدنا بغير المشقة في الدنيا من خلال دروس الحرمان المتنوعة ، حرمان المال أو الغذاء أو الصحة أو

الأمان أو العائلة ... إلخ ، كي نستحق الراحة و الاستمتاع الأبدي في الآخرة بنعم نعي بعمق و قناعة قيمتها الحقيقية .. أما حلم اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة التي حلم بها أفلاطون ذات يوم فلن تقام أبداً في هذه الحياة لأن فيها هلاكاً للجنس البشري على خطى تجربة (الكون **25**) ، بل أن الله سيحرمنا جميعاً من متع و حاجات متنوعة حتى قيام الساعة لأن الدنيا ليست مكاناً للاستمتاع البحت ، بل لتعلم الدروس الهامة التي سنتسلح بها في حياة الآخرة الباقية بعد الموت ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الهامة و الخطيرة (الكون **25**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الله يملك خزائن السموات و الأرض ، فلماذا يقتر علينا رزقنا و يعذبنا بهذا الشكل ؟

بل أن نقول :

= الله نبيل ، رحيم و كريم ، و جل ما يفعله في الدنيا هو تربيتنا الصالحة و تعليمنا الدروس كخطوة أولى وحيدة قبل أن يغدق علينا بنعمه اللامحدودة في الآخرة لكن على نحوٍ نحافظ فيه على هذه النعم بعيداً عن الإسراف و التبذير ..

و ألا نقول :

= لقد قدمت لأبنائي كل شيء ، فلماذا لا يقابلون ذلك

بالسلوك الحميد و النتائج المرضية ؟

بل أن نقول :

= نحن من يخطئ بحق أبنائنا .. فالتربية المثالية و الصالحة لا تكون بتجنيبهم الحرمان ، بل بتعليمهم قيمة النعمة بطرقنا الخاصة كي يحافظوا عليها فيكون الحصاد في النهاية خيّراً و مناسباً ..

الحرمان و **الرحمان** لا يتشابهان بالحروف فحسب بل بأمور أعمق بكثير .. فالحرمان رحمة إلهية تجعلنا نقدر قيمة الأمور التي حرمتنا السماء منها كي نحافظ عليها لاحقاً عندما يهبنا إياها الله دون مقابل و للأبد .. كما قال نبي الرحمة محمد :

صوموا تصحّوا ..

أي نصحّ جسدياً ، نفسياً و روحياً على حدّ سواء .. فلا أروع من الصيام كحرمان مؤقت من متع الحياة يجعلنا نقدر قيمتها حق قدرها طوال العام التالي حتى نضرب موعداً جديداً مع صيام آخر إلى أن تُحفر فلسفة تقدير النعم في أرواحنا إلى الأبد مع التأثير التراكمي للصيام على امتداد سنوات عمرنا ..

مغالطة العبقرية الكئيبة

(ذو العقل يشقى)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي .. ؟

= مقال غريب عن أذكى شخص في التاريخ ..

= ألبرت أينشتاين ؟

= لا..

= ليوناردو دافنشي ؟

= أخطأت ثانيةً ..

= من إذاً ، تسلا ، ستيفن هوكينغ ..؟

= لا أحد مما ذكرت .. إنه شخص مجهول من قبل أغلب الناس ..

= أذكى شخص في التاريخ و غير مشهور ، كيف ؟ أثرت فضولي بحق ، من هو ؟

= إنه عالم الرياضيات الأمريكي **وليام جيمس سيديس** ذو أعلى نسبة مسجلة في اختبار **IQ** .. و قصته كما ذكرها المقال غريبة للغاية تطرح عشرات الأسئلة ..

= تبدو قصة مثيرة .. هلا شاركتني بخلاصتها..

= بالطبع .. و لد وليام في مدينة نيويورك الأمريكية عام **1898**.. و بزغ نبوغه منذ نعومة أظفاره حيث أتقن **11** لغة في طفولته ، ثم دخل جامعة هارفرد و هو بعمر **11** سنة فقط ليتخرج منها بعمر **16** سنة لا أكثر ..

= مذهل !!

= بلى ، كما أنه ألف بمفرده في مقتبل شبابه **4** أعمال هامة للغاية في الرياضيات ..

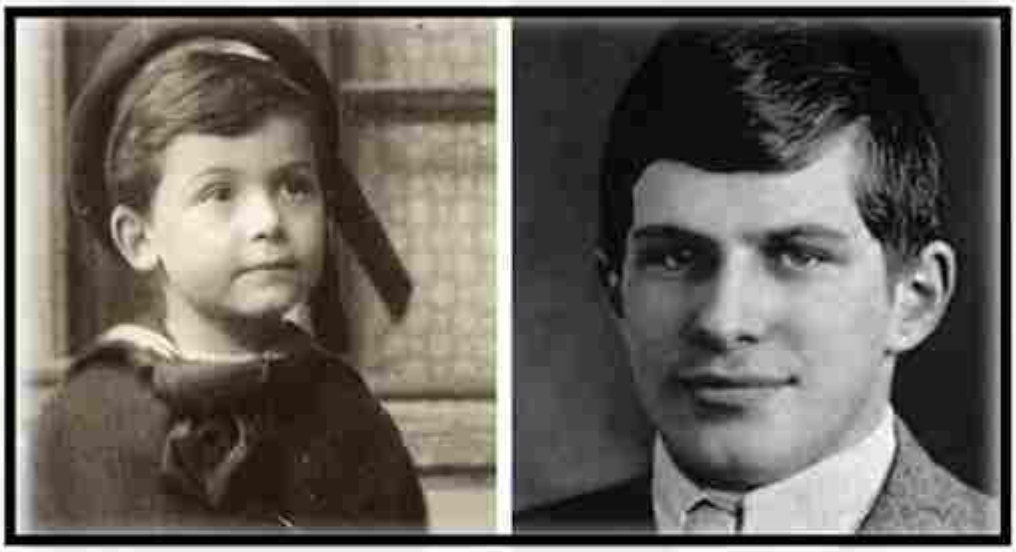

= كل هذا الذكاء .. لماذا لم يشتهر كغيره إذا ؟

= بالضبط ، هذا هو العجيب في قصته .. فقد أخذت حياته انعطافاً حاداً في شبابه عندما اختفى عن أوساط الإعلام فجأة دون أي أثر .. و بعد سنوات و في عام **1924** عندما كان بعمر **26** سنة فقط ، عثر عليه صدفة أحد المراسلين و كان وليام المختفي وقتها يعمل في مهنة متواضعة ككاتب صغير مما أثار دهشة المراسل العارمة فسأله عن سبب اختفائه و تركه للعلم و مزاولة مهنة بسيطة يمكن لأي إنسان عادي أن ينجزها ، فأجابه : (**جلّ ما أريده الآن هو القيام بعمل لا يشكل عبئاً عليّ و يبعدني عن أضواء الإعلام ، إذ لم أعد أتحمل المجتمع أكثر**) و بالفعل تابع حياته بشكل بسيط و

متواضع بعيداً عن العلم و الرياضيات حتى توفي شاباً عام **1944** بسبب نزيف دماغي عن عمر ناهز **46** سنة فقط .. تاركاً عشرات الأسئلة حول شخصيته الغامضة و قراره الغريب الذي غير حياته بشكل جذري..

= قصة مدهشة بالفعل ، لكنني أظن أن السؤال الأهم فيها هو : هل الذكاء و السعادة يرتبطان بعلاقة عكسية بحيث تنقص زيادة أحد الطرفين من الآخر ؟

= محق ، فأغلب عباقرة التاريخ عانوا كما تناهى إلى مسامعنا من الاكتئاب و الإحباط مع تقدمهم بالعمر كتسلا ، دافنشي ، أينشتاين و غيرهم .. فما هو هذا السر الدفين الذي يقف خلف هذه الظاهرة الغريبة ..؟

*****

من نهاية قصة حياة العبقري **وليام جيمس سيديس** الغريبة و الحزينة نبدأ مغالطتنا الجديدة التي تحمل عنواناً يلخص تجربته المريرة على نحو مثالي (**العبقرية الكئيبة**) و سؤالها الهام التالي :

(هل سعادتنا تزداد طرداً مع زيادة منسوب ذكائنا بحيث نتمكن من استغلال كل فرص السعادة من حولنا ، أم أن الذكاء مولد للكآبة بالفعل كما حصل

مع صديقنا وليام و غيره من عباقرة التاريخ ؟!)

و سنوجز الجواب المبدئي كما اعتدنا في مستهل مغالطاتنا بالقول :

(للأسف كلما ازداد ذكاء الإنسان زاد ألمه و حزنه بالفعل . و هنالك أسباب عديدة تكمن خلف هذه الحقيقة المرة في الحياة)

و سنعمل معاً على تحليل أسباب الاكتئاب المصاحب للعبقرية و التي هي أسباب منطقية بلا شك و لا غبار عليها ، و ستقنعك عزيزي القارئ كما أعتقد .. الأسباب في الواقع كثيرة سنأتي على ذكر أهم سبعة منها و أظنها كافية لتوضيح جوهر مغالطتنا بدقة ..

تقدير الذات منخفض:

فالشخص الذكي مقتنع دائما بمحدودية معرفته، وكلما غرف معلومات أكثر من محيط المعرفة أدرك أن ما اكتسبه يعدّ قليلا و لا يذكر ، لذلك غالباً ما يستهين الأذكياء بقدراتهم المعرفية و بالتالي يكون تقديرهم لذواتهم التي يعد الذكاء محورها الرئيسي منخفضاً .. على الجانب الآخر يميل الأشخاص ذوو الذكاء الأقل إلى المبالغة في تقدير قدراتهم

المعرفية و يتباهون بأي معلومة جديدة يحصّلونها و لو عن طريق الصدفة ، بحيث يعوّض ارتفاع احترام الذات هذا لديهم افتقارَهم إلى المعرفة في كثير من الأحيان ..

قلة التعبير العاطفي:

العقل و **القلب** نسبة مئوية تزاحم بعضها البعض فإذا كان العقل يحظى بنسبة **80** % فالقلب **20** % و اذا كان القلب **60** % فالعقل **40** %

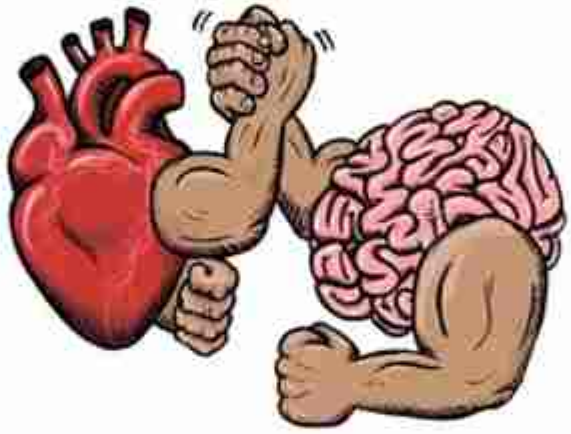

و هكذا مما يجعل العباقرة الذين تفوق نسبة العقل لديهم **90** % أقل ميلاً للتعبير العاطفي و بالتالي فضفضة المشاعر و تبادلها بل يتعاملون بواقعية تامة مع ما يحيط بهم من أشخاص أو أحداث ، و لا يخفى علينا جميعا دور الحب و المشاعر في خلق توازن نفسي في ذواتنا ، مما يجعل أرواح العباقرة مرتعا للاضطرابات النفسية ، و هذا بالضبط هو السبب

الجوهري الكامن خلف مقولة (**تفصل بين العبقرية و**

الجنون شعرة)

و في دراسة علمية خطيرة يجب التوقف عند نتائجها مطولاً اتضح أن الأشخاص الذين لديهم معدل ذكاء **IQ** أعلى من **130** يكونون أكثر ميلًا للإصابة بالأمراض النفسية ..

وأجريت هذه الدراسة بمشاركة **3715** عضواً من (**جمعية منسا**) الدولية لأصحاب الذكاء العالي، و التي تعد أكبر وأقدم جمعية تضم الأفراد الموهوبين والمتفوقين بنسب ذكاء مرتفعة

وذكرت الدراسة أن نسبة لقاء شخص يعاني من **القلق** أثناء مشيك في الشارع أقل من **10%**، بينما تصل هذه النسبة إلى **20%** بين أفراد مجتمع منسا الأميركي ، ليس ذلك فحسب بل تبين أن **26.7%** من المشاركين يعانون من اضطرابات نفسية، مثل الاكتئاب والاضطراب ثنائي القطب، وفي حين يشكل الأشخاص المصابون بمثل هذه الأمراض النفسية نحو **10%** من المجتمع لا أكثر، و نسبة **26.7%** لا يمكن الاستهانة بها.. مما يدعم هذه النقطة من مغالطتنا بقوة ..

سقف توقعات الآخرين بخصوص إنجازات الشخص الذكي مرتفع :

مما يجعله تحت ضغط هائل مستمر ، فالشخص الذكي مطالب دائماً بالتميز و الاختلاف و ما هو مدعاة للثناء عند

الإنسان الأقل ذكاء غير مقبول بالنسبة للشخص الذكي ، مما يصيبه بالتوتر و الإحباط و فقدان الدعم الاجتماعي لنتاجه..

صعوبة إيجاد شريك مناسب يفهم عقليتهم و يقاسمهم الاهتمامات

: فنسبة الأذكياء في المجتمع قليلة للغاية فالغالبية محدودو أو متوسطو الذكاء ، مما يجعل فرصة عثور الأذكياء على شركاء يشبهونهم شحيحة ، و في أغلب الأحيان يعتكفون عن العلاقات العاطفية أو ينخرطون في علاقات مع أشخاص أقل ذكاءً مما يولد الخلافات و المشاكل حتى تنتهي بالطلاق المحتم .. و لنفس السبب نجد الأذكياء أقل ميلاً لتكوين صداقات في حيواتهم .. و من هذا المنطلق نجد مثلاً العبقري نيكولا تسلا الذي يعتبره كثيرون ألمع علماء العصر الحديث لم يتزوج أبداً في حياته كما أنه عشق الانزواء عن المجتمع و الابتعاد عن الناس ..

التفكير المفرط:

فالشخص الذكي يسأل كثيراً و يفكر أكثر في الإجابات و

التفسيرات ، لذا فدماغه لا يرتاح أبدا مماً يجعله متحفزاً و متوتراً على الدوام مع نسبة كورتيزول هائلة في دمائه ، ذلك الهرمون اللئيم مولد كل ما هو سلبي في أجسادنا ، نفوسنا و أرواحنا ، فالدماغ إن لم يحظَ بفترات راحة ، هدوء و استرخاء كافية يُدخل صاحبه في نفق معتم من الألم و القلق و الاكتئاب بلا نهاية واضحة له ، و لو وضعت الشخص الذكي في الجنان بذاتها لبدأ يدرس آلية سير الأحداث فيها متغافلاً عن كم السعادة الهائلة التي تتغلغل في حناياها .. و خير من وصف هذه النقطة بعبقرية ، هو الشاعر **المتنبي** ببيت الشعر الشهير :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

و أخو الجهالة في الشقاوة ينعم

و لهذا السبب بالضبط نجد أن أغلب الفلاسفة و المفكرين عبر التاريخ كانوا ميالين للكآبة بسبب فرط تفكيرهم بالواقع المحيط بهم من أمثال فلاسفة الإغريق **أفلاطون** ، **سقراط** ، **أرسطو** و **هيراقليطس** ثم نجد مبدعي عصر النهضة كحال الفيلسوف الإيطالي **مارسيليو فيسينو** مروراً إلى عصر الثورات بأنواعها المختلفة فنجد **نيتشة** ، **غوته** ، **هيغل** و **سارتر** يروجون لفلسفة الكآبة و التشاؤم ، و في العصر الحديث نجد **كافكا** ، **دوستيفسكي** و **جبران خليل جبران** الذين تعتصر تحفهم الأدبية بالحزن و الكآبة .. و القائمة

تطول للغاية ..

و خير من تناول هذه النقطة بطريقة كوميدية عبقرية هو المسلسل الكرتوني الأمريكي الشهير (**عائلة سيمبسون**) الذي يصور الأب الغبي **هومر** سعيداً على الدوام في حين نجد ابنته **ليزا** الذكية و التواقة للمعرفة حزينة في أغلب الحالات ..

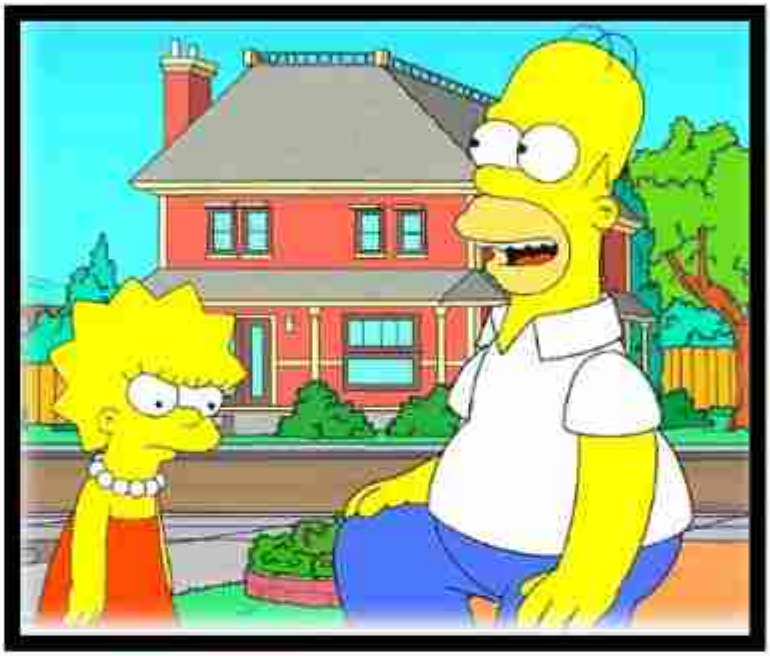

النبذ الاجتماعي للشخص الذكي : كونه يرفض الأخطاء من حوله و يصحح أخطاء الآخرين بشكل متواصل، فالذكاء يعني امتلاكك معرفة أكثر و بالتالي اكتشاف الأخطاء بدقة أكبر ، و لا ألم يفوق ألم رؤية الخطأ يحدث أمام أعيننا و نحن مكتفون و مكممون عن التفوه بضرورة إصلاحه أو إصلاحه بأنفسنا لو تمكنا .. و لا ارتباك أكبر تسببه للبشر من حولك أكثر من الإشارة إلى أخطائهم ، فكل إنسان يعتبر نفسه منزهاً ، معصوماً و فوق النقد ، لذا

عندما يحرجه الشخص الذكي بالإشارة إلى أخطائه فإنه يولد حقداً في أعماقه نحوه يدفعه لقطع علاقته به .. حتى يقبع الأذكياء أخيرا في زاوية المجتمع بمفردهم بلا مؤنس أو صديق ..

و نجد هنا الكاتب الإيرلندي **جوناثان سويفت** يعزز هذه النقطة بقوله :

(عندما تظهر العبقرية الحقيقية في هذا العالم

فعلامتها أن يتآمر كل الأغبياء ضدها)

و هذا التآمر يزرع في النهاية بذرة الشك و البارانويا في نفوس الأذكياء تجاه المحيط من حولهم مما يفاقم المشكلة عبر **أثر الكوبرا** بانزوائهم بأنفسهم عن المجتمع .. لتكون نهايتهم بشعة كنهاية صديقنا وليام سيديس أو تسلا و بقية العباقرة ..

🍎 الوعي المتضخم:

فالوعي هو توأم الألم ، أما اللاوعي أو الجهل بالمقابل فهو مولّد السعادة ، فوعيك لمآسي البشرية ، الظلم من حولك ، التناقضات الاجتماعية و غيرها سيولد في نفسك لا محالة ألماً نفسياً عميقاً .. و بالعكس قلة وعيك بذلك يجعلك لا ترى سوى أسباب السعادة في الحياة فتبتهج..

لدي في الحقيقة نظرية متواضعة بهذا الخصوص ، يطيب لي

تسميتها (**نظرية المحيط**) تشرح هذه النقطة بدقة ، إذ إنّ المحيط أو البحر في الحقيقة يجسدان فكرة الوعي تماماً ، فقرب سطح المحيط نجد الشعاب المرجانية المذهلة ، المخلوقات البحرية المتنوعة و الملونة الباعثة على البهجة و الحبور كما نرى مياه المحيط تتلألأ بنور الشمس على نحو رومانسي حالم و مفائل ..

لكنك كلما تعمقت في المحيط أكثر بدأ كل ذلك بالانحسار و التلاشي حتى نصل في النهاية إلى الأعماق حيث الظلام الدامس و الكائنات القبيحة المشوهة ، الخطيرة و المخيفة كما أثبتت الاكتشافات العلمية .. و على نحو مشابه كلما زاد وعيك و اقتحامك لأعماق و أسرار الحياة اكتشفت فظائع و حقائق مرة تبعث الألم و الاكتئاب في وجدانك ، في حين نجد الإنسان الذي يعيش قرب السطح بتفكير سطحي ضحل يرى فقط بواعث السعادة في الحياة ..

لهذا السبب بالضبط نجد الفيلسوف الروماني **إميل سيوران** يقول بحسرة :

(الوعي لعنة مزمنة ، كارثة مهولة ، إنه منفانا الحقيقي فالجهل وطن و الوعي منفى)

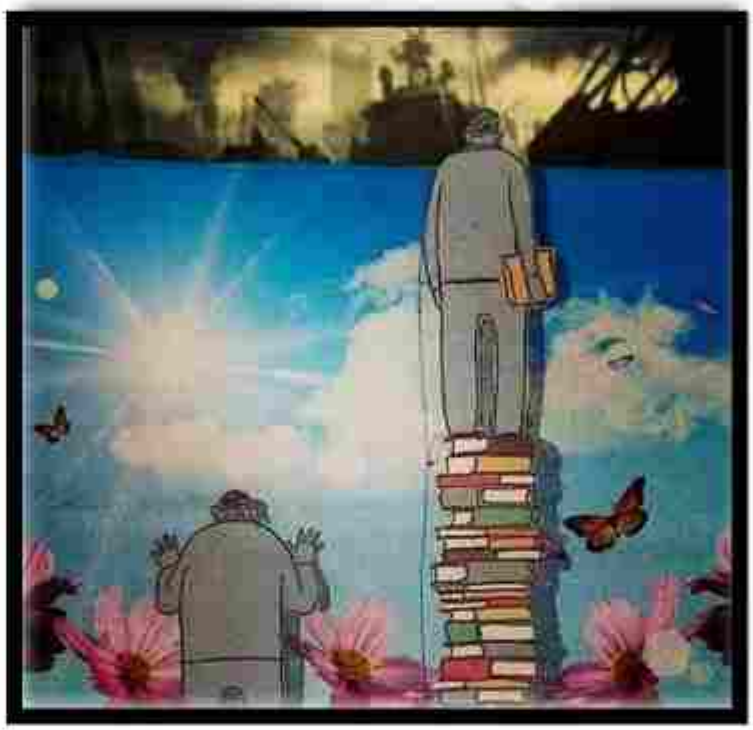

و من هذا المنطق نجد أن الأطفال سعداء دوماً و ضحكاتهم لا تفارق محياهم لأن وعيهم محدود بعد ، فلا يعرفون للألم و الكآبة طريقاً ، بل أنهم يتناسون اللحظات الأليمة أسرع من العداء الجمايكي الشهير **بولت** بنفسه..

و مما يعزز هذه النقطة هو أن بعض المرضى بالمتلازمات الخلقية كما في متلازمة **داون** و **وليامز** ميالون للابتسام على الدوام ، فبسبب محدودية مقدرتهم العقلية يقل الوعي لديهم

فيقل بالتالي منسوب الألم و الحزن في حياتهم ، لذا لا عجب أن يطلق عليهم البشر (**ملائكة تعيش بيننا**) لأنهم ينشرون السعادة و البسمة و التفاؤل في محيطهم ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**العبقرية الكئيبة**) من الأنسب بعد اليوم ألا يقول أغلبنا ..

= يا ليتني أصبح عبقرياً ، لماذا لم يخلق الله جميع البشر أذكياء فوق العادة و هو قادر على كل شيء ؟

بل أن نقول:

= الغالبية الساحقة من البشر يتراوحون بين الذكاء العادي او المتوسط الذي يمنحهم العاطفة الجياشة و الاستمتاع بالحياة و بالتالي السعادة ، أما القلة القليلة من البشر الذين خصهم الخالق بسمة العبقرية كي يكتشفوا ، يخترعوا و يبدعوا فيطوروا بذلك حيوات بقية البشر ، فقد حمّلهم ضرائب حقيقية مقابل ذلك و هي الوعي المتضخم ، التفكير المفرط ، عدم القدرة على التفاهم مع الآخرين و بالتالي النبذ من المجتمع و غيرها من أمور تؤدي بالمحصلة إلى الاكتئاب و الحزن .. فأيهما تفضل أن تكون أيها الإنسان عبقرياً مشهوراً كئيباً أم بذكاء أقل لكن سعيداً ، يتقبلك الآخرون لأنك تشبههم و تقدر بواعث البهجة من حولك ؟

الدنيا لا تعطينا هبات مجانية .. و كلما قدمت لنا نعماً جديدة

سلبتنا مباشرةً نعماً أخرى .. و هذا ضروري لتوازن كفتي ميزان العدل الإلهي .. فلو منح الإله شخصاً كل شيء لظلم البقية لا محالة .. و الاعتدال سيد الكون ، فالتطرف في كل شيء بما فيه الذكاء لعنة حقيقية و لنا في حياة أذكى شخص في التاريخ (**وليام جيمس سيديس**) التي لخصناها في مطلع المغالطة عبرة لكل ذي بصيرة..

احمد الله على كل شيء عزيزي القارئ و احذر مما تتمناه ..

مغالطة تعدد الآلهة

(فإنك شمس والملوك كواكب)

= فلتحرسك الآلهة في سفرك يا بني ..

= الآلهة ؟! ما عهدتك مشركة يا أماه ! ..

= كلا يا بني .. هذا ليس بإشراك .. ففي كل منا روح من الله و عندما تعود إليه تصبح آلهة مصغرة تحوم في فلكه و تدور حول عرشه .. كما يفعل أتباع ديانة الفودو الإفريقية مثلاً حيث يقدسون أرواح الأجداد و يطيعونها بل يؤمنون أنها تثيبهم و تعاقبهم بمباركة الإله الأكبر في عقيدتهم ..

= هكذاً إذاً .. على ما يبدو أن الفراعنة ، الإغريق ، الإسكندنافيين و غيرهم كانوا محقين في تعدد آلهتهم ..

= و من قال لك أنهم أتباع آلهة مختلفة .. ؟

= هل ستقولين لي أنهم موحدون في عقيدتهم أيضاً..

= بالطبع ، و عندما تعود من سفرك سأقص عليك ما يدهشك عن وحدانية الإله عند هؤلاء جميعاً .. هل تظن حقاً أن الله العادل سيحجب نفسه عن ملايين البشر ، على أي أساس سيحاسبهم إذاً ؟

*****

كما سمعت بالضبط عزيزي القارئ فأشهر الأديان التي اشتهرت بتعدد الآلهة كانت تؤمن بإله واحد يحكم كل شيء .. أعلم أنك تشك بذلك و تعتبره ادعاءات أو تخاريف ، و مهمتي خلال الصفحات القادمة هي ببساطة كشف النقاب عن هذه الحقيقة المذهلة كي أزيل آخر ذرة شك في عقلك من

خلال مغالطتنا الجديدة (**تعدد الآلهة**) و سؤالها البديهي :

(هل عبد الإغريق أو الفراعنة أو الإسكندنافيون أو أتباع الفودو و غيرهم .. عدة آلهة ؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها!)

و الجواب المبدئي الذي تتوقعه من تمهيدنا للمغالطة و كما ستقص الأم على ابنها عند عودته من السفر:

(كل الدروب تؤدي إلى روما .. و الإله واحد عند الجميع تقودنا إليه جميع الطرق)

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟ .. تعال معي كي أقص عليك رواية الإله الأوحد عبر التاريخ ..

لكن قبل الخوض في غمار هذا المعترك الديني الفلسفي لا بد من الإشارة إلى مفهوم هام في علم الاقتصاد و الإعلان يطلق عليه اسم (**وهم الاختيار**) عندما تتنافس منتجات مختلفة في السوق على بيع نفسها للزبائن ، دون أن يعلم هؤلاء بأنها منتجات لشركة واحدة ، أي أنهم بالمحصلة يروجون لشركة بعينها فقط ..

هذا بالضبط ما ينطبق على فكرة وحدانية الإله في مواجهة

تعدد الآلهة .. فالله واحد عند جميع الشعوب و الحضارات و الأديان لكنه يتخذ أسماء مختلفة بجوهر واحد عند كل منها.. بحيث يتبع الجميع إلهاً واحداً أحداً في النهاية ..

و سنقوم خلال الصفحات التالية بإثبات وحدانية الإله عند بعض الحضارات الشهيرة على سبيل المثال لا الحصر كي نتوصل بالمحصلة إلى نتيجتنا النهائية ..

◈ أولا، التوحيد عند الإغريق :

على خلاف ما هو سائد بين الناس بأن الحضارة الإغريقية متعددة الآلهة أو مشركة بتعريف الأديان السماوية فإن ذلك غير صحيح إطلاقاً ، فالإغريق آمنوا بوجود إله واحد يحكم جميع آلهتهم و لا كلمة تعلو فوق كلمته و هذا الإله هو **إله القدر** .. مخطط الصدف و راسم الغايات التي ينصاع لها جميع من في الأرض و تحتها في العالم السفلي و فوقها من آلهة في السماء .. و القدر عند الإغريق هو إله أعمى قاسٍ

للضالين بالطبع كي يعودوا لرشدهم، تخضع له الآلهة والبشر وجميع من في السماوات ، الأرض ، البحر والدار الآخرة، فالقدر هو تلك الحتمية التي تجرى بمقتضاها أحداث العالم ولا يستطيع زيوس أقوى الآلهة بنفسه عند الإغريق أن يثني إرادة إله القدر من أجل مصالح الآلهة أو البشر، ويصور القدر في الميثولوجيا الإغريقية جالساً على عرشه و الكرة الأرضية تحت قدميه، ممسكاً بيديه الصندوق الذى يضم مصير البشر.. و الذي يكافئ صندوق باندورا الذي سنأتي على ذكره بعد قليل ..

و ليس الموضوع مقتصراً على وجود إله أوحد عند الإغريق بل يتعدى ذلك إلى أن أغلب الأساطير الإغريقية توصل الإنسان بالمحصلة إلى ذات العبرة و الحكمة التي نجدها في قصص الأديان السماوية فمضمونها واحد لأن منبعها واحد و هو الله تعالى ، و سأثبت لك ذلك عزيزي القارئ بما لا يدع مجالاً لأي شك عبر عدة أمثلة ..

❁ نستهل مقاربة هذه النقطة من آية قرآنيه مذهلة عند المسلمين تقول:

(إنَ السموات و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما)

و التي تشير إلى الأصل المشترك للسماء و الأرض قبل الخلق و هو ما يتماشى مع نظرية الانفجار الكبير علمياً الذي فصل الفراغ عن المادة بعد أن كانا جزءاً واحداً ملتحماً

، كذلك في الميثولوجيا الإغريقية نجد أن **أورانوس** إله السماء أتى بالانفتاق عن **غايا** إلهة الأرض بدون زوج..

❁ ثم لدينا تزاوج غايا التي تمثل الأرض أو الممنوح مع أورانوس الذي يمثل السماء أو المانح بالمطر سر الحياة و الذي أتى منه جميع الآلهة لاحقاً كقصة حواء ممثلة الإناث و آدم ممثل الذكور الذين نتج عن تزاوجهما جميع البشر .. فكما نلاحظ وحدانية الزوج في القصتين ، إذ كان من الممكن مثلاً أن ينشأ الآلهة عند الإغريق عن تزاوج عدة أزواج من الآلهة الأوائل مثلاً .. و في هذا الصدد نشير إلى ولادة أورانوس من غايا بدون أب كقصة العذراء مريم و ابنها المسيح .. ليصبح أورانوس بعدها أب جميع الآلهة أي أنه الآب و الابن بنفس الوقت كما في العقيدة المسيحية..

❁ ننتقل إلى قصة جديدة و هي قصة التهام الإله الجبّار **كرونوس** لجميع أبنائه الآلهة خوفاً على عرشه كقصة فرعون مصر الذي قتل جميع الرضع الذكور حماية لنفسه و حكمه فيأتي زيوس الذي نجا من أبيه بمساعدة أمه **ريا** التي أعطت كرونوس حجراً عوضاً عن زيوس ليبتلعه ..

ثم يقضي زيوس بمساعدة أخوته على كرونوس كقصة النبي موسى الذي نجا من قتل الفرعون و قام بمساعدة أخيه هارون بالقضاء على الفرعون ..

❁ و في نفس السياق نذكر قصة النبي يونس الذي ابتلعه الحوت و نجا في أحشائه لفترة من الزمن قبل أن ينقذه الله منه ، و هي قصة تحاكي ابتلاع كرونوس لأبنائه لفترة أيضاً قبل أن ينقذهم زيوس من أحشائه..

❁ ثم لدينا قصة **هركليس** الشاب الخارق نصف الإله الذي نتج عن تزاوج إله هو زيوس مع أنثى بشرية هي **ألكميني** .. كقصة المسيح أو ابن الله حسب العقيدة المسيحية الذي يحمل الطبيعة البشرية و الإلهية معاً و كما أقدم هركليس على مغامرة من **12** مهمة مستحيلة تشبه المعجزات ، جمع المسيح حوله **12** تلميذاً في جولاته و مغامراته على الأرض و قام بمعجزات حقيقية أمام أعينهم..

❁ قصة أخرى عن **هاديس** إله العالم السفلي الذي فتن **ببيرسفوني** ابنة زيوس و **ديميتر** إلهة الطبيعة و الأراضي المزروعة ، و كانت ابنتها الوحيدة الجميلة التي عجز الفنانون عن تصويرها من جمالها الأخاذ ، فقام هاديس بإخضاعها و إقناعها بالزواج منه .. و هنا نجد قصة النبي سليمان الذي فتن ببلقيس ملكة سبأ الحسناء التي تعالت و تمردت عليه لكنه أخضعها و أقنعها بدعوته..

❁ و هنالك **أطلس** الذي يحمل على كاهله السماء و عبء الكون بأكمله متحملاً الآلام بصبر و ثبات ، و نجد هنا التشابه مع المسيح الذي حمل على كاهله صليبه و خطايا البشر ، وكذلك أيوب الذي عانى الويلات و تقبلها بصبر و تحمل..

❁ ننتقل إلى قصة أخرى مع **دايدالوس** ذي المكانة العالية لكونه مخترعًا عبقريًا، حرفيًا ماهرًا ونحاتًا مشهورًا في موطنه الأم أثينا و ابنه **إيكاروس** الذين سجنهما الملك **مينوس** في قمة برج عالية لخرقهما قوانينه و قوانين الآلهة فاخترع دايدالوس وسيلة للهروب بصنع زوجين من الأجنحة الضخمة كي تتناسب مع وزنيهما، مستخدمًا ريش الطيور الذي يتساقط منها على قمة البرج، وباستخدام أعواد الشمع قام بلصق الريش بعضه ببعض ..

وبعد أن تمكن من الانتهاء من الأجنحة قام بإلباس إيكاروس جناحيه وأخبره محذرًا: (**لا تحلق قريبًا من المحيط يا بني**

حتى لا تبتل الأجنحة، وتشكل ثقلًا عليك فتسقط في المياه غريقاً ، وإياك أن تحلق عالياً بالقرب من الشمس حتى لا تذيب حرارتها الشمع المتواجد على الأجنحة وتتفكك من بعضها فتسقط ميتاً على الأرض) لذلك كان الحل الأمثل حسب توجيهاته هو الطيران على ارتفاعٍ متوسط ..

بعد أن تجهز الرجلان انطلقا من قمة البرج، وكان إيكاروس ووالده دايدالوس أول من تمكنا من الطيران من البشر على الإطلاق ..

ظل دايدالوس يطير بحذر في المنتصف، لكن إيكاروس استحوذ عليه الشعور بنشوة الطيران، وغلب عليه الإحساس بالألوهية فارتفع عالياً، وكان والده يشاهد ارتفاع ابنه مبتعداً عنه ومتجهاً ناحية الشمس فكان فزعاً لا يستطيع تغيير مصير ابنه الوخيم، حتى أذابت حرارة الشمس المرتفعة الشمع من على جناحي إيكاروس، فسقط إيكاروس من السماء ووقع ميتًا بمخالفته وصايا والده ، و لا بد أنك عزيزي القارئ تذكرت هنا قصة النبي نوح الذي أوصى ابنه **كنعان** أو **يام** بحسب المصادر المعروفة بركوب سفينة النجاة معه لينجو بروحه من الطوفان فخالف توصياته و تجاهلها ليغرق صريعاً في مياه الطوفان أمام أعين والده الذي عجز عن تغيير مصيره..

❁ بمناسبة الحديث عن الطوفان و سفينة نجاة النبي نوح نجد أسطورة إغريقية أخرى تتحدث عن ابنة **باندورا** – التي

سنتطرق إليها بعد قليل – و تدعى **بيرا** التي تزوجت من ابن أحد الجبابرة (**بروميثيوس**) و يدعى **ديوكاليون** .. فقد غضبت آلهة الأوليمب من هذا الزواج بسبب خلافها التاريخي مع الجبابرة فأرسلت طوفاناً عظيماً ليغرقهم .. لكن بروميثيوس علم بأمر الطوفان فحذر ابنه و زوجته منه فركبا سفينة ضخمة نجت من الطوفان الذي أغرق البشر ليعيدا بعده تكوين البشرية..

❁ هنالك أيضاً قصص العمالقة في الميثولوجيا الإغريقية التي أكدت الأديان السماوية وجودهم بذكر قوم يأجوج و مأجوج الذين قام الاسكندر الأكبر ذو القرنين بحجزهم خلف سد منيع في آسيا الوسطى و هي رواية مذكورة في جميع الكتب السماوية..

❁ و لدينا قصة الجحيم الذي يحشر فيه الأشرار و الجنة التي تستقبل الأخيار و هو مصطلح مكافئ لعالمي **إليسيون** للصالحين و **تارتاروس** للطالحين في الميثولوجيا الإغريقية .

❁ نختم أخيراً بقصة ناقة النبي صالح التي حذر قومه من عقرها كي لا تلحق بهم لعنة الله و الشرور فلم يستجيبوا له و عقروها فدفعوا الأثمان غاليةً .. نجد هنا قصة مشابهة عن صندوق باندورا و هي أول امرأة بشرية ، أنشأتها **هيفايستوس** بناءً على أوامر من زيوس ومنحتها الآلهة المختلفة بعضًا من أعظم صفاتها وفضائلها ، و جعلت الآلهة باندورا وشقيق بروميثيوس **إبيميثيوس** يلتقيان، وأدى ذلك في النهاية إلى زواجهما .. و في ذات يوم تلقت باندورا

صندوقًا مغلقاً و غامضاً مرسلاً لزوجها مع تحذير ألا تفتحه، تم فيه قفل جميع شرور العالم .. ومع ذلك ، كانت إحدى الهدايا التي تلقاها باندورا هي هدايا الفضول و التمرد.. و ذات يوم آخر ، فتحت المرأة الصندوق لترى ما بداخله ، مما تسبب بخروج كل الشرور من الصندوق وانتشارها في جميع أنحاء العالم ..

أغلقت باندورا الصندوق بفزع لكن بعد فوات الأوان

فالشرور انتشرت، و لم يتبق للبشر سوى شيء وحيد و هو الأمل الذي خرج أيضاً من الصندوق ..

لذلك كرست باندورا نفسها لتقديم الأمل للبشر ، من أجل مساعدتهم على تحمل شرور وتقلبات العالم .. و من هنا أتت عبارة ((**الأمل يولد من رحم الألم**)) .. وهذه القصة تتشابه أيضاً على نحو غريب كما توقع بعضكم مع قصة آدم و حواء و شجرة التفاح التي نهاهما الله عن قطف ثمارها لكن الفضول و التمرد دفعهما لمخالفة الوصية فدفعا الثمن بالخروج من الجنة و النزول إلى الأرض .. و قصة الإغواء

بثمرة التفاح نجدها أيضاً في أسطورة إغريقية أخرى و هي تفاحة الشقاق الذهبية التي تناولناها في مغالطة سابقة و التي نقشت عليها إلهة الشقاق والنزاع ((إريس)) جملة :

((**إلى الأجمل**)) ثم دحرجتها إلى جبل الأوليمب حيث اجتمع الآلهة هناك في حفل زفاف تثيس و بيليوس ؛ فقد كانت إريس غاضبة لأنها لم تدع إلى الحفل فقررت بث الشقاق و النزاع بين الآلهة و تحويل الزفاف إلى صراع..

بالفعل وقع الخلاف المنشود عندما ادعت كل من هيرا، وأثينا، وأفروديت أحقيتها بالتفاحة لكونها الأجمل، ولم يستطيع أحد من الآلهة أن يحسم الخلاف بينهن ، فاختار زيوس كبير الآلهة باريس الطروادي للحكم في هذا النزاع كونه معروف برأيه المجرد و المحايد، فحكم بانها من حق أفروديت لأنها الأجمل، فوعدته كهدية له أن تزوجه أجمل نساء العالم في زمنه و كانت هي ((هيلين)) التي تركت زوجها و هربت مع باريس فكانت النتيجة حرب طروادة الشهيرة .. لنجد مجدداً التشابه بين التفاحة و الإغواء ثم تلته العواقب الوخيمة ..

❁ التشابه الغريب المذهل بين الميثولوجيا الإغريقية و الظواهر الكونية مما يعزز فرضية أن هذه الأساطير من نسج الإله أيضاً.. و في هذا الصدد لدينا ثلاث نقاط مبهرة:

- **النقطة الأولى** و هي الإلهة الأولى التي نشأ منها كل شيء و هي **تشاوس** التي يعني اسمها باللغة الإنجليزية الفوضى و قد كانت بالفعل بالنسبة للإغريق إلهة الفوضى و الفراغ الكوني ، و هذا مذهل بالفعل إذ يصف بدقة حالة الكون الأولى قبل الانفجار الكبير و بعيده من فوضى و فراغ ، و قد وصف الشاعر الإغريقي أوفيديوس تشاوس بقوله:

(إنها القاع الذي لا نهاية لعمقه، و المادة الخام المتفجرة التي لا حياة فيها، و الفضاء القاسم و الفاصل بين السماء و الأرض)

هذا الكلام يفجر العقل حرفياً ، فكيف تمكن الإغريق من التنبؤ بحالة الكون الأولى الفعلية ، فلا يخفى عنكم أنه كان بمقدورهم أن يقولوا أن الكون هو على حاله منذ الأزل ، أو أن عدة آلهة معاً موجودين قبل الخلق تعاونوا على خلق الكون .. أما أن تشير الأساطير الإغريقية إلى أن الكون الأول كان عبارة عن فراغ و فوضى فهو أمر مدهش للغاية

- **النقطة الثانية** تتطرق إلى فكرة ولادة النور من رحم

الظلام ، فكما نعرف في الوسط العلمي بأن الكون في حالته الأولى كان يلفه الظلام من كل جانب قبل أن تولد النجوم و ينبعث الضياء في أرجاء الكون ، و مرة أخرى تذهلنا الميثولوجيا الإغريقية بولادة **هيميرا** إلهة النور من **إيريبوس** إله الظلام و ليس العكس ، فكيف تمكنوا من معرفة الترتيب الصحيح لمجريات الأحداث مجدداً..

- **النقطة الثالثة** و الأخيرة تتطرق إلى الإله **أيروس** أو إله الانجذاب الكوني و هو بحد ذاته اسم غريب و علمي بامتياز يصف تماماً حالة الكون الذي يتوسع بنسب معينة و دقيقة بسبب الانجذاب الكوني سامحاً للحياة بالنشوء و الاستمرار .. و هذا يقودنا إلى بوزون هيغز المكتشف حديثاً و الذي أحدث ضجة هائلة في الوسط العلمي و هو الجزيء الذري المسؤول عن حصول الجزيئات الذرية الأخرى (وبالتالي كل الأجسام في الكون) على الكتلة و بالتالي الجاذبية .. إنّ مجرد تطرق الميثولوجيا الإغريقية إلى مفهوم الانجذاب الكوني كأحد الآلهة الأوائل هو بحد ذاته لغز خطير و محير و لا تفسير واضح أبداً له ..

و بسبب هذا الارتباط الغريب بين الميثولوجيا الإغريقية و بين علوم الفلك و الفضاء سميت أغلب الكواكب و النجوم و المجرات و رحلات الفضاء و المركبات الفضائية على اسم آلهة و أساطير الإغريق تكريماً و تخليداً لهذه الميثولوجيا العريقة و المذهلة كحال كوكب أورانوس ، حزام كويكبات

أستريا ، نجم أوريون ، مجرة إندروميدا و رحلة أبولو الفضائية..

و بختام تحليلنا لوحدانية الإله عند الإغريق يبدو أننا لا نعرف عن الميثولوجيا الإغريقية سوى القليل بعد ، انطلاقاً من التوحيد عندهم مروراً بأساطيرهم المتشابهة على نحو غريب للغاية مع قصص الأنبياء ، انتهاءً بتفسير الظواهر الكونية الغريبة من قبلهم مما يؤكد أن أنامل إله القدر تدخلت فيها لهداية البشر بطرقه الخاصة !!

◈ ثانياً، التوحيد عند الفراعنة :

ننطلق في مقاربة هذه النقطة من مقولة الراهب و الفيلسوف الألماني **مارتن لوثر**:

(الكذبة كرة ثلجية تكبر كلما دحرجتها)

و أرى أنّ من واجبي أن أضع حاجزاً أمام كرة الكذب هذه و منعها من أن تكبر و أن أفتتها أشلاء كغبار منثور في سماء الحقيقة الرحبة من خلال هذه المغالطة المتواضعة ..

و من هذا المنطلق سأبدأ تحليل هذه النقطة من كذبة صغيرة متأصلة و متجذرة في تفكير كثيرٍ منا للأسف الشديد .. كذبة تعلمناها مذ كنا صغاراً و نعتبرها من المسلمات و البديهيات .. منطلقاً من مقولة **ألبرت أينشتاين :**

(أي شخص لا يأخذ على محمل الجد الحقيقة في أمور

صغيرة لا يمكن الوثوق به في أي من الأمور الكبيرة)

ما هذه الكذبة ؟

هي أن العبارة الهيروغليفية التي وجدت في هرم خوفو و التي تقول : (**خنوم خوفو**) تشير إلى الفرعون خوفو نفسه .. و لكن في الحقيقة هذه الكتابة لا تعني هرم خوفو أبداً بل تعني باللغة الهيروغليفية (**الله جلّ جلاله**)..

غريب و مفاجئ أليس كذلك ؟ .. الله جلّ جلاله .. و ليس خوفو جل جلاله أو رع جل جلاله .. و ليس أي إله فرعوني آخر..

يقولون أن الحضارة المصرية القديمة بدأت منذ **7** آلاف سنة و أنها حضارة وثنية تعددية .. و بحسب العالم **هاينريش بروغش** عدد الآلهة عند المصريين القدماء **2800** إلهاً .. في حين أن المؤرخ **مانيتون** يقول أن الحضارة المصرية بدأت من **12500** سنة .. أي أن التاريخ مختلف عليه في الأساس و غير ثابت .. لكن ذلك ليس جوهر قضيتنا الآن ..

فبغض النظر عن عمر الحضارة الفرعونية القديمة فإن هنالك أدلة دامغة على أنها حضارة توحيدية و ليست وثنية رغم ما اكتشف في الهروغليفيات و البرديات عن تعدد الآلهة الفرعونية .. لكن لنقرأ قليلاً في **كتاب الموتى** المحفوظ

في المتحف البريطاني و هو أقدم كتاب وصلنا عن الفراعنة و يتألف من مجموعة من الوثائق الدينية والنصوص الجنائزية التي كانت تستخدم في مصر القديمة، لتكون دليلاً للميت في رحلته للعالم الآخر..

ما ذكر في هذا الكتاب من أشياء غريبة تشير بشكل قاطع إلى التوحيد عند الفراعنة و

مثال ذلك مخاطبتهم الإله بالقول:

(أنت الأول و ليس قبلك شيء و أنت الآخر

و ليس بعدك شيء)

أي أنهم يخاطبون إلهاً مفرداً وحيداً بنفس مواصفات إله الأديان السماوية تماماً ، فأين هي آلهتهم الكثيرة هنا ؟

كذلك يقول إلههم بنفسه كما نسب إليه في هذا الكتاب:

(خلقت كل شيء وحدي و لم يكن بجواري أحد)

أي وحدانية الخالق و استغنائه عن أي آلهة أو ملائكة أو بشر في خلقه..

و هذا يشير إلى أن الألفين و ثمانمائة إله هم كلهم صفات لإله واحد لا شريك له .. و أما تعدد الآلهة فهو اختراع الحكام الفراعنة و كهنتهم لتحريف التوحيد و استغلال الناس و تقسيمهم إلى شيع متنافرة مما يسهل بقاء الحاكم و عمل الكهنة عبر مبدأ فرق تسد .. حيث يصبح لكل إله معبد ، قرابين و ضرائب ينتفع منها الحكام و الكهنة على حد سواء .. و هذه عادة المتطفلين في كل زمان و مكان..

كل شيء في الحضارة المصرية القديمة يشير إلى التوحيد بدءا من المسلات المفردة التي تشير عاليا إلى السماء بتوحيد الإله إلى أبو الهول الوحيد الذي لا شريك له و لا يقبل القسمة على اثنين كتجسيد الفراعنة للإله بالحكمة و القوة و الفردانية معاً .. هل رأيت عزيزي القارئ نسخة أخرى من أبي الهول الذي يحمي أهرامات أم الدنيا في أي مكان من العالم سوى أبي الهول الذي نعرفه ؟

أزيدك من الشعر بيتاً .. **أخناتون** الفرعون الذي دعا إلى التوحيد هل أتى بذلك من فراغ منحرفاً بالكامل عن العقيدة الفرعونية متعددة الآلهة دون خوف أو مقاومة ؟ كيف سمح له الكهنة و عامة الناس بتغيير عقيدتهم المزعومة بهذه

البساطة و دون ثورة أو صراع ؟

عبر التاريخ كان تغيير عادة واحدة في المجتمع تشعل الثورات فما بالكم بتغيير عقيدة بأكملها عمرها آلاف السنين و التشكيك بمحتوى إيمان شعب بأكمله .. إذاً لابد أن أخناتون كان يعزز نظرية توحيدية موجودة مسبقاً .. و سنعود إلى هذا الفرعون العظيم أخناتون بعد قليل على كل حال ..

هنالك في القرآن الكريم آية صريحة تشير إلى التوجه العقائدي عند عامة الشعب الفرعوني في مصر القديمة .. و تقول:

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)

أنا أعلم أن قسماً هاماً من القراء قد لا يؤمنون بالكتب السماوية لكن لا يسعنا سوى إطالة المكوث و التفكير بهذه الآية العجيبة .. فالرجل فيها و على خلاف ما هو سائد يكتم إيمانه بوحدانية الله خوفا من سلطة الكهنة و الحكام .. أليس ذلك جلياً و واضحاً .. ..إن كانت الكتب السماوية ملفقة فهي ستسعى إلى مهادنة الشعوب لاستمالتها و استقطابها لا أن تشكك في صلب عقيدتها و تفتح عليها أبواب الجحيم..

لننتقل إلى أسماء الآلهة الفرعونية التي نعرفها.. إنها تلفت الانتباه و تستوقف النظر بشكل غريب .. فمثلا (**أتوم**) و هو حسب الفراعنة أول إله نزل على الأرض مرادف تماماً لقصة آدم و مشابه لاسمه أيضاً .. ثم لدينا (**أوزريس**) أول من علم الفراعنة الكتابة ، خياطة الثياب ، تقسيم الفصول و التقويم الشمسي و النجوم .. و هذه جميعاً تنسب إلى نبي الله إدريس الذي عاش في مصر بالفعل و علم الناس بحسب الدين الإسلامي هذه الأمور بالضبط ، و لا يخفى عليك تشابه الاسمين أيضاً.. و لدينا أيضا (**نوح**) الإله الذي لم يختلف اسمه عن نبي الله نوح و لم يحمل الكهنة أنفسهم مشقة تغيير اسمه فبقي كما هو .. و وصفه الفراعنة بأنه أنقذهم من الطوفان الكبير أي كنبي الله نوح تماماً فما هذه الصدفة التي لا تنطلي حتى على أكثر المؤمنين بأغرب الأساطير الدينية في أقاصي الأرض مشارقها و مغاربها..

إذاً الحكاية واضحة كما نرى .. هذه هي طبيعة النفس

البشرية منذ بدء الخليقة .. أنها عندما يموت الأشخاص العظماء تحولهم إلى أسطورة أولاً ثم تؤلههم لاحقاً .. و هذا ما فعله الفراعنة بأنبياء الله ..

هنالك الكثير و الكثير من الأدلة الأخرى على التوجه التوحيدي للفراعنة لن أتطرق لها كي لا أطيل الحديث.. و لكنني سأكتفي بالحديث أخيراً عن كيفية وصول الغرب إلى حقيقة الديانة الفرعونية التوحيدية ، فهنالك منظمة أوروبية تدعى **الصليب الوردي** (**روزي كروشن**) التي تتخذ شعار الصليب المسيحي كرمز لها بوجود **إكليل الورد** في منتصف الصليب ..

حيث يرمز الورد إلى الروحانية بينما يرمز الصليب إلى المادة .. أي كالجسد الفاني الذي يحمل عليه الروح الأزلية الأبدية ..

كنبذة مصغرة عن هذه المنظمة لمن لا يعرفها فهي حركة غربية هدفها الدعوة إلى التآخي بين النـاس و ترى بأن

الإنسان لديه طاقة أكبر بكثير مما يعتقد ومن الممكن أن يستعملها ليصبح أفضل وأسعد فيصل إلى معرفة الذات و التعبير عن طبيعته الروحية الحقيقية في أعماقه ، للمساهمة في تطور البشرية جمعاء.. و يمكن تحقيق ذلك من وجهة نظرها من خلال تغيير العادات الشخصية، والأفكار و المشاعر حتى يصل الإنسان إلى ذلك التناغم الروحاني فيشعر بسلام عميق مع الذات .. هذا السلام الذي يجعل منه مؤثراً إيجابياً على من حوله ..

عدد أتباع هذه المنظمة حالياً بالملايين .. وهم يعبدون الإله الأوحد على شريعة أخناتون و منهم شخصيات مشهورة للغاية كالعالم **اسحق نيوتن** .. و أعلم أن هذا يدهشك عزيزي القارئ و لكنه حقيقي .. نيوتن لم يكن مسيحياً كما تظن بل أخناتونياً فخوراً بتوحيد الإله ..

أتباع هذه المنظمة يحجون كل عام بتوقيت معروف إلى هرم خوفو في مصر بملابس موحدة عبارة عن وشاح أبيض كالصليب و في وسطه وردة حمراء أي كشعار المنظمة تماماً .. و يدخلون غرفة الملك في الهرم .. و يتلون من **كتاب الأناشيد لأخناتون** آيات محددة و أرجو منك أن تصغي إليها جيدا في ختام هذه النقطة .. فهذا كلام الفراعنة و ليس كلام الأنبياء أو كلامي بالطبع :

(هو الإله الأوحد لا شريك له .. أخفى من أن يعرف جلاله

وأسمى من أن يناقش أمره .. يخرّ الإنسان من الرهبة

إذا نطق اسمه الخفي .. خلق الأرض و ما عليها ، ما نرى

منها و ما لا نرى .. حدد مصير الكائنات كلها بحكمة ..

ما أعظم أعماله فهو الإله الأحد الذي لا شبيه له)

فهل من دليل بعد ذلك على الطبيعة التوحيدية للحضارة الفرعونية .. و أنها تعبد إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً لا شريك له ..

كملخص لهذه النقطة التي قاربناها في سطور قليلة :

❁ كتاب الموتى أقدم كتاب فرعوني تحدث عن وحدانية الإله بشكل لا غبار عليه ..

❁ أخناتون لم يأتِ بالتوحيد من العدم و كتاب الأناشيد خاصته يشير لذلك بوضوح ..

❁ أسماء الآلهة الفرعونية محرّفة من أسماء الأنبياء و بنفس مهامهم و ديانتهم الذين ألهوا لاحقاً من قبل أتباعهم و نسجت حولهم الحكايات و الأساطير ..

❁ عبر الزمن .. حاول الحكام و الكهنة تشويه الدين و إلباسه صبغة سياسية لدعم مصالحهم و تحقيق أهدافهم مما جعل الناس يكتمون إيمانهم ..

و كل ذلك إشارة واضحة جديدة تعزز فكرة أن الإله الأوحد النبيل العادل عبر عن نفسه عند مختلف الحضارات و لم يحتجب بنفسه عن أي منها ..

◈ ثالثاً، التوحيد عند أتباع الفودو :

كلمة فودو بالأساس مشتقة من كلمة **فودون** و التي تعني ببعض اللغات الإفريقية المحلية (**الروح**) .. و هي ديانة وثنية إفريقية تعتبر من أقدم الديانات في العالم ، و تشتهر حول العالم بدمى القماش التي تغرز فيها دبابيس كنوع من إلقاء اللعنات ..

و بحسب عقيدة الفودو فالإله الأعظم يتجسد في أرواح الأجداد الذين ماتوا، فهذه الأرواح بحسب اعتقادهم تملك القدرة على مساعدتهم إن فعلوا الصواب أو عقابهم في حال أخطأوا التصرف كما ذكرنا في مقدمة المغالطة، أي كخلاصة يتمثل دين الفودو **بدائرة مقدسة تربط الأحياء**

بأرواح الأموات ..

وكما في معظم الديانات الأخرى يتبوأ رجال الدين مكانة مرموقة حيث يطلق عليهم ألقاب خاصة مثل (**الأب**) و (**الأم**)، وهم يعتبرون في خدمة الإله الكبير في ديانة الفودو (**بون ديو**) الذي يمثل الإله الأوحد للكون ، حيث يعاقبون ويكافئون باسمه .. لذا فكلامهم مقدس بالنسبة لعامة الناس الذين يؤمنون بوجود آلاف الأرواح التي تجوب الأرض من حولهم ويطلقون على هذه الأرواح اسم (**لوا**) فيقومون بتقديم القرابين لهذه الأرواح في طقوس خاصة قد تختلف جزئياً من منطقة لأخرى لكن الثابت و المشترك بينها هو **الغناء ، الرقص و قرع الطبول** ، و كهنة الفودو قادرون على التواصل مع هذه الأرواح عبر استحضارها بتلك الطقوس، و التحدث معها بشكل مباشر وفقاً لعقيدتهم ..

و نجد هنا مجدداً أن أتباع ديانة الفودو يؤمنون بإله واحد للكون هو **بون ديو** (الروح الأصلية) و منه تشعبت أرواح البشر جميعها ..

◈ ثالثاً، التوحيد عند مختلف ديانات العالم :

على الرغم من أن هنالك ديانات كثيرة آمنت بتعدد الآلهة لكننا نجد في كل منها إلهاً أعظم يعتبر كبير و رئيس الآلهة الأخرى ، و هذا توحيد بحد ذاته ، فنجد على سبيل المثال لا

الحصر :

❁ **زيوس** هو رئيس آلهة الإغريق و لو تجاهلنا إله القدر خاصتهم ..

❁ **أمون رع** هو كبير آلهة الفراعنة و لو تجاهلنا الإله الأوحد الذي أشرنا إليه أيضاً ..

❁ **أودين** هو زعيم الآلهة النوردية جميعها عند الإسكندنافيين ..

❁ **بون ديو** هو الإله الأوحد عند أتباع عقيدة الفودو ..

❁ **مردوخ** هو كبير الآلهة البابلية ..

❁ **براهمان** هو إله الخلق الأوحد عند الهندوس في الهند بلد تعدد الآلهة الأكبر في وقتنا الراهن ..

و القائمة تطول و تعزز حقيقة واحدة بأن جميع الحضارات كانت موحدة و اتبعت إلهاً رئيسياً لها يحكم الأرض و السماء

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الغريبة (**تعدد الآلهة**) من المنطقي بعد اليوم ألا نقول :

= لقد سمح الله لشعوب خلت أن تشرك به ، فكيف لهذا أن يكون عادلاً و هم لم يستقبلوا أنبياء يخبرونهم بخلاف ذلك ؟

بل أن نقول :

= الله في هذه الدنيا يتبع **فلسفة وهم الاختيار** الاقتصادية الإعلانية ذاتها ..

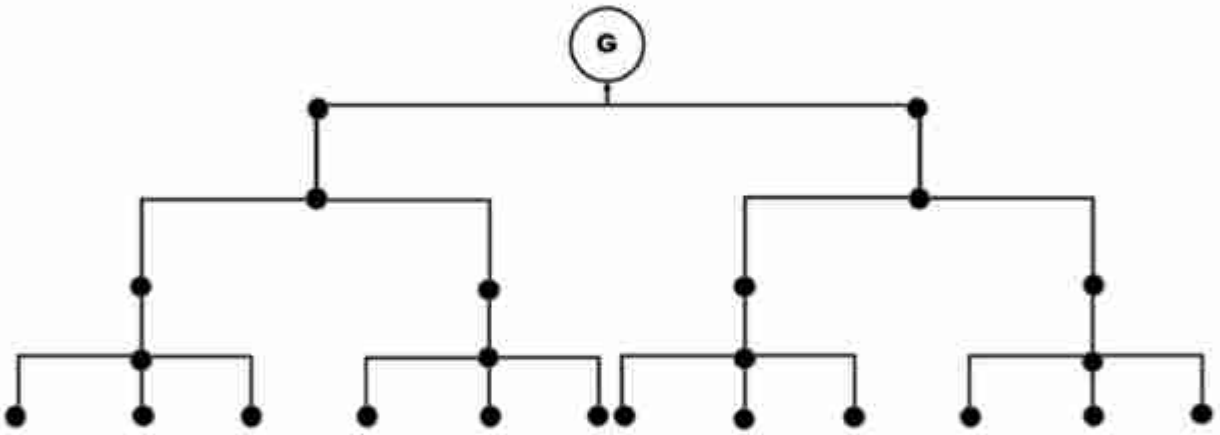

حيث يتوهم البشر بأنهم يعبدون آلهة مختلفة لكنهم في الواقع يعبدون ذات الإله بتسميات مختلفة لكن مع جوهر واحد .. و الله عادل بحيث كشف حقيقته للجميع بطرق مختلفة مناسبة لكل شعب على حدة..

إنّ أرواح جميع البشر الذين سيعيشون على وجه الأرض هي أشبه بآلهة مصغرة انبثقت عن الروح القدس العظمى و الأولى فتسكن سماء الليل كمليارات النجوم ، في حين يشع

نور تلك الروح متى أشرقت شمسها فيطمسها جميعاً كونها الأصل و البذرة التي نشأت منها شجرة الحياة بثمارها المتنوعة من بشر ، كما أبدع الشاعر **النابغة الذبياني** في توصيف هذه الحقيقة بقوله :

فإنّكِ شمسٌ و الملوك كواكب

إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

مغالطة الحياة لا تتكرر

(لا يذوقون فيها الموت

إلا الموتة الأولى)

جلس البروفيسور برهان في مقعده المريح في غرفة المكتبة كعادته اليومية منكباً بشغف تلميذ المدرسة على قراءة أحد الكتب وعلى عينيه نظارات سميكة أسمك من مجلدات الفلاسفة التي نحتوها حرفاً بحرف على مدى عقود .. تحكي بدون لسان قصة عمر طويل من القراءة و المطالعة .. و حكاية عشق مجوسية بين قارئ نهم للثقافة و بين كتاب ينضح شقاءً في زمن بات الكتاب فيه يتيماً ، مشرداً و وحيداً لا يد تمتد لتساعده حتى تبنته بألطاف القدر عائلة محبة عقيمة تقدر بحق قيمة الأبناء ...

الكتاب يتحدث بإسهاب عن ظاهرتي الموت الوشيك و الإسقاط النجمي التي تغادر فيهما الروح الجسد لفترة ثم تعود لتلتحم بالجسد مجدداً ، ثم يتفرع الحديث منهما إلى تناسخ الأرواح .. و كان برهان قد وصل إلى منتصف الكتاب تقريباً و هو يرجو الله ألا ينتهي من متعته عندما اقتربت منه حفيدته ياسمين و هي في زيارتها الأسبوعية له .. و طلبت منه الخروج للعب الريشة معها في حديقة المنزل ..

ياسمين هي نقطة ضعف توفيق الكبرى و لا يرفض لها طلباً إطلاقاً و يفعل المستحيل حتى يراها سعيدة .. لذا انصاع لطلبها على الفور فأغلق كتابه بعد أن وضع بطاقة عند الصفحة التي وصل إليها و كأنه يحدد الموعد القادم مع عشيقته قبل أن يفارقها و خرج مع ياسمين إلى الحديقة ..

لعبا معاً الريشة التي تتقنها ياسمين لفترة من الزمن حتى

أعلنت آلام ظهر توفيق انتصارها في معركة العمر المتقدم و أعلن جسده اعتزاله اللعب في مباراة ختامية ملحمية .. فأخذا يتمشيان في الممر الحجري بين الزهور مختلفة الألوان و الأشكال و يتناقشان حول مواضيع الحياة المختلفة .. اقتربت ياسمين من إحدى الورود الزرقاء الغريبة التي تبدو بين أخواتها درة خرافية قهرت علوم الوراثة قاطبةً ..

قطفتها ثم قدمتها لجدها برهان مع ابتسامة الطفلة التي لا يمل من رؤيتها على محياها .. استلمها برهان بحبور ..

= شكراً لك ياسمين ، إنها وردة رقيقة و مذهلة مثلك تماماً .. لا غرابة أن يحب الورد ورداً.. يجمعكما معاً الاسم ، الرقة و الرائحة الزكية الهاربة من دكان عطار هشم الزمن كل ما فيه من قوارير عطرٍ .. و شكراً لك أيتها الوردة بدورك على التضحية بحياتك لإسعادنا.. أنت زرقاء بلون الكآبة كشمعة احترقت بألم أخرس لتنير الظلام من حولها ..

= ياه كم أنت شاعري يا جدي .. أتتحدث إلى الوردة بحق!؟

= بالطبع ياسمين .. إنها كائن حي مثلنا تماماً و فيه روح كروحنا بالضبط .. عبق من نور السماء ..

= معقول ؟!! روح في وردة !.. كيف يمكن لذلك أن يكون حقيقيا .. ؟

= تبعاً للكتاب الذي أقرأه الآن و أنصحك بشدة بقراءته ، فإن الروح قد لا تسمو بصاحبها إلى سماوات عليا بل تنصاع لرغبات جسده المادي الفاني فتعلق في زنزانة الحياة الدنيا لأجيال منتقلةً بالتناسخ من جسم مادي لآخر .. قد يكون إنساناً فيسمى ذلك **النسخ** أو حيواناً فيسمى **المسخ** أو نباتاً فيسمى **الرسخ** أو جماداً فيسمى **الفسخ** أو حشراتٍ فيسمى **الوسخ** .. و يحدد نوع التناسخ أفعال الإنسان في هذه الحياة الدنيا التي تتذبذب بين سمو و انحطاط ..

= الجماد له روح ؟ مستحيل ؟

= لا شيء مستحيل في هذا الكون .. و كل مادة تحمل طبيعة ثنائية من كتلة و طاقة هي جسم بروح .. هكذا يفشي الكتاب بأسراره ..

= غريب .. من الممكن أن أفهم تجاوزاً أن الحيوان له روح فهو يأكل ، يشرب ، يتكاثر ، يتألم و يفرح .. هو كالإنسان

لكن بملكات عقلية أقل لكن كيف للنبات مثلا أن يملك روحاً إنه لا يقوم بأي من ذلك ؟

= هذا غير صحيح عزيزتي .. النبات يقوم بكل ذلك أيضاً .. فهو يولد من البذرة و يتغذى من التربة و ينجذب نحو الضوء و يتكاثر بدوره و أخيراً ييبس و يموت .. أما الفرح و الحزن فقد أثبت العلم أن النبات الذي يعامل بلطف و محبة و يعرض للموسيقا ينمو أكثر و أسرع من غيره .. كذلك فالنباتات تتألم و تصرخ و حتى أن بعضها يبكي ..

= يبكي و يتألم ؟ إنه شيء أقرب للخيال !

= أجل ... إنه أقرب لميثولوجيا إغريقية .. لكنه واقعي تماماً .. فقد نجح علماء لأول مرة في التاريخ بتسجيل أصوات النباتات عند تعرضها للإجهاد أو القطع أو غيرها من الظروف الصعبة، في مؤشر على أن النباتات لا تعاني بصمت، بل تصرخ أيضاً..

= و لماذا لا نسمعها إذاً ؟

= لأن الموجات فوق الصوتية التي تصدرها النباتات يبلغ ترددها الموجي نحو **20** ألف إلى **100** ألف هرتز ، أما الإنسان فيمكنه سماع الأصوات التي ترددها بين **20** هرتز و**20** ألف هيرتز فقط، مع ذلك فبعض الحيوانات مثل الخفافيش والفئران ربما تستطيع سماع صوت النباتات.. ليس ذلك فحسب بل أن النباتات الأخرى تسمع صراخ النباتات المتأذية و تفهم سبب

الصراخ من طبيعة الترددات فترتكس للعامل المؤذي و تحمي نفسها منه..

= مذهل ! و كيف يتم ذلك ؟

= مثلا أثبتت التجارب و الملاحظات العلمية إنتاج النباتات التي تلقت إشارات من نباتات أخرى تضررت من هجوم الحشرات عليها بشكل بربري للمزيد من المواد الكيميائية الدفاعية لتساعدها في مقاومة ذلك الهجوم، أما تلك التي تلقت موجات من نباتات تعرضت للاختناق جفافاً مثلًا فقد أغلقت مسامها لمنع فقدان الماء أكثر .. مما يعني أن النباتات يمكنها سماع وفهم أصوات جيرانها من النباتات وإعداد نفسها لنفس الضغط الواقع عليها .. أكثر من ذلك لقد اكتشف العلماء أن هنالك أنواع عديدة من النباتات تذرف الدموع حرفياً عندما تتألم كقطيرات الندى على خد الورود..

= سبحان الله .. كم هذا مذهل ! .. لقد قلبت مفاهيمي المسبقة جدي كزلزال عنيف .. بعد كل ما ذكرت فإن للنبات روحاً و لا شك فهي تفهم كل شيء لكن بطريقتها الخاصة .. و
أضيف إلى كلامك جدي أن الجماد بنفسه ربما يصرخ عندما يتألم كطرق المعدن أو نحت الصخر أو قطع الخشب .. كل ذلك يصدر صوتاً خاصاً .. ربما هو أنين متألم يلفظ أنفاسه المعذّبة..

= رائع رائع .. أحسنت صغيرتي .. إنه توصيف بليغ للغاية .. إن روح الله بالفعل متغلغلة في كل ثنايا الكون من حولنا ..

نور سماوي يعبر موشور الحياة ليتشعب إلى ألوانها البهيجة في كل منا.. و ذات يوم ستجتمع هذه الألوان ثانية على مائدة العشاء الأخير لتعلن قيامة النور الأوحد مجدداً أبيضاً كطهارة الثلج إلى السموات العلا ..

كانا قد وصلا إلى نافورة قديمة تتوسط الحديقة بمجسم ملاك طائر من الحديد الذي اهترأ مع الزمن و الأكسدة فبانت عيناه و كأنهما تبكيان صدأً أحمر اللون .. جلسا على محيط النافورة و وضع السيد برهان الوردة الزرقاء على وجه المياه و كأنها جثمان هندوسي يودعه أحباؤه في نهر الغانج لآخر مرة قبل إحراقه ..

من وحي هذه القصة القصيرة و حوارها الذي دار بين الجد المثقف برهان و حفيدته الشابة الفضولية ياسمين تبصر مغالطتنا الجديدة في الكتاب (الحياة لا تتكرر) النور مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل يعيش الإنسان في هذه الحياة مرة واحدة لا غير ، أم أنه من الممكن أن يعيش أكثر من حياة ، و لماذا قد يحدث ذلك ؟)

و الجواب المبدئي الوجيز هو :

(بالطبع الإنسان قد يعود للحياة ثانيةً كإنسان أو نبات أو حيوان أو حتى جماد تبعاً لأعماله في الدنيا ، إذ أن الجنان لا تليق سوى بالأرواح الطاهرة النقية التي تنقت من شوائبها في الدنيا حتى آخر قطرة ، فإن فشلت في ذلك عادت إليها على شكل مختلف كفرصة جديدة لتطهير نفسها)

من اليسير عليك عزيزي القارئ أن تدرك بأنّ هذه النظرية روحانية و دينية بحتة لذا فلا دلائل علمية بقوانين مثبتة لها

.. و هذا ما يحصر مقاربتنا لها من زاوية دينية أولاً ثم نسندها مباشرةً بمجموعة قصص و أدلة من الحياة البشرية على نحو أعدك بأنه سيفاجئك و يدهشك ..

❁ **الزاوية الدينية** : في الحقيقة هنالك آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن التناسخ بشكل صريح من قبيل قوله تعالى:

﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾

و كما تلاحظ عزيزي القارئ خطورة هذه الآية الكريمة التي يؤكد الله فيها على فكرة إعادة خلق الإنسان في ما لا نعلم أي في غير الجسد البشري.. أي ما يكافئ فكرة المسخ إلى حيوان أو الرسخ إلى جماد تماماً !!

كذلك نجد قول الله تعالى :

﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾

أي أن الإنسان قد يموت في هذه الحياة أكثر من مرة .. مما

يعني أنه يعيش أكثر من حياة و إن كان ذلك ليس قانوناً على الجميع بالطبع بل يقتصر على من ساءت أفعاله في الحياة الدنيا فلم يغتنم فرصته الأولى بحكمة و حذر ..

و أزيدك من الشعر بيتاً آخر ، قوله تعالى :

(لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)..

و هي بلا شك آية دامغة بلا تلغيز أو تشفير أو تأويلات مختلفة .. تشير إلى أن المؤمنين بحق الذين يبتليهم الله في هذه الدنيا بشتى أنواع الاختبارات و مختلف صنوف المآسي التي تذيبهم كالحديد الهندي قبل أن يصاغ طائعاً على هيئة جديدة تبردها نسائم الجنان لتأخذ صورتها الأخيرة .. يموتون مرة وحيدة و ينتقلون بعدها إلى العالم الآخر على تلك الهيئة الملائكية.. أما غيرهم ممن لحقوا شياطين الدنيا و إغواءاتها فأسرفوا على أنفسهم من متعها فهم يعيشون أكثر من حياة في أكثر من شكل حتى تتصفى أرواحهم و تؤطر بأشكال أرقى فتصبح نقية مؤهلة للعيش في العالم الآخر..

و هنالك آيات كثيرة أخرى عن النسخ و أيضا عن المسخ إلى كائنات أدنى من الإنسان كالقردة و الخنازير و غيرها .. فالقرآن فصل كل شيء و فيه كالحديقة الغناء التي تمشى فيها الجد و حفيدته زهرة من كل بستان من بساتين الحياة..

قد يسأل سائل هنا : هل يؤمن الناس جميعاً على اختلاف أديانهم و طوائفهم بفكرة التناسخ ؟

و الجواب : لا طبعاً .. هنالك من يؤمن و هنالك من يشكك و هنالك من لا يؤمن أبداً ..

و الأديان التي تؤمن بتناسخ الأرواح كثيرة ، كحال **الهندوسية، السيخية، البوذية، الطاوية، الفلسفة اليونانية خاصة أفلاطون و فيثاغورس ، الدرزية ، اليهودية (مبدأ الكابالا) ، العلويون ، ديانات السكان الاصليين الأمريكيين (المايا و الانكا)** .. و غيرهم .. و بالتأكيد لا دخان بلا نار و لا مطر بلا غيوم ، فهذه الديانات لم تأتِ بفكرة التناسخ من فراغ كما اثبتنا منذ قليل بآيات القرآن المختلفة ..

❁ بعض القصص التاريخية عن موضوع التناسخ :

هنالك الكثير من القصص المعروفة و المشهورة عن أشخاص تناسخت أرواحهم ، و سأكتفي بذكر إحداها على سبيل المثال لا الحصر فبقية القصص تحاك على نفس المنوال .. و القصة تتحدث عن رجل إنجليزي يدعى **آرثر فلاورديو** من مواليد عام **1906** م عاش حياته كلها في **إنجلترا** لكن كانت لديه دائماً ذكريات عن كونه حارس معبد منحوت وسط الصحراء و أنه قتل هنالك غدراً .. و في أحد

الأيام شاهد الرجل فيلما وثائقياً عن **مدينة البتراء القديمة بالأردن** فتعرف عليها مباشرةً أنها المكان الذي يتذكره من حياته السابقة .. و قد أجرى عالم آثار يعمل في البتراء مقابلة معه لاختبار ادعاءاته .. فكان وصفه للمدينة دقيقاً جداً بشكل لا يوصف كما أنه وصف عدد من الاماكن البارزة في البتراء التي لا يعرفها سوى الخبراء .. إضافةً إلى وصفه المكان الذى قتل فيه بدقة مذهلة و كأن الحادثة وقعت له من سويعات لا أكثر ..

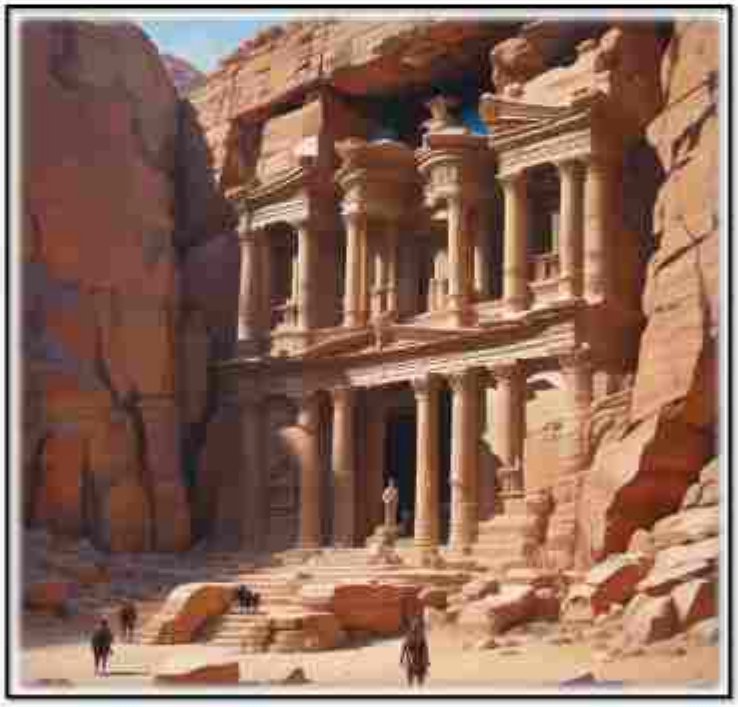

و هنالك لمن يحب الاطلاع أكثر على قصص تناسخ الأرواح المختلفة و الموثقة بالأسماء و التواريخ و الأحداث سلسلة كتب مذهلة تدعى (**الإنسان روح لا جسد**) للمؤلف المصري المبدع **رءوف عبيد** الأستاذ في كلية الحقوق في

جامعة عين شمس في مصر ، الذي وثق ما جرى في جلسات استحضار أرواح ذكرت تفاصيل حياتها في عدة أجيال متلاحقة عبر التاريخ و في حقب زمنية متتالية و متباعدة .. ربما تخالها بدعاً أو اختلاقاً لكنني أعدك بخلاف ذلك إن أقدمت على قراءتها ..

يقال بحسب الأسطورة أن أول إشارة إلهية للتناسخ كانت عندما **قتل قابيل أخاه هابيل** من الحسد و الغيرة في مستهل رحلة البشرية على كوكب الأرض .. فنبتت في مكان جريمته شجرة شهيرة تدعى حاليا **شجرة الأخوين** نسبة إليهما .. و هذه الشجرة تذرف سائلا أحمر كالدم عند قطعها في الواقع .. و تنتشر بشكل أساسي في **جزيرة سوقطرى اليمنية** .. و يقال أنها كانت وعيداً من الله لقابيل بأنه

سيخلق من جديد شجرة تبكي دماً ندماً على ما فعله .. طبعا لا إثبات لهذا الكلام و لكن من الضروري و المناسب ذكره في سياق الحديث ..

المفارقة في الموضوع أنّ ما سبق و ذكرناه هو كلام مخيف و مطمئن في نفس الوقت .. **مخيف** لأن الإنسان قد يعيش ثانية في أشكال حياة أخرى يجهل تفاصيلها بعد .. و **مطمئن** لأن الله يمنح الإنسان فرصاً أخرى للارتقاء بروحه و تخليصها كتعويض لما فاته في فرص سابقة لم يحسن استغلالها ..

إنه الخوف الوحيد الباعث على الاطمئنان في الحياة .. !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة في عائلة المغالطات :

(**الحياة لا تتكرر**) ، ربما من المنطقي أكثر ألا نقول بعد اليوم :

= سأعيش حياتي على هواي في هذه الدنيا ، فهي مرة وحيدة لن تتكرر و الجنان تنتظرني أياً كانت الدرب التي سأسلكها في حياتي ..

بل أن نقول :

= عدد المرات التي سنعيشها في هذه الحياة و الهيئة التي سنعيش عليها تتحدد بنوعية أعمالنا في الحياة الأولى ، فالنتيجة النهائية تكون إما بتحررنا من زنازين أجسادنا مرة وحيدة و للأبد لننطلق إلى جنان الله الرحبة ، أو نعود للحياة مجدداً في الدنيا على هيئة بشرية أو حيوانية أو حتى نبات أو جماد ، و الله أعلم ، و إن كان القرآن يحدثنا بشكل صريح عن هذه الحقيقة .. لذا علينا أن نحسّن من أفكارنا ، أقوالنا و أفعالنا في حياتنا كي ننتقي الخيار الأنسب لنا بعد الموت ..

في أحد المشاهد في نهاية **فلم ماتريكس** الشهير عندما يتقابل **نيو** مع **مورفيس** لأول مرة ، يعرض مورفيس عليه الحبتين الزرقاء و الحمراء، فالزرقاء تمثل عالم الماتريكس الوهمي و هو ما يكافئ الدنيا التي نعيش فيها ، أما الحمراء

فتمثل العالم خارج الماتريكس والحقيقي الذي يشير إلى الجنان الرحبة في العالم الآخر..

و كان على نيو أن يختار بين الحبتين كي يحدد مصيره ، و ما أشبه حياتنا في هذه الدنيا بهذا المشهد ، فكل منا أمام خيارين ، إما أن يغادر الدنيا الماتريكس نهائياً عبر صلاح الأفكار و الأقوال و الأعمال أو يعود إليها مجدداً على هيئة جديدة تتنوع بطبيعتها إن انصاع لشهواته و غرائزه الذميمة فانحدر بنفسه إلى قاع الإنسانية و الأخلاق البشرية الحميدة .. فاختر بحكمة إحدى الحبتين عزيزي القارئ ، فالموضوع ليس مزاحاً أو لهواً بل قضية مصيرية و خطيرة لا تقبل القسمة على اثنين !!

مغالطة القرآن البدوي

(دمى الماتريوشكا)

= لماذا تشغل وقتك بهذه الدراسات العبثية حول القرآن يا صديقي ؟.. هو مجموعة آيات بدوية من وحي الحياة الصحراوية تتطرّق إلى شؤون الحياة من زواج و طلاق و ميراث و غيرها ، مع بعض القصص عن الأنبياء التي ذكرت من قبل في الكتب السماوية السابقة .. لا شيء آخر لتبحث فيه ؟!

= و من قال لك ذلك ؟

= لا أحد .. أنا بنفسي قرأت القرآن و توصلت لهذه النتيجة..

= يؤسفني أن أقول لك بأنك أنت من يهدر وقته عبثاً .. القرآن منجم ألماس من الأفكار العظيمة .. لكنك بحاجة للتنقيب بوسائل متطورة كي تستخرج الجواهر النفيسة منه .. فالقرآن يعج بالأسرار و الألغاز الكونية و الأرضية .. لكنها بحاجة لمهارة لغوية و علمية متقدمة كي تصل إليها ..

= أسرار كونية ، هل تعبث معي ؟!

= إطلاقاً ، فالقرآن مليء بالآيات التي تطرقت إلى حقائق كونية لم تكتشف إلا حديثاً .. تعال كي أقصّ عليك بعضاً من هذه الأسرار ...

*****

هذا الحوار المقتضب بين صديقين يطرح على طاولة النقاش مغالطة شائعة للغاية بين الناس حول محتوى القرآن الكريم ،

سواءً عند غير المسلمين أو حتى عند المسلمين أيضاً .. المغالطة التي تنص على السؤال التالي :

((هل القرآن بالفعل كتاب مقتصر على شؤون الحياة البدوية و بعض القصص المعروفة من قبل ، بحيث لا نصل إلى أي جديد بعد الانتهاء من قراءته ، أم أن وراء الأكمة ما وراءها ؟))

و الجواب المبسط و الوجيز الأولي عليه هو :

((على الإطلاق ، فالقرآن كتاب يزخر بالأسرار التي يكتشفها كل جيل مع تطور العلم لديه، فهو يتطرق إلى مواضيع لم تكتشف حتى زمن حديث ، و حتى حقائق لم تكتشف علمياً بعد))

و سنتطرق خلال الصفحات التالية إلى مجموعة فريدة من الأسرار التي ذكرت في القرآن و التي تبرهن صحة هذا الجواب بتفصيل أكثر :

❁ **أولاً ، المجموعة الشمسية تتألف من عدة كواكب غير الأرض** : و قد ذكر القرآن ذلك بشكل صريح في الآية التالية من سورة يوسف ..

(اذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنـي رأيت أحد عشر كوكباً و الشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)

فالمعروف حتى الآن وجود **8** كواكب فقط في المجموعة الشمسية مما يثير تساؤلات هامة عن هوية الكواكب الثلاثة المتبقية التي لم يرصدها العلم رغم تطوره حتى الآن ! هل كانت موجودة من قبل فتدمرت أو خرجت عن مسارها حول الشمس، أم أنها ستقتحم مجال المجموعة الشمسية لاحقاً بآلية ما كتحطم أحد الكواكب إلى عدة أجزاء تدور في فلك شمسنا العزيزة.. ناهيك عن الحقيقة الأساس بمعرفة القرآن بوجود كواكب أخرى عديدة غير الأرض في مجموعتنا الشمسية رغم عدم وجود الأدوات الفلكية الكافية لإثبات ذلك وقتها لاسيما في البيئة البدوية التي نزل فيها القرآن و التي كانت بعيدة للغاية عن علوم الفلك وقتها ..

❁ **ثانياً ، الثقوب السوداء** :

تطرق القرآن منذ زمن سحيق إلى الثقوب السوداء المكتشفة

في القرن العشرين في الآية التي تقول ..

(فلا أقسم بالخنّس الجوارِ الكنّس)

فالخنس باللغة العربية هي الأشياء غير المرئية و المحجوبة عن العين البشرية أما الجوارِ فهي الأجرام السيّارة و الجارية في الكون .. في حين صفة الكنّس تشير إلى كنسها لكل شيء من حولها .. وهذه هي الخصائص الثلاثة الرئيسية للثقوب السوداء (غير مرئية ، تجول الفضاء و تجذب إليها أي شيء يقترب من **أفق الحدث** لديها أي الحدود التي يتفعل فيها حقل جاذبيتها) ..

❁ ثالثاً ، المجرات :

فقد ذكر الله تعالى المجرات في الآية التالية ..

(و لقد جعلنا في السماء بروجاً و زيناها للناظرين)

و المقصود هنا تجمّعات النجوم في المجرات التي أطلق عليها القرآن تسمية البروج المزينة إذ تأخذ أشكالاً و ألواناً مختلفة مدهشة تسرّ العين و تفجّر العقل من جمالها و روعتها و هذا حال مجرات الكون الملتقطة بالتلسكوبات الحديثة بالفعل ! ..

بالطبع في زمن نزول القرآن لم يكن أحد يدري بوجود المجرات بعد فقد كانت السماء بالنسبة للبشر قطعة واحدة بلا أجزاء..

❁ **رابعاً ، النجوم النيترونية** :

أتى القرآن الكريم على ذكر هذه النجوم المكتشفة حديثاً في الآية الكريمة التالية ..

(و السماء و الطارق * و ما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب)

فالنجوم النيترونية صغيرة الحجم للغاية لكنها هائلة الكتلة بنفس الوقت و تدور حول نفسها مئات المرات في الثانية مطلقةً نبضاتٍ تم تسجيل صوتها بوسائل خاصة فكان يشبه المطرقة لذا لقبت بالمطارق الكونية أي النجوم الطارقة كما وصفها القرآن تماماً ..

❁ **خامساً ، المستعر الأعظم (السوبرنوفا) :**

ففي الآية التالية ذكر ملغّز لها ، لم يفهمه أحد لقرون حتى تطور العلم و أخبرنا بوجودها حديثاً ..

(فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان)

إذ يرجح بقوة أن هذه الآية تشير إلى السوبرنوفا أو المستعر الأعظم ، ذلك المصطلح الذي يطلق على انفجار النجوم الكبيرة بطريقة توحي بانشقاق السماء حرفياً ثم موت تلك النجوم مخلفة وراءها ما يعرف **بسديم عين القط** الذي يشبه الوردة المتفتحة تماماً في ظاهرة فلكية مذهلة ..

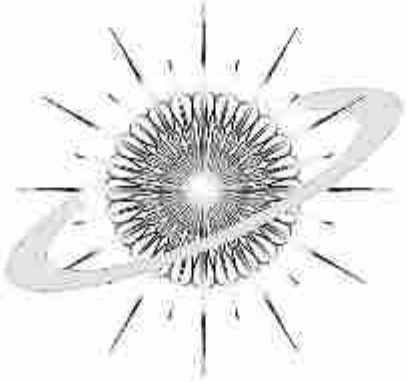

❁ سادساً ، التمييز بين الطبيعة النورانية للشمس و القمر :

و ذلك في آية تفجر العقل حرفياً ..

(هو الذي جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً و قدّره منازل)

و هذه معجزة قرآنية بحدّ ذاتها ميّز فيها القرآن بين طبيعة تكوين الشمس و القمر .. فالضياء صادر مباشرة من الشمس المحترقة أما النور فهو انعكاس ضوء الشمس على القمر الصخري الذي لا يضيء من تلقاء ذاته ..

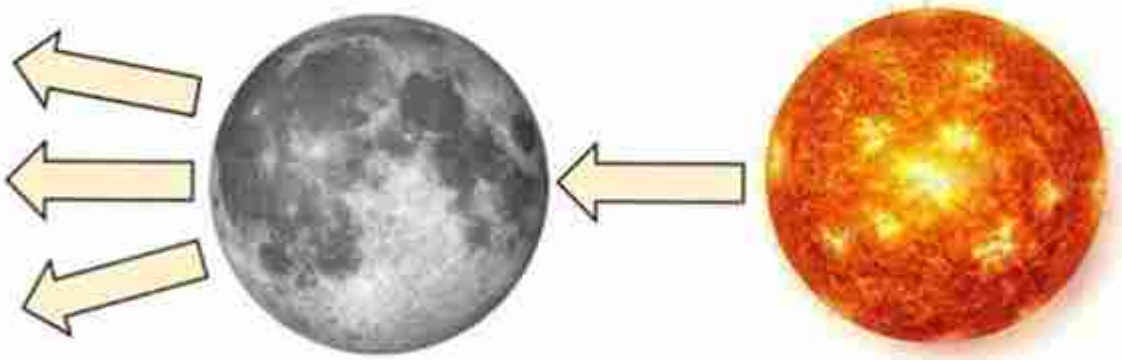

و كما نرى لا يمكن لأي إنسان في ذلك الوقت معرفة هذه الحقائق فطبيعة الشمس و القمر كانت مجهولة حينئذٍ بل كان يعتقد بأن طبيعتهما النورانية واحدة ..

❁ سابعاً ، الانفجار العظيم و ولادة الكون :

إذا تأملنا قليلاً في الآية التالية :

(إن السموات و الأرض كانت رتقًا ففتقناهما)

لوجدنا أن القرآن يشرح فيها طبيعة الكون قبيل الانفجار العظيم حينما كانت المادة و الخلاء جزءاً واحداً انفصلا لاحقاً إلى جزئين عقب الانفجار ، خلاء تسبح فيه المادة .. أي الكون المعروف بعد الانفجار العظيم ..

❁ ثامناً ، توسع الكون :

و قد أتى القرآن على ذكر هذه الحقيقة العلمية المذهلة بشكل صريح في الآية التي تقول ..

(و السماء بنيناها بأيدٍ و إنا لموسعون)

و هي آية تشرح نفسها بنفسها عن توسع الكون باستمرار ، فكيف يمكن لمخلوق وقتها أن يعلم هذه الحقيقة الخطيرة ؟! الحقيقة التي تطلبت من البشر تقدماً علمياً و تكنولوجياً رهيباً حتى أثبتوها !! ..

❁ **تاسعاً ، مصير الكون** :

و قد صور لنا الله تعالى طريقة انتهاء الكون في الآية التالية.

(يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتاب * كما بدأنا أول خلقٍ نعيده * وعداً علينا إنا كنا فاعلين)

و في هذه الآية الخطيرة يؤكد الخالق لنا بأن الكون الذي بدأ من انفجار نقطة غاية في الصغر و الكثافة ، سيعود إلى هيئته الأولى هذه في النهاية ، أي بتعبير آخر أن الكون لن يتوسع إلى ما لانهاية ، بل سينكمش بعد حد معين ربما عبر الثقوب السوداء أو عبر **بوزون هيجز** المكتشف حديثاً ..

❁ **عاشراً، توسع الكون بمقدار مدروس يسمح بنشوء الحياة** :

فنجد الآية الكريمة التالية ..

(إنّ الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا)

و فيها يفسر الله كيف يحافظ الكون على توازنه رغم توسعه السريع الكفيل بخلق بيئة باردة للغاية غير متوافقة مع الحياة .. فذلك التوسع يتم بمقدار مدروس إلهياً عبر كبح جماحه من

خلال الجاذبية التي تخلقها المادة المظلمة المنتشرة بين الأجرام السماوية مالئةً فراغ الكون و التي لم يتم اكتشاف ماهيتها بالضبط بعد .. فلو أوسع الكون على نحو أسرع قليلاً لتبددت المجرات و تجمدت الكواكب .. فالله يمسكهما من الزوال !!

❁ أحد عشر ، لماذا لا تخرج الكواكب عن مسارها و تسبح في الفضاء على غير هدى ؟

يجيبنا الله عن هذا التساؤل عبر الآية التالية ..

﴿ وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾

فهذه الآية العجيبة تشير إلى أن الشهب و النيازك تجري في الكون بحرية خارج نطاق المجموعات الشمسية فلا تدور في فلك نجوم محددة .. في حين تشكل النجوم حرساً حقيقياً للكواكب فتجذبها إليها نظراً لكتلتها الضخمة و تمنعها من الشرود في فضاء الكون تائهة بشكل عبثي يسبب تصادمها و يخلق بيئات غير مناسبة للحياة ..

و لا يمكن لأي إنسان في وقت نزول القرآن أن يعرف تلك الحقيقة العلمية بأنّ الكواكب تدور في فلك النجوم و ليس العكس ، بل في الواقع كانت الفكرة السائدة ساعتها أن الأرض هي مركز المجموعة الشمسية و الشمس و بقية الكواكب تدور في فلكها ..

❁ اثنا عشر ، الكون الكروي ..

لقد تطرق القرآن في إحدى آياته إلى شكل الحيز الذي يتوسع فيه كوننا فقال ..

(يا معشر الجنّ و الإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات و الأرض فانفذوا)

و كما نعلم رياضياً فالقطر مصطلح مقتصر على الدائرة و الكرة ، مما يعني بأن كوننا يتوسع في شكل كروي ، أي كما نطلق على الأرض لقب الكرة الأرضية ، فيمكننا أيضاً أن نطلق لقب الكرة الكونية على الحيز الذي يحتوي المجرات !!

و لا يخفى علينا أن هذه الآية تشير أيضاً بالأساس إلى كروية الأرض في زمن كانت القناعة السائدة بأن الأرض مسطحة .. بل أن كثيراً من البشر يؤمنون بذلك حتى اليوم !!

و سأكتفي بذكر هذه الأسرار الاثنتي عشر على سبيل المثال لا الحصر ، فالقرآن يعج بعشرات الآيات الأخرى الغريبة بعضها اكتشفت ألغازه و بعضها ينتظر تطور العلم أكثر كي يرفع النقاب عنها .. و أظنّ أنها آيات كافية و كفيلة بتوضيح فكرة أن القرآن كتاب سماوي لا يقتصر على بعض المواضيع البشرية ، بل يتطرق إلى كل شيء في هذا الكون لكن عبر أحاج ممتعة يفك العلم شفرتها تباعاً عبر تطوره على يد الأجيال المتلاحقة ..

*****

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الجديدة (**القرآن البدوي**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= القرآن كتاب أرضي يعنى بأمور البشر فحسب و يروي بعض القصص القديمة ..

بل أن نقول :

= القرآن منجم ألماس يعج بالأسرار حول كل شيء في الكون ، لكن كلاً منا يقرأه بحسب حدود معرفته فيفهمه ضمن أطرها ، لكن ذلك لا يعني أننا على صواب في فهمه

و تفسيره .. بل علينا أن نلجأ إلى أهل الاختصاص كي نفك شفرته و نوضح أسراره أكثر ..

إن القرآن الكريم أشبه **بدمية الماتريوشكا** الروسية الشهيرة ، التي تتألف من مجموعة دمى في قلب بعضها .. فكلما تطور العلم أكثر مع الأجيال اكتشفنا حقائق جديدة في قلب الحقائق القديمة على نحوٍ لا ينفك بإبهارنا و إذهالنا ..

و أختم بآية أخيرة من القرآن الكريم المعجز تدعونا إلى التواضع و عدم إسقاط معرفتنا المحدودة على ما حولنا كالقرآن مثلاً ، تقول :

﴿ و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

مغالطة القرآن

بيد فنّان

(أسرار دافنشي)

في مناظرة جمعت بين شخص مؤمن و آخر ملحد حول حقيقة الأديان ، بدأ الملحد بالكلام فشرح عن التناقضات الرهيبة بين الأديان السماوية و الكم الهائل من المعلومات المغلوطة فيها كتوكيد على أنها من تأليف البشر و تم خداع البشر على أنها من السماء ثم ختم كلامه بالقول :

= إن كان القرآن مثلاً كتاباً سماوياً ، فلماذا لا نجد فيه حقائق علمية جديدة غير مكتشفة قبل أوان نزوله كي نؤمن بأنه منزل من خالق يعرف كل شيء بحق ؟!

انتقل الحوار إلى الشخص المؤمن الذي قال ببساطة :

= إن كانت حجتك في إلحادك هي غياب الحقائق العلمية التي طالبت بها فأنصت جيداً أخي الإنسان إلى هذا الكم الهائل من هذه الحقائق الكونية و الأرضية التي يزخر بها القرآن الكريم لتكتشف أنه كريم بالفعل بما يقدمه لنا من إعجاز علمي ، أخلاقي دون الإغفال عن الإبداع في تنظيم الحياة الشخصية ، الاجتماعية ، السياسية ، العسكرية ،

الاقتصادية و غيرها من جوانب حيواننا ككتاب شامل ..

شرع المحاور المؤمن بالحديث و نظيره الملحد ينصت و عيناه تتسع تدريجياً ذهولاً من هذا الفيضان الإعجازي الذي يقدمه المؤمن بوضوح لا تشوبه شائبة ، حتى أنه بعد انتهاء المناظرة وقف و أعلن إيمانه الكامل و بأنه كان على وهم و خطأ جسيم في نظرته للخالق ، خلقه و كتبه السماوية .. فما هو مضمون كلام الإنسان المؤمن الذي خلق هذا التغيير الجذري في مفاهيم و قناعات نظيره الملحد كإعصار اجتثها من جذورها ؟

*****

في مغالطتنا الجديدة (**مغالطة القرآن بيد فنّان**) سنقوم بالتطرق إلى الإعجاز القرآني الذي شرحه صديقنا المؤمن في مناظرته كمحاولة لتصحيح المفهوم الخاطئ عند الكثيرين كحال صديقنا الملحد عن مضمون القرآن و بأنه كتاب مبسّط يقتصر على بعض القصص كتكرار لما سبقه من كتب سماوية و أديان أرضية مع بعض الطقوس و الشعائر الخاصة بالمسلمين مما يثبت أنه كلام بشري ، لنبين بوضوح كما آمل بأنّ إعجاز القرآن أكبر من ذلك بكثير و لا يمكن أن يكون إلا كلاماً إلهياً ..

في الحقيقة الإعجاز القرآني يشتمل على **5** محاور رئيسية :

❶ **محور الإعجاز الكوني** : و كيف تحدث القرآن عن

أسرار خلق الكون و الظواهر الفلكية فيه ، و قد تطرقنا إلى هذا المحور بالفعل في مغالطة (**القرآن البدوي**)

❷ **محور الإعجاز البشري** : و يشتمل على تفصيل القرآن للنهج السليم في حياة الإنسان الشخصية ، الاجتماعية ، الاقتصادية .. إلخ .. و لا داعٍ كما أعتقد لتوضيح ذلك فالقسم الأكبر من القرآن يتحدث عنه بإسهاب و وضوح ، كما تم التطرق إليه كثيراً من قبل ..

❸ **محور الإعجاز الرقمي** : كمثال ذكر كلمة الدنيا **115** مرة و الآخرة **115** مرة و ذكر كلمة الجنة **77** مرة و النار **77** مرة ، أو ذكر كلمة الملائكة **88** مرة و الشياطين **88** مرة ، كذلك ذكر كلمة رجل **23** مرة و مرأة **23** مرة كعدد الصبغيات من الأب و الأم .. أيضاً ذكر كلمة شهر **12** مرة و كلمة يوم **365** مرة أي كعدد أشهر و أيام السنة .. و غيرها الكثير من الأسرار الرقمية المذهلة في القرآن ، و هو موضوع كبير و معقد قد نقاربه عبر مغالطة مستقلة لاحقاً ..

❹ **محور الإعجاز اللغوي** : و هو بدوره موضوع واسع للغاية يقوم على مبدأ جوهري هام للغاية بأنَ **اللغة العربية ليست لغة مرادفات** بمعنى أنّه لا توجد كلمة فيها تعطي نفس

معنى كلمة أخرى ، مثلاً من أسماء السيف : الحسام ، المهند ، الصمصام ، المدجل و غيرها ، لكن كل اسم منها له دلالة مختلفة عن الآخر .. و على نفس المبدأ فإنّ كلمة نبي في القرآن غير كلمة رسول .. و كلمة أتى غير جاء و هكذا .. و قد أثبت علماء اللغة و الفقه أنّ كمّ الإبداع في كلام القرآن مذهل بحيث أنه لا يمكنك استبدال أي كلمة فيه بكلمة أخرى و لو كانت مشابهة لها في الوصف كما يعتقد عامّة الناس ، و خير من تطرّق لهذا المحور من إعجاز القرآن هو الأستاذ **محمد شحرور** و أبدع بذلك بعدّة كتب كثورة جديدة حقيقية في فهم أسرار القرآن اللغوية أكثر ..

5 **محور الإعجاز الأرضي** : و هو صلب مغالطتنا الحالية ، و سنتطرق من خلاله إلى بعض الآيات القرآنية التي ذكرت حقائق و معلومات عن كوكب الأرض و ما عليه بطريقة جديدة لم تكن معروفة قبل نزول القرآن على الإطلاق مما يؤكد المصدر السماوي لهذا الكتاب المقدس .. و هذه الآيات هي على سبيل المثال لا الحصر كي لا نطيل الحديث لكنها كفيلة بإثبات وجهة نظر صديقنا المؤمن على نحوٍ كافٍ لنعرف بعدها كيف قلب قناعات نظيره الملحد رأساً على عقب :

❁ **شكل الأرض كروي أو بيضوي** : و قد لمّح الخالق لهذه الحقيقة من خلال الآية التالية :

((أولم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها))

فالشكل الكروي أو البيضوي يزداد محيطه تدريجياً بدءاً من الأطراف باتجاه المركز ..

بل إنّ إعجاز القرآن في هذه الآية يزداد أكثر عندما نجد حقيقة علمية أخرى دفينة في هذه الآية بأن ذوبان جليد قطبي الأرض الشمالي و الجنوبي سيؤدي إلى ارتفاع منسوب مياه البحار و المحيطات لتغمر بقاعاً شاسعة من الأرض و بالتالي فإن الله سينقص مساحة الأرض بالفعل من أطرافها !

■ **أخفض نقطة على سطح الأرض هي البحر الميت** :

ففي الآيات التالية :

((الم * غُلبت الروم * في أدنى الأرض و هم من بعد

غلبهم سيَغلِبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل و

من بعد و يومئذٍ يفرح المؤمنون))

نجد معجزة مزدوجة أيضاً ، الأولى و هي تنبؤ القرآن بأن الروم سيهزمون الفرس بعد أن هزمهم الفرس بفترة قصيرة حيث فرح الوثنيون في مكة بانتصار الفُرس على الروم لكن بعد سبع سنوات فقط (بضع سنين) هزم الروم الفرس في معركة ثانية في منطقة البحر الميت، وهي منخفض أرضي يعتبره علماء الجيولوجيا أخفض منطقة على اليابسة أي كما عبّر القرآن (بأدنى الأرض) ، وحدث ما وعد الله بانتصار الروم و فرح المؤمنين ..

■ **دور الجبال في ثبات القارات في مكانها** : و ذلك في الآية التالية :

((و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم))

و الآية :

((و الجبال أوتاداً))

فالمرساة تثبت السفن مكانها و الوتد يُغرس في الرمل لتثبيت الخيمة، و هذا حال الجبال التي اخترقت بامتداداتها الطبقة اللزجة التي تقع في أسفل الطبقة الصخرية التي تُكوّن القارات، فأصبحت بالنسبة للقارات كالمرساة للسفينة أو

كالوتد للخيمة ..

و قد تأكد للعلماء من هذه الحقيقة العلمية من خلال علوم الجيولوجيا عام **1965** و أثبتوا أنه لولا خلقت الجبال هكذا كالأوتاد أو المراسي لطافت القارات على وجه المياه و تحركت من مكانها لتصدم ببعضها ..

■ **النباتات جنسان كالبشر و الحيوانات** : و ذلك في الآية التالية :

((سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض و من أنفسهم و مما لا يعلمون))

فقد كان معلوماً للناس قديماً أنّ الذكورة والأنوثة لا توجد إلا في الإنسان والحيوان، أما في النباتات فلم يعلم البشر حقيقة هذا الأمر إلا منذ زمن قريب مع تقدم علم التشريح للنبات و اكتشاف السداة (الجزء الذكري من النباتات) و المدقة (الجزء الأنثوي منها) و في زمن نزول القرآن لم يعرف

بشر قطّ هذه الحقيقة ..

■ **دور الرياح في تلقيح النباتات** : في الآية التالية :

((و أرسلنا الرياح لواقح))

و هذه معجزة مزدوجة بدورها ، تؤكد مجدداً أن النبات من جنسين يتم التلقيح بينهما و بأن الرياح تسهم في عملية الإلقاح هذه عبر نقل غبار الطلع من مكان لآخر ..

■ **دوران الأرض حول محورها** : في الآية التالية :

((و ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرَ السحاب))

و هذه معجزة حقيقية تشرح كيف أن الجبال تتحرك في الحقيقة بحركة الأرض حول نفسها كالغيوم ، لكن الإنسان يشعر بها ثابتة لأنه يتحرك معها بنفس التسارع .. تماماً كحال النواس المتدلي من سقف عربة قطار تتحرك فهو بالنسبة لمراقب داخل القطار ثابت أما بالنسبة لمراقب خارجه متحرك بحركة القطار .. أي أنّ القرآن تطرق لمفهوم جملة المقارنة الداخلية و الخارجية قبل قرون من اكتشاف علماء الفيزياء لها ..

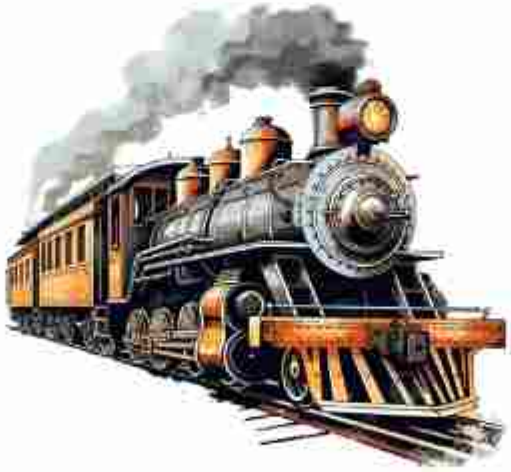

■ **تلوّث البيئة** : و ذلك في الآية التالية :

((ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس

ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون))

فما معنى فساد البحر ؟ إن في ذلك إشارة صريحة إلى اعتداء البشر على الطبيعة براً و بحراً و تلويثها مع تمني السماء عودة الإنسان إلى رشده و تصحيح خطئه الكارثي بتطهير البيئة مجدداً قبل اختلال توازنها ..

■ **انخفاض نسبة الأكسجين في الجو مع الارتفاع فوق مستوى سطح البحر** : و ذلك في الآية التالية :

((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء))

و الآية تشرح نفسها كيف يضيق الصدر و النفس بالارتفاع عالياً فوق الأرض بسبب انخفاض نسبة الأوكسجين ..

■ **الماء شرط أساسي للحياة** : و ذلك في الآية التالية :

((و جعلنا من الماء كل شيء حيّ))

حيث توضح الآية أن سائل الماء شيء مهم وأساسي لوجود الحياة على كوكب الأرض، ولا يوجد حالياً سائل في الأرض يصلح أن يكون وسطاً صالحاً للتفاعلات الحيوية في جسم الأحياء غير الماء، ولقد اكتشف بعض الباحثين أنّه حتى الأحياء المجهرية كالبكتريا تستطيع العيش بدون هواء لفترة زمنية ولكنها لا تستطيع الاستغناء عن الماء مطلقاً ، كما تشير الآية إلى ذلك من قبل أن يعرف البشر هذه الحقيقة العلمية فقد جهل البشر وقتها أن النسبة الساحقة من جسد الإنسان تتكون من الماء و بأنه الوسط الأساسي للتفاعلات الحيوية الخلوية ..

■ **الأمواج العميقة و السطحية** : و ذلك في الآية التالية :

((أو كظلمات في بحرٍ لجيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ))

حيث اكتشف الغواصون الإسكندنافيون في بداية القرن العشرين حقيقة كانت مختفية في أعماق البحار بوجود أمواج مختلفة عن أمواج سطح البحار تقذفهم بعيداً .. و وثّقت هذه الحقيقة في نهاية الحرب العالمية الثانية بواسطة الغواصات العسكرية التي كان يستخدمها الحلفاء، إذ كانت تنعكس عندهم موجات أجهزة السونار المستخدم، ثم تأكدت حقيقتها نهائياً في أواخر القرن العشرين عبر بحوث علمية حديثة ..

■ **ظلمات المحيطات المختلفة** و ذلك في الآية التالية :

((أو كظلمات في بحر لجيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ، ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها))

فقد كشفت العلوم الحديثة أنّه في قاع البحار العميقة الكثيرة

الماء - البحر اللجي – كحال المحيطات ظلمات متدرجة الشدة، حتى إن المخلوقات الحية تعيش في هذه الظلمات بلا أدوات بصرية وإنما تعيش مستخدمة حواسها الأخرى كالسمع، ولا توجد هذه الظلمات الحالكة في ماء البحر الذي يحيط بالجزيرة العربية وإنما اكتشفوها في المحيطات العميقة البعيدة عنها ، فتتكون هذه الظلمات من **البحر العميق اللجيّ** أولاً، ثم **الموج الداخلي** الذي يعكس أشعة ضوء الشمس فلا يسمح لها بالنفاذ إلى الأسفل ثانياً، ثم **الموج السطحي** ثالثاً الذي يعكس جزءاً من الأشعة، و أخيراً **السحاب** الذي يحجب كثيراً من أشعة الشمس فلا يسمح لها بالنفاذ إلى الأسفل ، فهي بذلك **4** ظلمات بعضها فوق بعض كما ذكرت الآيات بالضبط ..

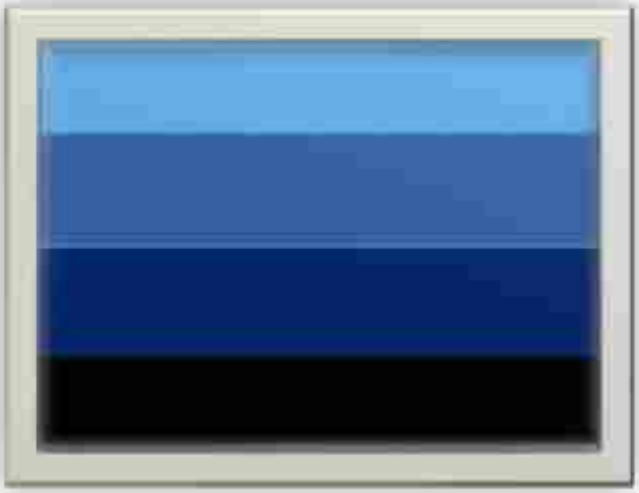

■ **البحار لا تختلط** : و ذلك في الآية التالية :

((مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان))

فقد اكتشف الباحثون أن مياه البحار لا تمتزج مع بعضها البعض، حيث وجدوا أن مياه البحر الأبيض المتوسط لا تمتزج بمياه المحيط الأطلنطي عند مضيق جبل طارق بل يلتقيان عبر حاجز دون اختلاط ..

كما توجد مناطق كثيرة في العالم يلتقي فيها الماء العذب مع ماء البحر من دون امتزاج .. مثال على ذلك في أمريكا الجنوبية حيث يصب الماء العذب الذي يأتي من الكهوف القريبة من الشاطئ في المحيط من دون أن يختلط مع الماء المالح للبحر ولمسافات طويلة، أو عند اتصال بحرين أو نهرين بكثافات مختلفة، وتوجد هذه الظاهرة ايضاً في منطقة الازقة البحرية في جنوب نيوزيلندا .. علماً بأنَّ هذه الظاهرة غير موجودة في البحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية موقع نزول القرآن على النبي محمد، كما كان عدد من القارات غير مكتشف وقت نزول القرآن، ومنها أمريكا الجنوبية و أوقيانوسيا .. و التفسير العلمي لهذه الظاهرة أنّ قوة الشد

السطحيّ تختلف حسب كثافة الماء، وهذا الاختلاف يمنع امتزاج مياه بحرين أو بحر و نهر بسبب اختلاف كثافة مياهها

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مغالطة القرآن بيد فنّان**) من الأقرب للمنطق ألا نقول بعد الآن :

= القرآن كتاب بسيط و بدائي من كتابة بشر فلا وجود لأي دليل إعجازي يوحي بان مصدره سماوي..

بل أن نقول :

= لا يكفي أن نختم قراءة القرآن مرات و مرات دون وعي بل علينا التدبر في مضمون آياته و لو لمرة واحدة لنكتشف بأنفسنا كم هو قرآن كريم بما يجود علينا من أسرار و حقائق مذهلة ، ناهيك عن تنظيم شؤون حياة البشر في كافة المجالات ..

ما أشبه القرآن بلوحات الفنان ليوناردو دافنشي العظيمة .. أول ما تراها تجدها بسيطة و واضحة ، لكنك كلّ ما تعمقت فيها أكثر وجدتها تزخر بأسرار دفينة لا ترصدها سوى العين الخبيرة ، أسرار عن حقائق مذهلة و خطيرة لا يمكن التصريح بها علناً بل يلمّح بها تلميحاً لتكتشف عبر صفحات الزمن توالياً و في الوقت المناسب الذي يتقبل فيه البشر هذه

الأسرار و الحقائق ، كما يكتشف تطور العلم أسرار القرآن الدفينة جيلاً بعد جيل ..

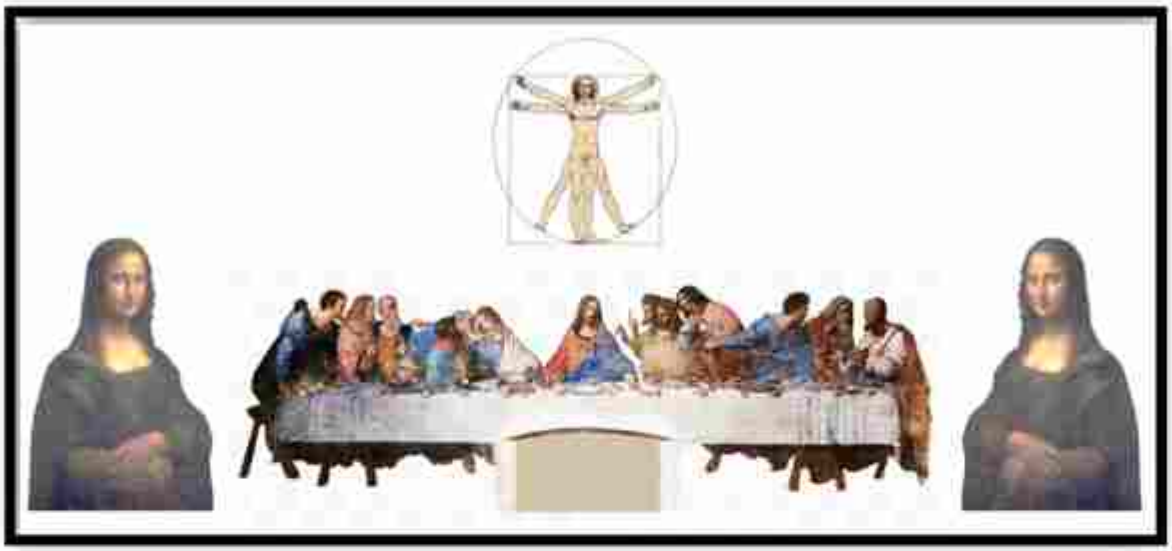

مغالطة الكؤوس الملوّنة

(لا تحكم على الكتاب من غلافه)

= ماذا أصابك يا بني ، لماذا ثيابك ملوّثة هكذا ؟

= إنه زميلي في المدرسة دانيال .. لقد دفعني إلى الوحل ..

= و لماذا ، هل أسأت إليه ؟

= أبداً .. بدون سبب ، إنه فتى سيء و شرير يزعج الجميع و يعاكس الفتيات ، كما يعتدي على الضعفاء .. يجب طرده من المدرسة على الفور ..

= اهدأ يا بني .. و لا تتعجّل في الحكم على الآخرين .. لابدّ من وجود أسباب وجيهة قاهرة تقف خلف تصرفاته هذه .. غداً سأذهب معك إلى المدرسة كي أفهم الموضوع أكثر ..

في صبيحة اليوم التالي توجّه الأب مع ابنه إلى المدرسة حيث التقى بالمديرة جانيت و شرح لها الموضوع باختصار ، ثم طلب منها استدعاء التلميذ دانيال للقائه قليلاً .. و بعد دقائق طُرق الباب فصاحت المديرة ..

= ادخل ..

فُتح الباب ليجد الأب أمامه تلميذاً نحيلاً للغاية بثياب بالية غير مكويّة و متسخة ، و كلّ كآبة العالم في ملامحه ..

= هذا هو دانيال سيد ترومان ..

بعد حديث مقتضب مع التلميذ ، غادر السيد ترومان المدرسة و هو في غاية الحزن على دانيال ، لقد كانت توقعاته في مكانها ، فهو طفل في العاشرة من عمره ، ابن غير شرعي ،

تخلى والده عنه قبل ولادته ، ثم تزوجت أمه من رجل آخر يعامله بقسوة مفرطة ، و هما مدمنان على المخدرات ، كما أن أمه تعمل في البغاء بموافقة زوجها و تهمل تربيته و الاهتمام به كليا ..

و أخذ ترومان يفكر بينه و بين نفسه :

= ماذا يتوقع المجتمع من طفل في هذه الظروف أن يكون ؟ لو كان ابنه يعيش في ظروفه نفسها لما اختلف عنه .. إنّ دانيال ضحية قبل ان يكون جانٍ ، بل إنه أصبح جانياً بسبب كونه ضحية ، هذه هي الحقيقة المرّة عندما نضع الأمور في ترتيبها الصحيح .. و المجتمع للأسف لا يأبه لهذه الحالات ، لكنه سيدفع الثمن غالياً في المستقبل عندما يكبر دانيال و يصبح مجرماً أو لصّاً مثلاً ، فالمجتمع يحمل المجرمين في رحمه ، و لن يهبطوا عليه من السماء ..

*****

لا شك عزيزي القارئ بأنك مررت من قبل بمواقف كثيرة مشابهة لقصتنا السابقة ، عندما نتعرض لإساءة أو أذية من أشخاص آخرين أو نستهجن تصرفات غريبة سلبية منهم ، فنتسرع بالحكم عليهم و نطلق عليهم صفاتٍ ذميمة أو نطالب بمعاقبتهم بأنفسنا أو عبر القانون .. متغافلين عن حقيقة من حقائق الحياة المرّة للغاية ، بأنّ لهؤلاء جميعاً قصص خفية عن أعيننا مفعمة بالبؤس و الألم أو أسباباً وجيهة كانت الدافع الحقيقي و البديهي لتصرفاتهم ، لكننا بدلاً من

مساعدتهم ، تزيد قسوة حياتهم و ظروفهم أكثر بعقابهم أو التهكّم عليهم .. و هذا هو صلب مغالطتنا الجديدة الهامة و الحسّاسة في حياتنا (**الكؤوس الملونة**) مع سؤالها المنبثق عمّا سبق :

((هل القصاص من المسيئين يكون بعقابهم على إساءتهم ، أم بتصحيح الخلل الحادث في حياتهم المولّد للإساءة كي تتصحّح ذواتهم تلقائياً ، فنقوّم و نعدّل أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم بالنهاية ؟))

و سأستعين بالفيزياء كي أجيب مبدئياً على هذا السؤال :

((إن أردت الارتواء من العطش ، يمكنك شرب كأس ماء ببساطة .. لكنك إن وضعت الكأس في الثلاجة فسيتجمد ماؤه و لن تتمكن من شربه ، و إن وضعته على النار سيتبخر ماؤه و يضيع .. فإن أردت الاستفادة من الماء ضعه في الظروف المناسبة .. و هذا ما ينطبق على الإنسان بالضبط))

و لكي نحلل هذا الجواب بشكل أعمق و على نحوٍ كافٍ كما آمل لا بدّ من التطرّق إلى نظريتين غاية في الأهمية قبل كل

شيء و هما (**نظرية الكؤوس الملونة**) و (**نظرية الجبل الجليدي**)..

1 نظرية الكؤوس الملونة :

تقول هذه النظرية بأنّ روح الإنسان شفافة كالماء و البيئة التي تحيط بالإنسان بمثابة الكأس الذي يحتوي هذا الماء .. فإن كانت الكأس حمراء بدا الماء أحمراً أو زرقاء بدا أزرقاً و هكذا .. فإن أردت للماء أن يأخذ لوناً محدداً فاختر لون الكأس لا لون الماء ، لأنّ الماء لا لون له بل يستمدّ لونه من لون الكأس ..

و هذا ما ينطبق على روح الإنسان ، فإن أردتها روحاً نقية تتحلى بالأخلاق الرفيعة و تفيد المجتمع فضعها في كأس يمنحها هذه الصفات ، فلا تتوقّع من أناس نشأوا في بيئات الجريمة و الرذيلة و الإهمال أن يصبحوا كهنة و علماء مثلاً .. و إن زرعت بذرة تفاح في التراب ، لا تتوقع أن تخرج منها شجرة برتقال .. و الأسوأ أن تزرع بذرة في صحراء

جافة قاحلة و تتوقع خروج شجرة بالأساس ..

2 نظرية الجبل الجليدي :

و هي نظرية شهيرة تقول بأن الجبل الجليدي الطافي فوق سطح المياه يتكون من جزء بسيط فوق المياه أما الجزء الأكبر منه فهم محجوب عن الأعين تحت الماء .. و هكذا هم البشر من حولنا ، نرى منهم تصرفاتهم فقط و نحكم عليهم من خلالها ، أما الجزء العميق الأكبر من حياتهم الذي يحتوي تفاصيل مؤلمة و مفعمة بالمصاعب و المعاناة أو الأمراض فلا نعرف عنه شيئاً و نسقطه من اعتبارنا عند الحكم على تصرفاتهم ..

نتابع الآن تحليل مغالطتنا بتفسير السبب القابع خلف ارتكاس الناس السلبي تجاه السلبيات بدلاً من تفسير أسبابها ثم سنقوم بتصنيف تلك الأسباب ..

1 السبب القابع خلف ارتكاس الناس السلبي تجاه السلبيات بدلاً من تفسير أسبابها :

في الحقيقة هذا الارتكاس هو منعكس لا واعي و لا إرادي عند البشر ، حيث أنّ الإنسان بطبعه ينحو مسلكاً شاذّاً في تقييم البشر من حوله ، فبدلاً من التماس الأعذار لأخطاء الآخرين و زلاتهم ، يقوم بتسليط الضوء أكثر عليها و تضخيمها ثم التنظير عليهم من موقع الواعظ ، المقرّع و أخيراً المعاقب .. و السبب النفسي الكامن خلف هذا المنعكس الشّاذ هو ببساطة أنّ الإنسان عندما يتحدث عن عيوب الآخرين و أخطائهم فإنّ ذلك يمنحه باللاوعي شعوراً بالكمال و التنزّه عن الخطأ كما لو كان معصوماً فينتشي و يشعر بالتميز و بأنه عبارة عن كتلة من الإيجابيات البحتة كذهب خالص لا تشوبه شائبة .. متناسياً عيوبه و متغافلاً عن أخطائه السابقة و الأخطر متعامياً عن ظروف الشخص الذي أخطأ ..

و للأسف هذا المنعكس الواقعي محزن و مؤلم بحقّ لأنه يحمل في طياته ظلماً كبيراً يفاقم المشاكل بدلاً من أن يحلّها .. فالإنسان عوضاً عن التماس العذر للسلبيات التي يراها و تشخيص أسبابها يقوم بذمها و فضحها ثمّ معاقبة صاحبها .. أي ببساطة يصبّ الإنسان الزيت على النار أو ينثر ملحاً على الجرح يفاقم آلام الإنسان المخطئ و يحطّم نفسيته أكثر .. لا لشيء سوى لادعاء عصمة و كمال و هميين لنفسه المفعمة بالأخطاء ..

لذا علينا ألا نتسرّع في إلقاء الأحكام على الآخرين بشكل انعكاسي بسبب مواقف سلبية صدرت عنهم و أن نقمع هذا المنعكس بالتماس العذر لهم كي يلتمس الآخرون أعذاراً لأخطائنا بدورها .. و لأهمية فلسفة التماس العذر هذه في إرساء العدل في تعامل الناس مع بعضهم و في مساعدة الخطائين على التغيير الإيجابي البنّاء نجد إمام الأئمة **جعفر الصادق** يقول :

((التمس لأخيك سبعين عذراً ، فإن عجزت اخلق واحداً له))

كذلك نجد نبي الرحمة **محمد** يخاطب خالقه بالقول :

((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))

فلم يقل : اللهم اسحق و امحق قومي فإنهم مشركون كفار .. بل التمس عذراً لإشراكهم بأنهم لا يعلمون الحقيقة .. و ما أنبله من تصرّف ..

و في التراث الشعبي قصة شهيرة مفعمة بالعبر عن التسرّع في إطلاق الأحكام قبل تقصّي الحقائق الكامنة خلفها .. تتحدث عن صيّاد عاد من عمله إلى منزله فاستقبله كلبه ملطخاً بالدماء التي تسيل من فمه و حذاء ابنه الصغير معلّق في فمه ، فجنّ جنونه بعد أن استنتج بأنّ كلبه هاجم ابنه فأطلق النار على كلبه و قتله .. ثم سارع ملتاعاً إلى غرفة ابنه كي

يسعفه إن أمكن فوجده في سريره غافٍ و سليم ، و بجوار السرير وجد ذئباً صريعاً على الأرض غارقاً في دمائه ، فأدرك الحقيقة بأنّ كلبه حمى ولده من الذئب و قتله معرّضاً نفسه للخطر ، لكنه عاقبه على وفائه هذا بالقتل بسبب تسرّعه بالحكم عليه و انخداعه بالمظاهر فقط ..

فالانخداع بالمظاهر يولّد في كثيرٍ من الأحيان الظلم و الندم كما قال **الإمام الشافعي** :

للناس ظاهر و المظاهر تخدع

فلا تحكمن بالذي ترى و تسمع

كما نجد في التراث الإنجليزي مقولة شهيرة حكيمة في نفس السياق :

((لا تحكم على الكتاب من غلافه))

فالناس من حولنا كتب سائرة ، غلافها هو تصرفاتهم ، أما حكاية الكتاب الحقيقية الطويلة التي انتهت بهذه التصرفات فغائبة عن أبصارنا .. و لو سنحت الفرصة لنا لقراءة هذه الكتب ، لذهلنا من الأحداث الغريبة فيها و التي لا يمكن أن تنتهي منطقياً إلا بتلك التصرفات ..

❷ الأسباب الكامنة خلف الصفات و التصرفات السلبية :

بالطبع كثير من البشر في الحياة يمارسون أفعالاً خاطئة فقط

من أجل الفائدة الشخصية ، و نحن هنا لا نقارب حالتهم و لا ندافع عن أفعالهم ، بل نتطرّق إلى بعض السلبيات التي ليس للإنسان سيطرة عليها بل هو بنفسه ضحية ظروفها القاهرة ، و يمكن ردّ هذه الفئة إلى **3** أسباب محورية :

◍ **البيئة السلبية** : كما سبق و حللنا ، فالبيئة هي الكأس الملونة التي تضفي على روح الإنسان الشفافة لونها .. فمن نشأ في بيئة الجريمة و الرذيلة و التعاطي ، لا تتوقع منه أن يصبح كاهناً أو شرطيّاً مثلاً ، إلا بوقوع حدث جلل يغير من مسار حياته ..

◍ **غايات إيجابية** : فكثيراً ما يقوم البشر بأعمال يستهجنها الآخرون و يذمونهم عليها ، لكن لأنفسهم غايات نبيلة منها يصعب على الآخرين إدراكها .. و خير مثال على ذلك قصة **النبي موسى** مع **الخضر** .. عندما خرّب الخضر سفينة أقلّتهم ثم قتل فتى التقاهم .. مما جعل النبي موسى يصاب بالدهشة و الحيرة قبل أن يفسّر له الخضر غاياته الحميدة مما فعل ..

◍ **حالات مرضية** : و من وحي توجهي المهني في الحياة كطبيب ، فمغالطتنا شائعة جداً في الأمراض الطبية ، و للأسف كثيراً ما نتهم البشر من حولنا بصفات ذميمة قد تدمّر حياتهم أو حتى تنهيها ، دون أن ندرك بأنّ تصرفاتهم السلبية نابعة من أمراض يعانون منها نجهلها فنهينهم أو نؤذيهم أو نقتلهم بجهالة ، و سأذكر بعض الأمثلة الهامّة للغاية عن ذلك

للإيضاح أكثر :

❁ **ورم القواتم** : هو ورم في غدة الكظر القابعة فوق الكلية و يفرز كميات هائلة من هرمون الأدرينالين الذي يسبب الغضب الشديد ، خفقان القلب ، الصداع ، التعرق الغزير ، ارتفاع التوتر الشرياني ، الاندفاع و التصرفات العدوانية المتهورة و غير المسؤولة ..

القصة : تم القبض على قاتل متسلسل أقدم على قتل **26** شخص على فترات زمنية متباعدة ، و عند التحقيق معه برّر جرائمه بأنه يتعرض لنوبات غضب يفقد فيها السيطرة على مشاعره و أفعاله و يرتكب خلالها جرائمه هذه .. و بعد عرضه على طبيب شك بحالته الصحية فطلب إجراء طبقي محوري **CT** للبطن و الحوض و تم تشخيصه بورم القواتم بالفعل مما فسّر ارتكابه لسلسة جرائمه بالفعل ، فمن نفذها هو هرمون الأدرينالين لا دماغ الشخص و قناعاته .. و في حين أنه مجرم في نظر المجتمع ، هو ضحية مرضه و بحاجة لعلاج ..

❁ **الصرع** : هو نشاط كهربائي زائد في الدماغ يسبب اختلاجات عضلية عنيفة ..

= **القصة** : فسّر كاهن الكنيسة في العصور الوسطى الاختلاجات العضلية لمريض صرع بأنه مسّ شيطاني يصرخ من داخله فقرّر حرقه حياً لقتل الشيطان و تخليص روحه منه .. في حين اقترح الطبيب حفر ثقب في جمجمته لإخراج الشيطان من جسده .. وفي حين أن الشاب ممسوس بشيطان في نظر المجتمع ، هو مريض يحتاج العلاج ..

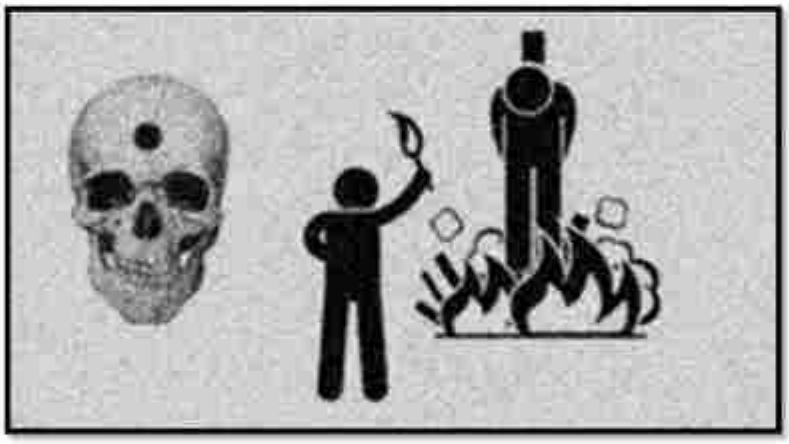

❁ **اضطراب فرط النشاط و قلة الانتباه ADHD** :

هو مرض يصيب الأطفال فيجعلهم كثيري الحركة و لا يمكنهم الثبات بوضعية واحدة لفترة طويلة بل يعتبر ذلك تعذيباً لهم ، إضافةً إلى نقص انتباههم لما يجري في المحيط من حولهم ..

القصة : استدعت إدارة إحدى المدارس والدي أحد التلاميذ فاشتكوا لهما بأنه دائم الحركة و الشغب و قليل التركيز في الدروس أو الانتباه لشرح الأساتذة لذا فتحصيله الدراسي

سيء للغاية ، و بعد فشل الأهل و المدرسة في ترويض طباعه عبر محاولات شتّى، تم طرده من المدرسة لينهار مستقبله العلمي في بدايته .. ففي حين أن التلميذ كسول و لا مبالي أو مسؤول في نظر عائلته و مدرسته ، هو مريض يستحق العلاج ..

❁ **فرط الهرمونات الذكرية** : هو فرط إفراز هرمون التستوسترون في الجسم بسبب ورم في الخصية أو غدة الكظر مما يسبب الهياج الجنسي و الاعتداء على الآخرين ..

القصة : تم القبض على شاب ثلاثيني متهم بالاعتداء الجنسي على عشرات الفتيات ، لم يتم عرضه على طبيب بل قدم مباشرة للمحكمة حيث حكم عليه بالإعدام بالكرسي الكهربائي .. و في حين أنّ هذا الشاب مغتصب قذر و متوحش بنظر المجتمع ، هو مريض يجب علاجه على الفور

❁ **قصور الدرق** : عدم إفراز غدة الدرق لهرموناتها مما يسبب الخمول ، البدانة و قلة النشاط الجنسي ..

القصة : زوج يشتكي من زوجته بأنها أهملت نفسها فأصبحت بدينة ، بليدة و لا مبالية ، كما أنها لا تؤدي واجباتها الزوجية تجاهه ، لذا طلقها و تزوج ثانيةً مضحياً بقصة حب عظيمة جمعتهما لسنوات .. ففي حين أنها زوجة مهملة و مقصّرة بنظر زوجها و المجتمع ، هي تعاني من مرض يستوجب العلاج ..

❁ **مرض السرقة** : حالة نفسية يصنّفها البعض كشكل من أشكال الوسواس القهري ، بحيث يشعر المريض برغبة جارفة لسرقة أي شيء مهما كان تافهاً كي يرتاح نفسياً ..

القصة : تم القبض أخيراً على اللص الذي ينشل المحافظ بعد أن دوّخ رجال الشرطة ، فتبين أنه للغرابة ثريّ جداً و لا يحتاج المال ، بل أنه يحتفظ بجميع المحافظ التي نشلها بمحتوياتها في غرفة خاصة كبيرة في منزله ، لكنه حوكم كلص في النهاية و سجن لسنوات .. ففي حين أنه لصّ بنظر المجتمع ، هو مريض لا أكثر ..

❁ **الاسكاريس و الفجع** : ديدان في الأمعاء تتطفل على غذاء الإنسان و تمص دمه فتحرمه من المغذيات ، لذا يكون جائعاً على الدوام و يأكل بنهم شديد زائد عن الحاجة الطبيعية ..

القصة : أصبحت إحدى الفتيات مثار سخرية زملائها بسبب نهمها الزائد فوصفت بالفجعة التي لا تشبع ، حتى سبّب ذلك لها مشاكل اجتماعية دفعتها للعزلة و عدم الاختلاط بالآخرين كما أثر على تقديرها الذاتي لنفسها .. ففي حين أنها فجعة بنظر زملائها ، هي مريضة و تحتاج الدعم و العلاج ..

❁ **الكذب المرضي** : ميل دائم للكذب بخصوص أي شيء من منشأ نفسي دون أي غاية أو مكسب شخصي من هذا الكذب ..

القصة : تم طرد الموظف من عمله أخيراً بعد أن شكى زملاؤه و المراجعون من كذبه الدائم بشؤون العمل حتى نفد صبر المدير .. و أصبحت حياة عائلته على المحك بعد أن فقد مصدر دخله الوحيد .. ففي حين أنه كذّاب و منافق بنظر

الآخرين ، هو مريض و حسب ..

❁ **استسقاء الدماغ الخلقي** : و جود عائق يمنع تصريف السائل الدماغي الشوكي من بطينات الدماغ فتتوسع و يكبر حجم الرأس ..

القصة : تم اتهام إحدى النساء في بيئة متخلفة ثقافياً بأنها أقامت علاقة جنسية مع كائن فضائي عقب ولادتها لطفل يشبه بهيئته هيئة الفضائيين كما هي معروفة ، مما جعل حياة الأم الاجتماعية معقدة و صعبة للغاية ، حيث رفض الجميع مصادقتها أو مساعدتها .. ففي حين أن الطفل يعاني من تشوه خلقي ، نسبت إلى أمه قصص خرافية كارثية ..

❁ **متلازمة التوأم المتلاشي** : موت أحد التوأمين في الرحم فيمتص التوأم الآخر خلاياه بحيث تحمل خلاياه الجسدية صبغياته الخاصة أما خلاياه الجنسية فتحمل صبغيات التوأم الآخر ..

القصة : عندما تم إجراء اختبار الأمومة لسيدة من أجل حضانة طفلها تبين أنها ليست أمه البيولوجية و تم اتهامها باختطاف الطفل و سجنت بسبب ذلك .. ففي حين أنها مجرمة بنظر القانون ، هي بريئة و حرمت من حريتها و ابنها ..

❁ **غشاء البكارة غير المثقوب** : تراكم دم الطمث في رحم الفتاة عند بلوغها الجنسي بسبب امتلاكها لغشاء بكاره مسدود مما يسبب تضخم بطنها ..

القصة : قام رجل بقتل ابنته المراهقة بعد اتهامه لها بالزنا و الحمل غير الشرعي ، بعد أن بدأ بطنها بالانتفاخ تدريجياً على نحوٍ مشابه للحمل بالفعل .. تبين بعد تشريح الجثة أن بطن الفتاة مليء بدم الطمث لا بجنين كونها تملك غشاء بكارة غير مثقوب .. ففي حين أنها زانية بنظر المجتمع ، هي طفلة بريئة قتلت ظلماً ..

❁ **اضطراب الشخصية المعادي للمجتمع** : اضطراب شخصية عند المراهق يتمثل بثالوث يدعى ثلاثي ماكدونالد (حرق المرافق العامة ، أذية الحيوانات و سلس بولي) ..

القصة : تقدّم سكان الحي بشكوى للشرطة عن مراهق جار لهم يقوم باستمرار بتخريب و حرق حدائقهم و سياراتهم كما أنه يعذب القطط و الكلاب و السناجب ثم يقتلها .. تمّ إلقاء القبض على المراهق و أدخل سجن الأحداث .. ففي حين أنه

مراهق طائش ، أرعن و مؤذي .. هو مريض يحتاج دعماً نفسياً كبيراً ..

و غيرها من الحالات الطبية التي تدفع المرضى إلى صفات سلبية و تصرفات خاطئة قد تصل إلى حدّ القتل أو الاغتصاب .. فيذمّهم الناس بأبشع الصفات و يعاقبهم القانون بالسجن المؤبد أو الإعدام ، في حين أنهم ضحايا المرض و يحتاجون الدعم و العلاج لا التقريع و النبذ و الانتقام ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الهامة (**الكؤوس الملونة**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= انظروا لصفات فلان السلبية أو تصرفاته الشاذّة .. ذمّوه ، انبذوه ، عاقبوه ..

بل أن نقول :

= لكل فعل ردّ فعل .. و تصرفات شخص ما السلبية هي مجرد ردّ فعل على ظروف سلبية يعيشها .. و المنطق الأخلاقي ، الإنساني و العقلاني يقتضي بالضرورة تشخيص سبب تصرفاته ، بالعودة إلى بيئته و تغيير ظروفه نحو الأفضل ، و عندما يعالج الداء بشكل صحيح تزول الأعراض مباشرةً و يشفى المريض .. و ليس حلّ المرض بقتل المريض لإنهاء أعراضه ..

الطب مهنة سامية بلا شكّ تشخّص أمراض الجسد و النفس فتعالجها .. و تحتاج دراسة لسنين طوال كي تنال شهادة تخوّلك ممارستها .. لكن هنالك في الحياة مهنة تشبه الطب كثيراً لكنها أسمى منها بكثير و يمكن لأي إنسان ممارستها بلا شهادة ، بل واجبه الأخلاقي و الإنساني و الديني يحتّم عليه ممارستها مع الجميع و هي تشخيص أمراض الروح و علاجها .. و ذلك بالتماس الأعذار لكل إنسان تبدر منه صفة سلبية أو تصرّف خاطئ مهما كان نوعه أو شدته .. فخلف هذه الصفات و التصرفات تكمن أسباب قاهرة تفسّرها و تجرّ البشر من ناصيتهم نحوها ، و هي بحاجة للتشخيص و العلاج بغية إنقاذ روح الإنسان قبل فوات الأوان عليه و على من حوله .. **و كن على ثقة عزيزي القارئ أنك في حال وضعت في كأس الظروف ذاتها ستتحلى بتلك الصفات السلبية أو تتصرف تلك الأفعال المذمومة كغيرك** .. فكلنا في الحياة ماء بلا لون ، و الكأس الذي نحيا فيه سيفرض علينا لونه .. لذا التمس عذراً لأخيك في الإنسانية ، شخّص حالته

ثم عالجه بتغيير كأسه إلى كأسٍ أرقى كي تحيا روحه و تسمو من جديد .. فالقصاص للمسيء لا يكون بإيذائه نفسياً أو جسدياً ، بل بتجفيف مصدر تصرفاته السلبية ، كما قال تعالى :

((و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما))

و القطع هنا ليس الوحشية بقطع اليد البشرية حرفياً ، بل بقطع السبل التي دفعتهما للسرقة .. فالسارق الذي يسرق لأنه محتاج في بلد لا يكترث لحالته ضحيّة ، و الحكومة هي الجاني ، و قصاصه بتأمين احتياجاته كي لا يضطر لمدّ يده للسرقة ..

مغالطة علم الغيب

(رؤية زرقاء اليمامة و رؤيا نوستراداموس)

لفظ الطبيب العرّاف الشهير أنفاسه الأخيرة لتغادر روحه جسده نحو السماء .. و تكريماً لمكانته الاجتماعية المرموقة بحكم الهالة الروحانية التي أحاطت به في حياته بسبب نبوءاته الكثيرة التي تحققت بالفعل، قام الناس بدفنه واقفاً في أحد جدران **كنيسة كورديلييه** في بلدة **سالون** الفرنسية ..

بعد سنوات و مع انتصار الثورة الفرنسية تعرضت جثته للنبش من قبل ثلاثة شبان سكارى ليجدوا قلادة حول عنق هيكله العظمي كتب عليها :

((سيتم انتشال جثتي من الجدار بعد انتصار الثورة الفرنسية الكبرى من قبل ثلاثة شبان سكارى سيموت اثنان منهم و يصاب الثالث بالجنون))

عندما قرأ الشبان السكارى ما كتب على القلادة أصيبوا

بالهلع ، كيف تنبأ هذا الرجل بدفنه في الجدار ثم بقيام الثورة ثم انتصارها ثم قيامهم ثلاثتهم بنبش جثته ؟!! فخرجوا من الكنيسة يركضون بفزع حتى قبض عليهم رجال الشرطة لاشتباههم بتحركاتهم الغريبة و كأنهم ارتكبوا جرماً ما و فرّوا منه ، حاول اثنان من الشبان الفرار من الشرطة فأطلق عليهما رجال الشرطة النار و قُتلا على الفور، هنا أصيب الشاب الثالث بالصدمة و قد صدقت نبوءة الطبيب العراف الأخيرة بحذافيرها ففقد عقله من هول المفاجأة و جنّ بالفعل!

*****

هذه القصة الغريبة و المخيفة تنسب في بعض المصادر إلى العراف الطبيب الشهير الفرنسي **نوسترادامو**س أحد أشهر عرافي التاريخ بلا منازع و إن كان مشكوكاً بصحتها و البعض يعتبرها مجرد مشهد من فلم سينمائي أنتج عن حياته ، لكنّ الكمّ الهائل من التنبؤات الصحيحة التي ذكرها هذا العرّاف في كتابه الشهير (**كتاب التنبؤات**) يجعلنا نقتنع بسهولة بصحتها رغم غرابتها ، فما أنت مقبل على قراءته عزيزي القارئ حول تنبؤات هذا الطبيب و غيره سيصيبك بالذهول بلا أدنى شك ، و على الأرجح أنك (تنبأت)

عزيزي القارئ بأنّ جوهر مغالطتنا التالية (**علم الغيب**) هو التنبؤات و أنت محق بالفعل ، ليسافر سؤالها الهام التالي من عالم الغيب و يحط رحاله في دنيا الواقع التي لا تعترف إلا بالحقائق و الأرقام :

((هل هنالك حقّاً بشر يعرفون الغيب فيتنبؤون بأحداث تتم بالفعل بعد زمن من نبوءاتهم ؟ أم أن الموضوع برمته شعوذة و دجل أو ضربة حظ **قد تصيب أو تخيب ؟))**

و سنجيب على هذا السؤال بطريقة وجيزة أولية على النحو التالي :

((وفق العلم **لا يمكن أبداً التنبؤ بأحداث المستقبل بشكل مطلق ، و** الدين **يدعم العلم في هذه الفكرة ، لكن مما لاشكّ فيه أيضاً أنّ هناك تنبؤات تاريخية غزيرة تحققت بالفعل على نحو مذهل و صادم يتركنا في حيرة من أمرنا !!))**

و لتحليل هذا الجواب بشكل أعمق و أدقّ سنلجأ إلى مقاربة مغالطتنا عبر **3** محاور رئيسية :

1 أنواع معرفة الغيب : و هما نوعان رئيسيان :

◈ **معرفة الغيب المطلق** : أي معرفة كل شيء سيحدث في المستقبل و هو أمر مقتصر على الإله الخالق فحسب ، و لا يمكن لأي بشري امتلاكه كما قال تعالى في الذكر الحكيم :

((قل لا يعلم من في السموات و الأرض الغيبَ إلا اللّهُ))

و التفسير البسيط لذلك هو أن معرفة أي إنسان بكل ما سيحدث يجعله قادراً على التلاعب بالقدر و تغيير مسار الأحداث و هذا أمر غير جائز الحدوث بشكل بديهي .. ناهيك عن استحالة القيام بذلك علمياً ، فربما كان العلم قادراً على التنبؤ ببعض الأحداث بالاعتماد على التحليل المنطقي و ربط المعلومات المتوفرة لديه كي يخرج بتوقعات معقولة ، لكنه بلا شك عاجز عن معرفة كل شيء سيحدث في المستقبل بشكل مطلق ..

◈ **معرفة القدر الجزئي** : و هي هبة كغيرها من الهبات المتنوعة التي يوزعها الله على عباده من هبات فنية أو علمية أو جسدية أو مادية ... خصّ الله بها بالفعل بعض البشر الذين يطلق عليهم (**عرافين أو مستبصرين أو وسطاء روحانيين**) .. و هذا مختلف عن الدجل و الشعوذة حينما يدعي بشر لا يمتلكون هذه الهبات قدرتهم على التنبؤ ببعض الأحداث فيزيفونها و يدخلون متبعيهم في متاهات و ضلالة .. و قد اشتهر بشر كثيرون بهذه الهبات التي أثبتتها التجربة بعد تنبؤاتهم الكثيرة الصحيحة المتتالية كحال عرافة دلفي و العراف تيريسياس عند الإغريق ، العراف الطبيب الفرنسي نوستراداموس ، العرافة البلغارية العمياء بابا فانغا .. و غيرهم كثيرون ..

❷ **طرائق معرفة الغيب** : و هي كثيرة للغاية لكن يمكن إيجازها في بنود رئيسية ..

❁ من علّام الغيوب الله تعالى : كحال الأنبياء و الرسل الذين أخبرهم الله عبر الملائكة بحقائق كثيرة مستقبلية حدثت بالفعل و اللائحة في هذه النقطة تطول نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- إخبار النبي نوح قومه بقدوم الطوفان ..
- إخبار النبي صالح قومه ثمود بعواقب عقر الناقة ..
- إخبار السيد المسيح لتلميذه بطرس بأنه سينكره ثلاث مرات قبل صياح الديك في ليلة اعتقاله ..
- إخبار الرسول محمد لبعض صحابته بمصيرهم كقوله لأبي ذر الغفاري : (**تعيش وحيداً و تموت وحيداً و تبعث وحيداً**) و هذا ما آلت إليه أموره بالفعل .. و قوله لعمار بن ياسر (**تقتلك الفئة الباغية**) و هذا ما حدث بالفعل في معركة صفين الشهيرة ..
- علامات قيام الساعة الصغرى و الكبرى ، و التي بدأت بالتحقق تباعاً بالفعل ..

❁ الرؤيا : و هي أحلام النوم أو اليقظة التي يرى فيها الإنسان أحداثاً معينة تتم لاحقاً بالفعل .. و هي الطريقة الأشيع اتباعاً بين أشهر العرافين عبر التاريخ ..

❁ الحاسّة السادسة : و هي مشاعر خاصة تراود بعض البشر بحدوث أمر قريب و كثيراً ما يتم بالفعل ..

❁ تحليل الاسم و تاريخ الميلاد : و هي تتبع أكثر لعلوم التنجيم و الفلك .. و رغم نقاط الضعف الكثيرة في هذا العلم حالياً ، فلا ننكر بأن الله تعالى أكد بنفسه بأنّ لمواقع النجوم في السماء تأثيراً هاماً في حيواتنا ، و ليست مواقع اعتباطية بلا معنى ، إذ قال :

((فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه قسمٌ لو تعلمون عظيم))

أي أن مواقع النجوم مدروسة بدقة إلهياً و مرتبطة بالحياة البشرية بشكل لا نزال نجهله على نحوٍ كبير ..

❁ الوسطاء الروحانيون : و هم فئة قليلة تدعي تواصلها مع عالم الجنّ أو الأرواح الذين يخبرونها بخفايا المستقبل ، و رغم غرابة هذه النقطة و الشكوك الكبيرة حولها ، إلا أنّ هنالك قصص كثيرة عبر التاريخ و في زمننا الراهن تدعمها بقوة على نحوٍ غير قابل للتفسير ، بل أنّ السلك الجنائي في الدول المتطورة يستعين بقدراتهم لحلّ الجرائم المستعصية ، و قد سبق لي و أن شاهدت برنامجاً وثائقياً أمريكياً يتطرق إلى ذلك بالأسماء و التواريخ ، و قصصه بلا شك تثير الحيرة و الدهشة ..

❁ **قراءة الوجه أو الكف** : و رغم افتقارها لإثباتات علمية ، فلا شكّ بأن شكل الوجه أو الكفّ هو بمثابة بصمة نوعية تختلف من شخص لآخر ، و لا ندري لعلّ الخالق بالفعل رسم مستقبلنا على ملامح وجهنا و راحة يدنا .. بجميع الأحوال فقراءة الوجه و الكف ليس اعتباطياً بل يعتمد معايير خاصة و موثقة عبر الأجيال ، دون أن نغفل عن حقيقة أنّ كثيراً من العرافين الذين يتبعون هذه الطريقة يصيبون بتنبؤاتهم بدقة على نحوٍ غريب و محيّر بدورهم ..

❁ **أساليب متفرقة خاصة ببعض العرافين** : فمثلاً كان العرّاف الشهير نوسترادامو‌س يستعمل الماء فى قراءة المستقبل، فينظر إلى إناء مملوء بالماء الصافي ويتأمل ما سيحدث فيه ليكتبه شعراً موزوناً فيما بعد .. أو استخدام سيقان الخيزران من قبل عرافي شرق آسيا الأقصى ، أو استخدام الأصداف ، أو قراءة الفنجان ، أو قراءة أوراق

التاروت خاصة عند الغجر ، أو الاستعانة بالحيوانات كحال الأخطبوط بول الشهير الذي تنبأ بشكل صحيح بأغلب نتائج مباريات كرة القدم في حياته ، أو الكرة السحرية التي يُزعم أنها كانت تساعد العرافين قديماً على رؤية المستقبل .. و غيرها ..

❁ التنبؤ بالتحليل العلمي : و هو تحليل البيانات العلمية المتوفرة للخروج بتوقعات منطقية ، و بشكل بديهي يلعب الحاسوب دوراً هاماً في هذه العملية ، خاصة عبر **الذكاء الاصطناعي** الذي سيحتل مستقبلاً مكاناً محورياً في عملية التنبؤ بالأحداث اعتماداً على تحليله الدقيق لكمّ هائل من المعلومات .. كحال اللصّ الذي سرق مجموعة منازل متباعدة فسرق منها مقتنيات أثرية معينة تاركاً أشياءً أغلى ثمناً و أنفس قيمة دون أن يسرقها .. و عندما أدخلت كافة تفاصيل السرقات إلى الذكاء الاصطناعي استطاع رسم صورة تقريبية للص بأنه رجل متقدم بالعمر ، ذو نظر ضعيف ، يعرج في مشيته و يرتدي ملابس قديمة الطراز اعتماداً على الأدلة التي تركها خلفه في مسرح الأحداث .. بل أكثر من ذلك توقع الذكاء الاصطناعي بأن اللص ليس

بسارق ، بل على الأرجح فقد ممتلكاته بسبب أزمة اقتصادية طارئة و يحاول الآن جمعها مجدداً ، و بناءً على ذلك توقع الذكاء الاصطناعي بأنه سيسرق أحد ثلاث منازل مستقبلاً كونها تحوي تحفاً أثرية تابعة لمجموعة التحف التي سُرقت من قبل ، فقامت الشرطة بوضع كمائن له قرب هذه المنازل و قبض عليه بالفعل ، ليتبين أن كل تحليلات الذكاء الاصطناعي كانت صحيحة سواء من حيث شكل اللص أو سبب سرقاته ، أي أن الذكاء الاصطناعي تنبأ بالفعل بأحداث المستقبل بناءً على تحليلات منطقية لا أكثر ..

و بالطبع نعود و نكرر بأنّ هذه الطرائق كلها مختلفة جذرياً عن أساليب الشعوذة و الدجل التي تعتمد على وسائل أخرى **تتخذ أحد مسلكين رئيسيين** :

■ تلفيق أحداث وهمية في المستقبل و الاعتماد على الحظ في حدوثها ..

■ ربط المعلومات المتوفرة بين أيديهم لاستخلاص نتيجة معينة تتنبأ بسير محدد للأحداث و هذه هي التقنية التي يعتمدها أغلب مدعي الاستبصار في عصرنا الحديث ، كأن يقرأ أحدهم بأن دولة ما تطمع بحقل نفط في بلد آخر ، فيتوقع أنها ستجتاحه قريباً و هذا ما يحدث بالفعل ، أو التنبؤ بكوارث طبيعية بالاعتماد على المعطيات العلمية .. أو بكوارث بشرية تحدث بشكل متكرر سنوياً كحادث تحطم طائرة أو وباء أو غيره .. فتكاد لا تخلو سنة من مثل هكذا أحداث .. لذا نجدهم يطرحون معلومات عامة بلا تواريخ أو

أسماء أو أرقام محددة لأنهم بالأساس يعتمدون على التحليل في توقعاتهم كنوع من الشعوذة و الدجل لا أكثر ..

3 أشهر التنبؤات المذهلة التي تحققت بالفعل عبر التاريخ و التي ستذهلك بلا شك عزيزي القارئ.

❁ تنبؤات العرّاف الطبيب نوستراداموس :

◍ نبوءة الراهب :

في زيارة للعرّاف الفرنسي نوستراداموس إلى إيطاليا ، التقى صدفةً براهب شاب كان يعمل مربياً للخنازير و هو يعبر الشارع ، فركع نوستراداموس أمامه مباشرةً وناداه بـ :

(قداستكم) وسط دهشة الشاب .. المذهل في الحكاية أنّ ذلك الشاب الذي يدعى **فيليتش بيرتي** أصبح بابا الفاتيكان **سيكستوس الخامس** عام **1585** بعد وفاة نوستراداموس بوقت طويل ..

◍ حريق لندن الكبير:

إحدى نبوءات نوستراداموس الأكثر شهرة تنبأت بحريق لندن الكبير في عام **1666**، حيث ذكر في رباعياته :

(دماء العادل ستُطلب من لندن التي احترقت بالنار في عام 66)

و رغم أن الكلام ملغّز نوعاً ما، إلا أن الارتباط بين المكان و النار و الرقم ملفت للنظر..

◍ الثورة الفرنسية :

بعض نبوءات نوستراداموس كانت تنذر بالثورة الفرنسية التي حدثت بالفعل في أواخر القرن **18** حيث كتب :

(من العبيد تأتي الأغاني و الأناشيد و المطالب، أما الأمراء و الأباطرة فهم مسجونون في السجون)

ويمكن تفسير هذه النبوءة على أنها إشارة إلى انتفاضة الجماهير المضطهدة ضد الطبقة الحاكمة خلال الثورة كما حدث لاحقاً بالضبط ..

◍ الحرب العالمية الثانية :

كانت تنبؤات نوستراداموس غريبة للغاية فيما يتعلق بالحرب العالمية الثانية ، فقد كتب :

(سوف تعبر الوحوش الجائعة الأنهار، وسيكون الجزء الأكبر من ساحة المعركة ضد هيستر)

و مع أنّ كلمة هيستر لا تشير مباشرة إلى أدولف هتلر، إلا أنه من اللافت للنظر مدى تقارب اسم هيستر من اسم الديكتاتور الألماني هتلر ، بالإضافة إلى ذلك، يمكن اعتبار ذكر الجوع والأنهار بمثابة استعارة للدمار واسع النطاق وعبور الحدود خلال الحرب ..

◍ **هجمات 11 سبتمبر :**

واحدة من أكثر النبوءات المخيفة المنسوبة إلى نوستراداموس هي توقعه العجيب لهجمات **11** سبتمبر الإرهابية فقد كتب :

(في مدينة الله، سيكون هناك رعد عظيم، شقيقان تمزقهما الفوضى، بينما يصمد الحصن، و سيستسلم القائد العظيم)

وفي حين أن تفسير هذه النبوءة هو تفسير حمّال أوجه، فلا يمكننا إنكار أن هذه النبوءة مرتبطة بطريقة ما بالأحداث

المأساوية التي وقعت في **11** سبتمبر **2001** فأدت إلى انهيار برجي التجارة العالميين (شقيقان تمزقهما الفوضى)

و صمود البنتاجون (الحصن) بعد تعرضها لطائرات انتحارية ..

❁ تنبؤات العرافة العمياء البلغارية بابا فانغا :

◍ **هجمات 11 سبتمبر عام 2001** أيضاً ، ويقال إنها صدرت عنها عام **1989**، عندما قالت :

(الخوف.. الخوف! سوف يسقط الأخوان الأمريكيان بمناقير طيور من الحديد، و سوف تعوي الذئاب من الأدغال، و يسيل دم الأبرياء أنهاراً)

فالأخوان الأمريكيان هما برجا التجارة العالمية ، و الطيور الحديدية هي الطائرات الانتحارية التي فجرتهما !!

◍ **حادثة غرق الغواصة الروسية كورسك عام 2000،** حيث يُروى على لسان فانغا قولها عام **1980** :

(في نهاية القرن، في أغسطس 1999 أو 2000، ستختفي كورسك تحت الماء، وسوف يحزن عليها العالم بأسره ..)

◍ **موت الأميرة ديانا** ، وقد صوّرت فانغا مشهد مقتلها وخطيبها عام **1997** بالعبارة التالية : **(هذا العرس سيقتل الفتاة الأميرة .. نحن سنموت معاً ...)**

◍ **مقتل الزعيمة الهندية إنديرا غاندي قبل 15 عاماً من وقوعها ..** والنبوءة تقول بلغة رمزية غامضة :

(ثوبٌ سوف يقتلها ، أرى في الدخان و النار ثوباً أصفرَ برتقالياً)

وبالفعل حين قتلت غاندي من قبل حارسين مكلفين بحمايتها، كانت ترتدي (الساري) وهو رداء تقليدي نسائي هندي بلون الزعفران الأصفر البرتقالي ..

❁ تنبؤات الكاتب الفرنسي جاك كازوت :

كان جاك كازوت كاتباً مشهوراً بين أوساط النبلاء ، و في إحدى حفلات العشاء بباريس عام **1788** صدم الضيوف بالتنبؤ بإعدام الملك لويس السادس عشر في الثورة القادمة، إضافة إلى العديد من الأرستقراطيين بمن فيهم بعض الحاضرين في ذلك العشاء ..

و في عام **1789**، اندلعت الثورة الفرنسية، وفقد العديد من النبلاء رؤوسهم كما توقع كازوت بالضبط .. و بعد بضع

سنوات، في عام **1793**، تحققت أعظم نبوءة لكازوت وقُتل الملك لويس الرابع بالمقصلة أمام حشد ضخم في وسط باريس ..

❁ تنبؤات العالم السويدي إيمانويل سويدنبورج :

ادّعى سويدنبورج أن يسوع المسيح قد زاره في إحدى الليالي عندما كان في الخمسينيات من عمره، وأخبره بأن باستطاعته الآن الولوج إلى عالم الأرواح .. ومنذ ذلك الحين قدّم سويدنبورج العديد من النبوءات العجيبة، فعلى سبيل المثال ، أثناء وجوده بحفل عشاء في جوتنبرع السويدية ، ادعى أنه يرى عاصمة بلاده ستوكهولم تحترق ، وبالفعل في تلك الليلة التهم المدينة حريق كارثيّ علم به العالم السويدي رغم أنه كان على بعد **250** ميلاً !! .. بعدها بسنوات كتب سويدنبورج إلى مؤسس الكنيسة الميثودية جون ويسلي و طلب مقابلته ، فحاول ويسلي

تأجيل اللقاء بضعة أسابيع لانشغاله ، لكنّ سويدنبورج ردّ بأن ذلك سيكون مستحيلاً، لأنه سينضم إلى (عالم الأرواح) في **29** آذار من ذاك العام ، و بالفعل توفي سويدنبورج في ذلك التاريخ بالضبط دون سبب واضح ، ليكون تاريخ موته أعظم نبوءاته ..

❁ تنبؤات عالمة الفلك الأمريكية جين ديكسون :

في وقت مبكر من عام **1952**، توقعت ديكسون أن يكون (**ديمقراطي أزرق العينين**) رئيساً في البيت الأبيض في عام **1960**، و بأنه سيتم اغتياله أو موته وهو لا يزال في منصبه .. وهذا يصف بدقةٍ الرئيس الأمريكي الشهير **جون ف. كينيدي** الذي تم اغتياله لاحقة بقناصة و هو في سيارته ، فهل هذه مجرد ضربة حظ بذكر شكل الرئيس و سنة انتخابه و طريقة موته !!

❁ كتَاب تنبأوا بالمستقبل في رواياتهم :

◍ في عام **1898**، كتب (**مورجان روبرتسون**) رواية بعنوان (**حطام سفينة التيتان**) عن سفينة سياحية غرقت في شمال المحيط الأطلسي بعد اصطدامها بجبل جليدي ، و بعد **14** عاماً فقط ، أصبحت القصة حقيقة عندما لاقت سفينة التيتانيك المصير نفسه .. فتشابهت القصتان باسم السفينة و بطريقة غرقها !!

◍ في روايته (**دَيْن الشرف**) عام **1994**، تخيل (**توم كلانسي**) لأول مرة عملية اختطاف واستخدام طائرة تجارية لشن هجوم ارهابي .. التصور مشابه بشكل مخيف للأحداث التي حدثت بعد سبع سنوات فقط خلال الهجوم على برجي التجارة العالمي في أحداث **11** أيلول ..

◍ سرد الكاتب الأمريكي الشهير (**إدغار ألن بو**) في عمله (**حكاية آرثر غوردن بيم من نانتاكيت**) عام **1838**،

قصة وحشية خيالية توقع فيها أن يكون رجل يدعى (ريتشارد باركر) واحدًا من أربعة ناجين من تحطم سفينة و أنه سوف يُلتهم من قبل الناجين الثلاثة الآخرين .. العجيب و المخيف أنه و بعد **46** عاماً، غرقت السفينة المسماة **ميغنو نيتي** ولم يتبق منها سوى أربعة ناجين على سطح جزيرة.. الرابع كان يدعى (ريتشارد باركر)، ليس ذلك فحسب بل تم أكله من قبل رفاقه الناجين لإشباع جوعهم والنجاة بأرواحهم .. !!

◍ يتنبأ الكاتب (**فيرنر فون براون**) في كتابه (**مشروع المريخ**) من عام **1952** بقيام مستعمرة بشرية على المريخ يقودها رجل يدعى (إيلون) .. حيث يتصور الكتاب صاروخاً يمكن إعادة استخدامه في الرحلات الفضائية يشبه تصميمه إلى حد كبير تصميم صواريخ شركة **SPACEX** الأمريكية الخاصة .. من المثير للدهشة أن

المهندس و رائد التكنولوجيا الجنوب أفريقي الكندي (**إيلون ماسك**) أسّس شركته سبيس إكس في عام **2002** ، و بغضّ النظر عن سياحة الفضاء ومشاريع أخرى، يخطط (إيلون) مع شركته لبناء مستعمرة على المريخ بحلول عام **2040** ..

فكما ترى عزيزي القارئ فإن مجمل هذه النبوءات الدقيقة و النوعية لا يترك مجالاً للشك بأن الله تعالى منح بعض خلقه من البشر هبات معرفة بعض الأحداث المستقبلية بالفعل لكن على نحو ضبابي قليلاً بحيث لا يتمكن البشر من تغيير مسار الأحداث القدرية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا العجيبة و المحيرة (**علم الغيب**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= معرفة الغيب أمر مستحيل فهو مقتصر على الإله خالق الكون ..

بل أن نقول :

= معرفة الغيب الكلي هو أمر مستحيل بالفعل على البشر سواء دينياً لأنّ ذلك يفترض بالضرورة قدرة هؤلاء على تغيير المستقبل و هذا أمر غير جائز الحدوث أو علمياً بالدليل ، لكن الله تعالى و كما خصّ بعض عباده بهبات فريدة كالرسم ، النحت ، العزف ، الحساب المعقد ، الذاكرة الفولاذية ، الرؤية لمسافات بعيدة و غيرها .. فليس غريباً أبداً أن يخصّ قسماً منهم بهبة الاستبصار و التنبؤ لبعض الأحداث المستقبلية بطريقة ضبابية مبهمة على نحو يعجز معه البشر على تغيير تلك الاحداث و التلاعب بالقدر .. و في قصص التنبؤات المذهلة عبر التاريخ الكثيرة كالتي ذكرناها آنفاً خير دليل على ذلك ..

الإنسان يرى بوضوح لمسافات محددة ، لكننا نجد النسر مثلاً يرى بدقة عالية لمسافات شاسعة .. و في التاريخ نجد قصة **زرقاء اليمامة** و هي سيدة عربية سكنت اليمامة، وقيل أنها كانت ترى الشخص على بعد مسير ثلاثة أيام، و أنّ عينيها لونهما أزرق، و هذا يفسر لقبها ، حتى أن قومها كانوا يستعينون بها لتحذرهم من الغزاة .. فإذا كان من الممكن لبعض الكائنات بمن فيهم البشر **الرؤية بالبصر** لمسافات أبعد من عامة الناس .. فلم لا يكون من الممكن لبعضهم **الرؤيا**

بالبصيرة لزمن أبعد من غيرهم .. و لمَ نقبل بوجود زرقاء اليمامة بيننا و نستعين بقدراتها ، و لا نقبل بوجود العرافين الذين أثبتوا بالتجربة و الدليل هباتهم الفريدة بالاستبصار و نستفيد منها في مختلف جوانب الحياة دون تعميم صفة معرفة الغيب المطلق عليهم من باب الشرك بالله ..؟!

و بجميع الأحوال ، سواء كان هنالك بشر قادرون على علم جزء من الغيب أم لا ، فما حاجة الإنسان لمعرفة الغيب بالأساس و هو لا يمكنه تغييره قيد أنملة ؟! الأجدر بنا عيش الحاضر حتى ذروته بعيداً عن ماضٍ لن يعود و غدٍ لن يتغير ، كما غنّت الحنجرة الماسية أم كلثوم :

قد يكون الغيب حلواً إنما الحاضر أحلى ..

و لعل نظاراتها السوداء لم تكن لإخفاء جحوظ عينيها بسبب داء

غريف الذي أصاب غدتها الدرقية فجعلها تتشبث بمنديلها كي تمسح تعرقها الزائد ، بل قصدت منه أم كلثوم أن تعمي عينيها عن رؤية المستقبل أياً كان فلا فائدة من ذلك بل أن تركز على حاضرها فحسب و تعيشه بحلوه و مرّه ..

مغالطة خوارزميّة الله

(الرّسم بلونين)

مضت السيارة البيجو الرصاصية تشق الطرقات الريفية يقودها الجدّ حكيم ، و بجواره جلست حفيدته نيسان سعيدةً بالمناظر الطبيعية الخلّابة من حولها فقد بدأ الربيع يستيقظ في الأرض ليزحف على سهولها و يتسلق فروع أشجارها ناثراً زهوره الملونة في كل مكان، و نيسان سئمت من مناظر الأبنية السكنية الإسمنتية الخرساء في كل مكان من حولها في المدينة .. في نهاية الطريق لاح جبلٌ ضخم يعترضه و في أسفله بوابة لنفق ، على السيارات كما يبدو عبوره نحو الجهة الأخرى من الجبل ، فقالت نيسان بقلق ..

= هنالك نفق في الأفق يا جدّي ..

ابتسم الجدّ ..

= و ما المشكلة في ذلك ؟ لمَ كلّ هذا القلق من نفق ؟!

= أخاف الظلمة و أكرهها ..

= لا أحد يحب الظلام يا نيسان ، لكن للأسف كل البشر يسيرون بإرادتهم إليه ..

= لم أفهم ، كلامك متناقض ، كيف يكرهون الظلام ثم يسيرون إليه طواعيةً ..

= هذا هو أهم سؤال في الحياة يا عزيزتي ، لأن جوابه ينطوي على سرّ الحياة الأعظم ..

= أي سرّ ..

= أترين هذه الطبيعة الساحرة من حولنا ..

= أجل ..

= الله فنّان أليس كذلك ؟

= بلا شكّ .. فنّان مبدع و مذهل ..

= صدقتِ ، و العظمة الحقيقية أنه رسم الحياة كلها بلونين فحسب ..

= لونان ؟!

= أجل .. الأبيض و الأسود ..

= كلام غريب ..

= و هنالك ما هو أغرب .. هل تعلمين بأنّ خوارزمية الله التي تحكم حياة البشر جميعاً و مصيرهم على الأرض قائمة على هذين اللونين أيضاً ..

= إنك تتحدث بالألغاز ..

كانت السيارة قد بلغت النفق و دخلته ..

= ظلام دامس مخيف .. أليس كذلك يا عزيزتي .. ؟

= بلى ، و لذلك أخافه و أكرهه بشدة كما أخبرتك .. يكفي أنني لا أرى شيئاً أمامي و لا يمكنني حتى رؤيتك ..

= لا شك أنك تفتقدين النور و الطبيعة الخلابة التي مررنا بها ..

= و هل هذا يحتاج سؤالاً .. أين الثرى من الثريا ..؟!

= و ماذا لو تعطلت سيارتنا داخل النفق و بقينا هنا للأبد ؟

= سيكون هذا هو الجحيم حرفيّاً ..

= و إن علقنا في النفق لعام كامل ثم خرجنا منه مجدداً إلى النور و الطبيعة ..

= سيكون ذلك بمثابة احتفال حقيقي لا يوصف بكلام ..

كانت السيارة قد بلغت نهاية النفق و خرجت للنور مجدداً .. فصاحت نيسان بسعادة ..

= ما أجملها من عودة ، يا لجمال الطبيعة و بهاء النور .. إنّ كل شيء يبدو الآن أجمل بأضعاف مضاعفة ، فأنا بعد هذا النفق كالضرير الذي عاد له بصره ..

= رائع .. رائع يا نيسان ، تشبيه بليغ ساحر ، أجبت به بنفسك عن سؤالك ..

= كيف ، لم أفهم ؟

= ظلام النفق السابق جعلك تقدرين قيمة النور و ترين كل شيء بجماله الحقيقي الفعليّ بعد أن أوشكت على الضجر منه قبيل دخولنا النفق ..

= بلا ريب ، لكن ما علاقة ذلك بخوارزمية الله التي تحدثت عنها و الرسم بلونين ؟

= ألا تلاحظين بأن مسيرنا عبر النفق مر بثلاث مراحل : نور ، ظلام ، نور .. أي أبيض ، أسود ثم أبيض مجدداً ..

= بلى !!

= و هذا هو بالضبط مسير الإنسان في حياته على الأرض

= و كيف ذلك .. ؟!

= تعالي لأشرح لك أكثر ..

*****

لندخل مباشرةً و بدون مقدّمات في صلب مغالطتنا الجديدة (**خوارزمية الله**) كي نتابع خلالها شرح الجدّ حكيم لحفيدته الذكية نيسان و نجيب على سؤالها الجوهري التالي :

((إن كان البشر يعشقون النور و يخافون الظلام ، فلماذا يسيرون بإرادتهم إليه كمن يجري وراء حتفه بمغالطة غريبة و محيّرة ؟!))

و كي نجيب على هذا السؤال بدقة و عمق سنتبع خوارزمية معينة ترتكز على مبدئين هامين للغاية و يجمعهما معاً لونان لا أكثر (**أبيض و أسود**) ، و هما :

- **الدنيا تحمل في رحمها توأم (جنة و جحيم) ..**
- **علاقة الإنسان بالسماء تشبه تماماً علاقته بأبويه ..**

فهيا بنا نخوض معترك مغالطتنا الهامة هذه بتحليل كل محور على حدة باستخدام اللونين المقدّسين (الأبيض و الأسود) ..

1 الدنيا تحمل في رحمها توأم (جنة و جحيم) :

إذا تأملنا أيامنا التي نعيشها على الأرض فسنجدها تتوالى بثنائية (النهار و الليل) أو النور و الظلام أو الأبيض و الأسود و هذا في الحقيقة ينسحب على كل شيء آخر فيها ، فالدنيا برمتها تتشعّب إلى ثنائية (الموجب و السالب) ما بين حقول الورد و لهيب الصحراء .. أو الخير و الشر .. أو الراحة و التعب .. أو الأمان و الخوف .. أو السعادة و الاكتئاب .. ثنائيات لا حصر لها من التناقضات يبرز فيها كل ضدّ سلبي إيجابية الضد المقابل له .. تماماً كشعار الديانة التاوية الشهير (دائرة بنصفين أبيض و أسود) ..

و في حين أنّ اللون الأبيض يحمل في طياته ألوان الحياة البهيجة كلّ لون بطعم مختلف (نجاح ، حب ، تحقيق حلم ، متعة ...) ، فإنّ اللون الأسود بطعم واحد و هو الألم .. فقد تعددت الأسباب (مرض ، موت ، خيانة ، خيبة امل ، تشرد ، حاجة ..) و الألم واحد ..

و هكذا فالدنيا كلها من حولنا عبارة عن جنة و جحيم و ينطوي تحت كل منهما قائمة طويلة من الإيجابيات الباعثة على السعادة أو السلبيات المولّدة للألم .. أي أنها مرسومة بلونين فقط (أبيض بألوانه الزاهية و أسود) ..

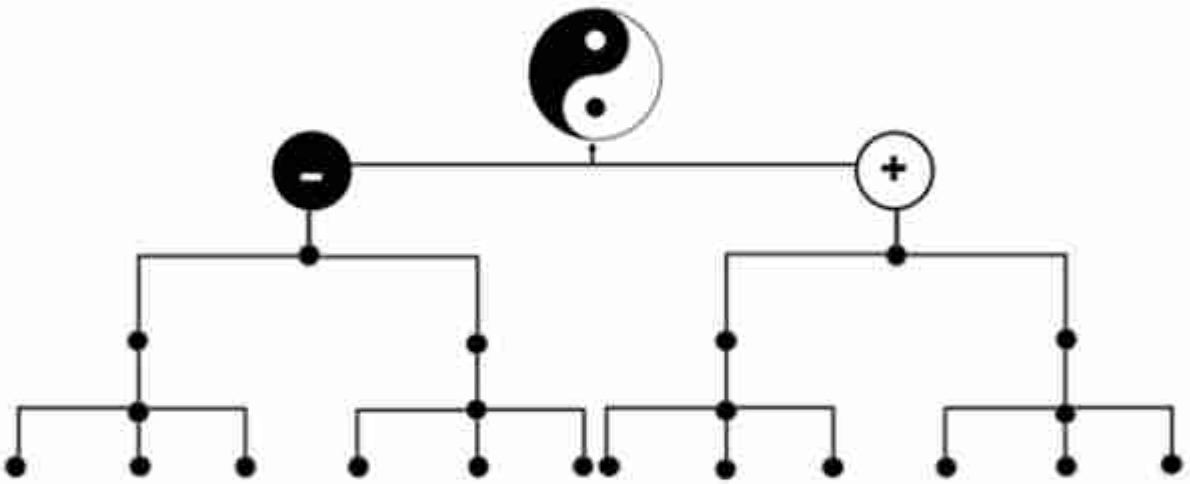

و الفكرة الخطيرة و الهامّة للغاية هنا أنّ الإنسان يرى من هذه الدنيا النصف الذي يعيشه في داخله ، فإن كنت مؤمناً قنوعاً مثلاً رأيت كل شيء باعثاً على الرضا و الإيمان ، أما إن كنت متذمراً و كافراً فإنّ كل شيء من حولك يعزّز تذمرك و يبرّر كفرك .. و هذا ما يدعوه البعض (**قانون الجذب**) الذي لخّصه الفيلسوف الصوفي الكبير **شمس الدين التبريزي** بروعة بقوله :

((إن الطريقة التي نرى فيها الله ما هي إلا انعكاس للطريقة التي نرى فيها أنفسنا، فإذا لم يكن الله يجلب إلى عقولنا سوى الخوف و الملامة، فهذا يعني أن قدراً كبيراً من الخوف و الملامة يتدفق في نفوسنا. أما إذا رأينا الله مفعماً بالمحبة والرحمة فإننا نكون كذلك))

أو كما أبدع شاعر المهجر الحكيم إيليا أبو ماضي بشطر البيت التالي :

((كن جميلاً ترى الوجود جميلاً))

فنحن في حياتنا نسقط صورتنا الداخلية على العالم من حولنا ، و إن كانت قلوبنا بيضاء رضيّة ، رأينا النصف الأبيض من الحياة (الجنة) يطغى على دائرة التاو كلها فيطمس السواد فيها ، و إن كانت قلوبنا سوداء حقودة تفشّى السواد في الدائرة كسرطان فوجدنا الدنيا من حولنا جحيماً مستعراً .. و هذا ما يدعى في الطبّ النفسي (**الإسقاط**) ، كحال الزوج الذي يخون زوجته فيتهمها هي بالخيانة ، أي يسقط صفاته عليها .. و الإنسان المنغمس في الخطيئة في الحياة يسقط خطاياه على السماء فيعتبر الإله قاصراً أو ظالماً ، و على الأرض فيصفها بكوكب يغرق في الخطايا و خالٍ من أي روح طاهرة ..

باختصار الدنيا هي أنت .. فكما تكون ستكون حقيقة أمامك..

❷ علاقة الإنسان بالسماء تشبه تماماً علاقته بأبويه:

فالإنسان في حياته على كوكب الأرض يسلك طريقاً مشابهاً لحرف **N** في اللغة الإنجليزية (صعود ، هبوط ثم صعود مجدداً) و هذا الطريق يختصر بدقة علاقته مع أبويه من جهة و علاقته مع السماء من جهة أخرى .. كيف ذلك ؟ تعالِ عزيزي القارئ نحلل كل مرحلة من هذه المراحل الثلاثة على حدة كي نوضح الفكرة أكثر ..

❁ **مرحلة الصعود** : فالإنسان يأتي إلى هذه الحياة طفلاً ضعيفاً خائفاً من كل شيء حوله كونه يجهله بالكامل ، لذا يستسلم ليدي الله و الأبوين كلياً كملاذ فطري له من العالم المخيف في عينيه ، و لأنهم يحبونه و يخافون عليه فسيقومون بحمايته من النصف الأسود (الجحيم) للحياة ، و يدفعونه إلى النصف الأبيض منها (الجنة) بحيث يعلمونه فنون و تقنيات التعامل معه لاقتناص كل بواعث السعادة فيه ، و مما يدعم الطفل بقوة على إتقان ذلك هي **قوة الجديد و بهجته** ، فما أن يبدأ الطفل بالوعي و يتعلم أساسيات الحياة الأولى ، سيشرع بخوض مغامرات حقيقية ممتعة من :

■ **اكتشاف الذات** : كيف يعمل جسده ؟ ما الذي يسعده و ما الذي يحزنه ، ماذا يحبّ و ماذا يكره ؟ .. كيف يستعمل الأشياء من حوله و يسيطر عليها فيوجهها لخدمته و إنجاز غاياته و تحقيق سعادته .. و غيرها من أسرار الذات البشرية

■ **اكتشاف المحيط** : من أشخاص كالعائلة و الأصدقاء و الغرباء و طريقة التفاعل معهم ، أو أمكنة كالمنزل و الحي ، و كل شيء آخر من حوله ..

■ **اكتشاف الأرض** : بتنوعها الرهيب المذهل ، طبيعة ، مناخ ، تاريخ ، جغرافيا ، اكتشافات و اختراعات .. و القائمة تطول ..

■ **اكتشاف الكون** : فيذهل باتساعه الرهيب ، و ضخامة أجرامه ، بأعداد مجراته المخيف ، و بتنوع مجموعتنا الشمسية المدهشة ..

■ **اكتشاف السماء** : الاستدلال على وجود الخالق ، صفاته العظيمة ، غايته من خلقه و خلق الدنيا كلها ، ما ينتظره بعد الموت .. و ما يريد الله منه في الدنيا و الآخرة ..

هذا العالم المثير من الاكتشاف لكل شيء جديد يجعل الدنيا في عين الطفل أشبه بدخول عالم خيالي من الأحلام متنوع الجوانب ، و مما لا شكّ فيه بأنّ اكتشاف الجديد هو أكبر متعة للدماغ البشري في الحياة و تجلب سعادة هائلة ، يضاف إلى ذلك بأن دماغ الطفل نظيف ، و يعمل كرادار لكلّ ما هو جميل و إيجابي كما يحذف مباشرة كل ما هو قبيح و سلبي .. و هكذا يشبّ الطفل في عالم من البهجة الصرفة رغم هول المآسي من حوله التي يتجاهلها عقله .. و تكون حياته بفضل التزامه بتوجيهات الله و الابوين عبارة عن دنيا من الأنوار الملوّنة الزاهية .. و هذا ما نجده حقيقة

أمام أعيننا بضحكات الأطفال التي لا تتوقف من حولنا ..

❁ **مرحلة النزول** : مع اشتداد عود الشابّ قليلاً تبدأ الأمور بالتغير بشكل سلبيّ ، فيبتعد رويداً رويداً عن الله و عن أبويه و ذلك بسبب مجموعة عوامل تدفعه بإرادته إلى مغادرة عالم النور و دخول النفق المظلم ، و يمكن إيجازها بعاملين رئيسيين :

◈ **التمرّد** : بسبب اعتداد الشاب بذاته أكثر و إعجابه بنفسه و ثقته بأنه بات قادراً على فعل أي شيء ، فتبدأ رغبته بالاستقلال بحياته و قراراته ، و عيش الدنيا كما يهوى و يتمنى .. متعامياً عن حقيقة خطيرة بأنه لايزال غرّاً بالحياة و بأن هذه الثقة زائفة .. و المشكلة الكبرى هنا تكمن في نقطتين حرجتين :

● الإنسان يجهل أنّ حياته السابقة هي السعادة القصوى التي صمّمها له أبواه و خالقه بانتقاء و عناية ، فهو بلغ قمة السعادة بالفعل ، و لا شيء آخر ينتظره بعدها سوى النزول من هذه القمة ..

● أنّ نصف المعرفة أسوأ و أخطر من الجهل .. و الشابّ لا يزال في منتصف الطريق لمعرفة نفسه و الحياة بدقة .. لذا فقرارته كلها مشوّهة و مغلوطة و ستقوده إلى الهاوية بعد بلوغه قمة السعادة ..

◈ **التعوّد** : و هو سرطان الحياة و قاتل متعتها ، فبعد سنوات من الاكتشاف المثير للحياة يبدأ الشاب بالاعتياد عليها و تفقد بواعث السعادة المتنوعة الكثيرة من حوله تأثيرها عليه تدريجياً ، فيتجه لتجربة شيء جديد .. و بحكم أنه ولد كطفل في عالم النور و متّعه الله و أبواه فيه .. فلن يتبقى أمامه سوى عالم الظلام ليجربه .. مخدرات .. سهر .. شرب .. طيش .. لا مبالاة .. إلحاد .. إلخ ، و لأنّ الإنسان يرى العالم الخارجي على صورته الداخلية ، فسيرى عندها الدنيا جحيماً مستعراً يحترق بلهيبه فيلوم السماء على ذلك ..

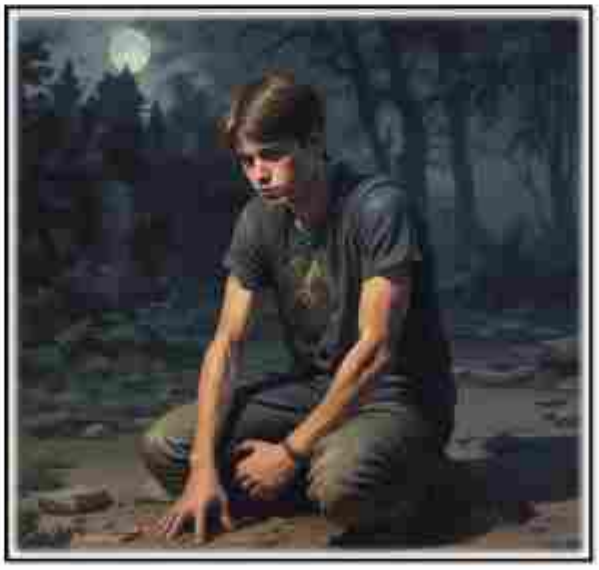

و هكذا بسبب هذا الخليط من التمرد و التعود تتدهور حياة الشابّ ليصبح أشبه بملياردير امتلك ذات يوم ثروة هائلة من

السعادة ثم بددها بجهل و رعونة هنا و هناك على توافه الحياة التي لا تفيد ، فيبدأ بالإفلاس تدريجياً حتى ينتهي به المطاف في الحضيض مغموراً بالاكتئاب و الضياع و الندم على تفريطه بسعادته و حياته السابقة ، و للأسف الإنسان لا يدرك قيمة الأشياء حتى يفقدها ..

و هنا يبدأ الحنين لعالم النور بغزو قلبه و اليقين بأن دروب الظلام مهلكة و لا تخلق أي ذرة من السعادة ينحفر في عقله و وجدانه ، ليدرك أخيراً بأنّ الله حقيقة لا ريب فيها و بأنه و أبويه حرصوا بعناية فائقة على تجنيبه النصف المظلم الأسود من الحياة و منحوه عالماً واسعاً من النور عاش فيه أجمل الذكريات .. و بأنهم يدركون مصلحته أكثر منه ، فشتّان بين حياته عندما أصغى لتوجيهاتهم و حياته عندما تمرّد عليها و ظنّ نفسه مكتفياً بذاته و قادراً على معاركة الحياة لوحده ..

و هذا في الحقيقة تطوّر طبيعي لحياة كلّ إنسان ، حيث تشبه حياة البشر دورة القمر في سماء الليل ، يبدأ محاقاً ثم يكبر تدريجياً ليصبح بدراً في كبد السماء و هنا يغترّ الإنسان بنفسه و يزهد بذروة السعادة التي بلغها فيفرّط بها بسهولة ، ليبدأ بالاضمحلال تدريجياً حتى يختفي في النهاية و يعود محاقاً من جديد فتتلاشى سعادته .. و هذا ما وصفه الشاعر الأندلسي المبدع **أبو البقاء الرندي** بقوله :

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان

فلا يغرنَ بطيب العيش إنسان

و النقطة الأهم في مغالطتنا كلها أنّ هذا الضياع في غياهب ظلمات النفق الذي أدخل الشاب نفسه فيه ضروري لتطور روحه و لا غنى عنه أو بديل له على الإطلاق ، كما قال الفيلسوف الصوفي الكبير **جلال الدين الرومي** :

((لا تجزع من جرحك، و إلا فكيف للنور أن يتسلل إلى باطنك))

فلولا وصولك إلى حضيض الحياة يائساً ، منكسراً ، كئيباً و نادماً لما دخل النور الإلهي إلى قلبك بالفعل .. فليس المهم أن تعيش في النور ، بل المهم أن تدرك أهمية النور و قداسته في الحياة كي لا تتخلى عنه لاحقاً في عالم البقاء بعد الموت ، هنالك حيث لا عودة من الخطأ و لا مجال للخطأ بالأساس ، و لا شيء يظهر قيمة النور و مدى أهميته كتجربة الظلام و وحشته .. لذا فعبروك النفق ضرورة ملحة لإدراك قيمة النور الحقيقية الذي عشته قبل النفق و خرجت إليه بعده ..

و هذه كأس على جميع الناس ذاقها أبواك في شبابهما و سيذوقها أبناؤك من بعدك أيضاً و جميع البشر على حدّ

سواء ، فلكلّ مخلوق نفقه الخاص في حياته ..

لكنّ الجميل في الحكاية أنك عندما تودع السماء و تدخل بإرادتك النفق المظلم .. فإنّ السماء لا تقول لك الوداع .. بل تقول إلى اللقاء ، فهي على دراية تامة بأنك ستعود إليها ذات يوم .. فبعد عيشك لسنوات في نور الشمس المشرقة بالتزامك بالتوجيهات ثم تلبد السماء بغيوم تحجب ذلك النور بتمرّدك ، تبدأ دموع الندم و الحنين تنهمر من عينيك كالمطر لتغسل روحك .. و هنا تأتي المرحلة الأخيرة في حياتك و هي تلاشي الغيوم و شروق شمس الله ثانيةً لتضيء كل شيء كالنور في نهاية النفق فتبدأ بذلك المرحلة الأخيرة ..

❁ **مرحلة الصعود مجدداً** : عندما يغرق الإنسان في مستنقع الظلمات و الحياة الفاسدة سيهوي إلى القاع تدريجياً حتى يبلغ الحضيض و هنا لن يتبقى أمامه مساحة للنزول أكثر ، فلا يسعه سوى الاستناد إلى القاع و الانطلاق مجدداً نحو السطح بقوة و رغبة بالنجاة و الحياة .. ليخرج أخيراً

من هذا المستنقع و يتنفس هواء الحياة القويمة النقي و يتمتع بنورها البهيّ الذي يضيء له الطريق من جديد .. فتستقبله السماء ضاحكة لتغني له ما غنته السيدة فيروز ذات يوم :

ما للهوى المنسيّ عاد يزور

فرشت له مدّ الطريق زهور

الله يا وجه البراءة و الرضا

تدنو فكلّ الحيّ منك عبير

ها أنت لا كالأمس جئت معاتباً

اليوم أنت بشاشةٌ و حبور

فالإنسان الذي غادر النصف الأبيض من الحياة و دخل النفق المظلم بإرادته ذات يوم لانماً الحياة على سلبيات و سواد لا وجود لها إلا في داخله جعلته يرى النصف الأسود من الحياة فحسب كجحيم مستعر ، أدرك هذه الحقيقة بنفسه و غيّر من نفسه إلى البياض مجدداً فعادت الدنيا بيضاء ناصعة مغمورة بالنور في غمضة عين لينقلب العتاب بشاشة و حبور .. و

كما قال البارئ في الذكر الحكيم :

((إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم))

فعندما غيّر الشاب داخله من بياض إلى سواد تغير لون الحياة من حوله بنفس الترتيب ، و عندما غيّره مجدداً من سواد إلى بياض عادت إلى ما كانت عليه فعاد قلبه طفلاً كأول عهده و الدنيا جنة في عينيه .. كما قال العالم **بليز باسكال** :

((**الحكمة تعود بنا إلى الطفولة**))

و لن تنال الحكمة حتى تعبر نفقك الخاص في حياتك و تتشرّب روحك بخلاصة تجربتك هذه من حكمة تقول : الجنة و الجحيم يقبعان في أعماق روحك و أنت تختار على أي صورة تريد أن تكون و يكون العالم من حولك ..

إذاً فحياة الإنسان عبر المراحل الثلاثة (أبيض ، أسود ، أبيض) هي **رحلة في أعماقه لا غير** .. فالدنيا لم تتغير و السماء لم تتبدل ، بل الإنسان أسقط داخله عليها فحسب لتنتهي رحلته بالخلاصة التالية :

((التمسك بالنور بقوة و يقين و رضا .. لأن الإنسان بات يعلم بتجربته الشخصية أن البديل الوحيد هو الظلام لا غير ، حيث الألم و الضياع و لا شيء آخر ..))

و هذه هي خوارزمية الله السريّة في هداية البشر ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة التي تحمل سرّ الحياة العظيم (**خوارزمية الله**) من الأنسب بعد اليوم ألا نقول :

= لقد اشتدّ عودي و كبرت .. و لم أعد بحاجة لتوجيه من أحد .. بل سأعيش الحياة كما أريد ..

بل أن نقول :

= نصف المعرفة أخطر من الجهل ، فلا تغترّ أيها الإنسان بنفسك في بداية شبابك و تظن نفسك قد بلغت منتهى الحقيقة و المعرفة .. بل التزم بتوجيهات خالقك و أبويك حتى آخر يوم من حياتك .. فإن أفلت أيديهم ضعت في متاهة الظلام ..

و ألا نقول :

= لقد مللت من كل شيء من حولي ، و سأجرّب أشياءً أخرى في الحياة .. فلا شكّ بأن هنالك عوالم من المتعة تنتظرني ..

بل أن نقول :

= لقد خلقنا الله في الجنة منذ أبصرنا نور الحياة أطفالاً ، و لا ينتظرنا خارجها سوى الظلام و الجحيم الذي لا طائل منهما .. فاقنع بجنتك و نعم الله الهائلة و تمتع بها .. و اتعظ بتجربة أبيك آدم و أمك حواء ، عندما ضجرا من متع الجنة التي خلقهم الله فيها فقررا التمرد و العصيان على توجيهاته و خالفا أمره ، ليفقدا كل شيء و يدخلا النفق المظلم بدورهما

بلونين فقط رسم الله لوحته المذهلة (الدنيا) كلها فجعلها بنصفين (أبيض و أسود) ، و بنفس اللونين رسم خوارزمية بناء الإنسان من خلال مغامرة مثيرة من ثلاثة مراحل : أبيض ، أسود ثم أبيض مجدداً .. بحيث يرى الإنسان أحد نصفي الحياة تبعاً للونه الداخلي ..

و بهذين اللونين أيضاً و من خلال خوارزمية الله تلك ، يصقل الله النور في داخل كل إنسان عبر المراحل الثلاثة السابقة (**صعود ، هبوط ثم صعود مجدداً**) التي تنتهي بعودة الإنسان إلى خالقه أبيض نقياً يتماهى مع النور الإلهي و بياض جنانه فيصبح مؤهلاً للعيش فيها ، يصون نعمها بأشفار العيون و يلتزم بتوجيهات خالقه برضا ، قناعة ، يقين و تسليم ..

لينطبق عليه بيت الشعر الأيقوني التالي :

نزعت عنك رداءً كنت تلبسه

من التراب و عاد النور للنور

مغالطة مارد الفانوس

(عندما ينقلب السحر

على الساحر)

= لماذا يبدو عليك الغمّ و القلق يا نور ؟

= يجب عليّ إنهاء إعلان دعائي للشركة قبل نهاية الشهر ، و أنا عاجز عن التفكير بأي موضوع ، عداك عن وقت التصوير و المونتاج و غيرها من الأمور .. يبدو أنني سأفقد عملي مع الشركة و هذا يصعب عليّ لأنني وجدت أخيراً شغفي ، كما أنه يدرّ عليّ مالاً وفيراً ..

= لكن لا يزال هنالك أسبوع حتى نهاية الشهر ؟

= و هل أسبوع يكفي لكل هذه الأعمال يا بسام ؟!

ابتسم بسّام و وضع يده على كتف صديقه اليائس ..

= بل أنت بحاجة لدقائق لا أكثر لإنجازها ..

= بالله عليك يا صديقي ، هل هذا وقت المزاح ؟

= أنا لا أمزح ..

= و هل تملك الفانوس السحري و ستتركه كي يخرج منه مارد يحقق الأمنيات ..

= شيء من هذا القبيل ، افتح حاسوبك في الحال و سأريك ما هو أعظم من مارد الفانوس ..

بالفعل فتح نور حاسوبه و ناوله لبسام الذي قام على الفور بالدخول إلى أحد مواقع الشبكة العنكبوتية ثم قال ..

= ما هو موضوع الإعلان المكلّف بإنتاجه ..؟

= مياه معدنية .. لماذا تسأل ؟

= لقد تطور العلم كثيراً يا نور و خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي .. هذا الموقع الالكتروني يتكفل بتحويل أي موضوع تريده إلى أي شيء تبغيه بما في ذلك صناعة إعلان منه ..

= معقول ؟!

ضحك بسام ..

= بل أكثر من ذلك ، لا نزال في بداية العمل .. ما اسم منتجك ؟

= زمزم ، على اسم المياه المقدّسة ..

= حسناً ، سأدخل المعلومات الأساسية إلى الموقع و سيقوم بمعالجتها و عرض مجموعة سيناريوهات لإعلانك تختار منها ما يعجبك ..

بالفعل قام بسام بذلك و ضغط زر المعالجة وسط دهشة نور .. و خلال دقائق كانت أمامه **10** سيناريوهات لإعلانه ،

قرأها بذهول و هو لا يصدق مدى جودتها و ملاءمتها للإعلان، ثم انتقى منها أجملها ..

= و الآن عليّ البدء بتصوير السيناريو ..

= استرخِ يا صديقي ، لا حاجة لأن تتحرّك من مكانك ، سيتكفّل الموقع بإنتاج إعلان كامل لك على طريقة (الأنيميشن) المذهلة خلال دقائق فقط ..

= هل تمازحني ؟

= أخبرتك بأن الذكاء الاصطناعي يجعل من أي مارد فانوس مجرّد دمية يلهو بها الأطفال .. سندخل السيناريو الذي اخترته هنا ثم نضغط على زر المعالجة و ننتظر ..

بالفعل نفّذ بسّام ذلك مجدداً و خلال دقائق معدودة أخرى ظهر أمامهما فيديو من خمس دقائق يصوّر السيناريو بطريقة خلّاقة متقنة تتفوّق على إعلانات نور السابقة مجتمعة .. قصّة محكمة مع شخصيات مختلفة بأصوات مناسبة و ألوان زاهية و صورة تكاد تقترب من الحقيقة بسبب دقّة تفاصيلها ..

= تفضّل يا صديقي ، هذا هو إعلانك جاهز خلال ربع ساعة ، هل ما يزال القلق يسيطر عليك ..

= بل فرح عارم ، أشكرك يا بسّام فأنت لم تنقذ وظيفتي فحسب ، بل فتحت لي باباً سحرياً إلى عالم لا ينضب من الأفكار و الإعلانات و وفّرت عليّ وقتاً طويلاً و جهداً أكبر

و أيضاً مصاريف لا داعٍ لها ..

= لا شكر على واجب يا صديقي .. الشكر الحقيقي لتقنية الذكاء الاصطناعي ..

= إنه ثورة علمية مذهلة ستغيّر ملامح البشرية جذرياً ..

= بالفعل ، لكنه أيضاً اختراع خطير للغاية كما رأيت بأمّ العين ، صحيح أنّ إمكانياته سحريّة ، لكنّ هذا السحر قد ينقلب بين ليلةٍ و ضحاها على الساحر فيهدد البشريّة ..

*****

مما لاشكّ فيه عزيزي القارئ أنك أصبحت على دراية بمفهوم الذكاء الاصطناعي الذي بدأ يتسلّق على جدران كافة مجالات الحياة و يغزوها بتسارع رهيب كونه يقدّم إمكانيات مذهلة متنوعة فيها تختزل الوقت ، الجهد و التكاليف .. لكن هذا هو الوجه المضيء من القمر في الحكاية ، فماذا عن الجانب الآخر المظلم كما يقال ؟ هل هنالك وجه مخيف للذكاء الاصطناعي تحت قناع الإمكانيات الفذّة هذه ؟ هذا هو صلب مغالطتنا الجديدة و الخطيرة (**مارد الفانوس**) مع سؤالها المحوري و المقلق التالي :

((صحيح أنّ الذكاء الاصطناعي ثورة علميّة مذهلة و نقلة نوعيّة في تاريخ البشرية ربما تتفوّق بأهميتها و

حجم تأثيرها على أي ثورة أخرى ، لكن هل الأحلام الوردية التي يعدنا بها و بدأ بتحقيق بعضها بالفعل ستبقى على ما هي عليه إلى الأبد ، أم أنها قد تتحول إلى كوابيس مرعبة لن نصحو منها ؟))

و جوابنا المبدئي الوجيز كالعادة و الذي يحمل تهديدات جدّية حقيقية في طياته هو :

((الذكاء الاصطناعي هو كما يشير اسمه عبارة عن ذكاء ، و هنا تكمن خطورته ، فإن بلغ هذا الذكاء درجة تفوق ذكاء صانعه - الإنسان – فعندها سيتحول هذا الإنسان من حاكم إلى محكوم ، أو من سجّان إلى سجين لا وسيلة أمامه للفرار و تنتظره المقصلة كإعدام للجنس البشري))

بالطبع هذا جواب خطير ، مرعب و مقلق .. فلماذا نحذّر من الذكاء الاصطناعي إلى هذه الدرجة ؟ ما هي المخاطر الحقيقية المخيفة لهذا الحد المنطوي عليها و ما احتمال حدوثها ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية عبر مقاربة مغالطتنا من ثلاث محاور هامة للغاية :

- نبذة عن نشوء الذكاء الاصطناعي ..
- تطبيقات الذكاء الاصطناعي ..
- مخاطر الذكاء الاصطناعي المرعبة ..

فهيّا بنا نبحر في محيط هذه المغالطة الشيّقة و الخطيرة معاً كي نتوصّل إلى نتيجة نهائية كافية توضّح لنا كيف ستكون عليه صورة مستقبلنا القادم مع تطور الذكاء الاصطناعي ..

1 نبذة عن نشوء الذكاء الاصطناعي :

تبدأ قصة الذكاء الاصطناعي من مسرحيّة قديمة للكاتب المسرحي الساخر الإيرلندي **جورج برنارد شو**، عام **1913** بعنوان (**بيجماليون**) .. تحكي هذه المسرحية قصة البروفيسور، **هنري هيغينز**، الأستاذ في علم الصوتيات، الذي أصرّ على جعل فتاةٍ فقيرة تدعى (**إليزا دوليتل**) ، سيدةً من الطبقة الأرستقراطية في بريطانيا ، وكانت إليزا تبيع الورود في الشوارع كفرد من عامة الناس، كلامها سوقي، و يقسم كل من يراها بأنه يستحيل عليها أن تتقن فن التحدث مع أهل الطبقة الأرستقراطية بأي طريقة ، و بسبب ذلك يدخل البروفسور هيغينز في تحدٍّ مع صديق له ليبرهن على قدرته جعل إليزا تتقمص شخصية دوقة في

حفل ، و قد اعتمد هيغينز في ذلك على استراتيجية نفسية تجعل إليزا تعيد صياغة مفردات الكلام الموجه لها، فتخاطب الناس بعبارات ابتكرتها من كلامهم معها ، و كما تلاحظ عزيزي القارئ بأنّ هذا هو المفهوم الذي يمكن البناء عليه للتعامل مع الآلة ، إعادة صياغة مدخلات البشر لتقديمها لهم على شكل مخرجات من وحي ما أدخلوه ..

و بالفعل كسب هيغينز التحدّي و أتقنت إليزا اللعبة فلم يشكّ بها أحد في الحفل و ظنها الجميع شخصية أرستقراطية مرموقة ..!!

و من وحي قصة هذه المسرحية التي حملت في طياتها جنين الذكاء الاصطناعي و طريقة عمله ، ابتكر عالم الحاسوب الألماني، **جوزيف وايزنباوم**، في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في عام **1966** أول تقنية تسمح بمحادثة بين

البشر والآلة كبرنامج أطلق عليه اسم (إليزا) تيمناً ببطلة مسرحية برنارد شو ، و يعتبر هذا البرنامج أول روبوت محادثة يعمل بالذكاء الاصطناعي، و حينها استخدم للقيام بمهمة معالج نفسي وهمي، يحاكي البشر ويتفاعل معهم ، تماماً كما يفعل الذكاء الاصطناعي التوليدي هذه الأيام ..

المفارقة في الحكاية أنّ العالم وايزنباوم، الذي اخترع برنامج إليزا، سعى من خلاله لإثبات مدى سطحية المحادثة بين الإنسان والآلة ، لكن النتائج جاءت معاكسة تماماً، فقد انبهر الناس بما توصل إليه وايزنباوم، وانخرطوا في محادثات طويلة مع الآلة من خلال برنامج قادر فقط على جعل الآلة تعكس كلمات المستخدمين و تحاكيهم بها لا أكثر ..

كان وايزنباوم منزعجاً جداً من ردّ فعل الناس المعجبين بالبرنامج ، لدرجة أنه أمضى بقية حياته يحذّر من مخاطر الذكاء الاصطناعي على البشر .. و سنرى بعد قليل بأنه كان محقّاً في ذلك ..

لكن هذه لم تكن البداية في تاريخ الذكاء الاصطناعي ، بل تمّ طرح مفهومه أول مرة قبل بضع سنوات من برنامج إليزا حيث ولدت الفكرة من أطروحة فلسفية معقدة تقول مقدمتها : (**هل تستطيع الآلة التفكير؟**) و الأطروحة هذه قدمها عالم الرياضيات الإنكليزي، **آلان تورينغ**، عام **1950** ..

و في عام **1956**، استضاف عالم الحاسوب الأميركي، **مارفن مينسكي**، وأستاذ الرياضيات الأميركي، **جون**

مكارثي، محاضرة لكلية دارتموث حول الذكاء الاصطناعي في الولايات المتحدة ، و فيه صيغت عبارة (**الذكاء الاصطناعي**) لأول مرّة في التاريخ .. و هؤلاء العلماء أطلق عليهم (**الآباء المؤسسون للذكاء الاصطناعي**) و حددوا له خمسة مجالات عملية: **البحث** ، **التعرف على الأنماط** ، **التعلم** ، **التخطيط** و **الاستقراء** .. و منذ ذلك الوقت و الذكاء الاصطناعي يقفز قفزات سريعة و نوعية جبارة في كافّة مجالات الحياة مما يقودنا إلى المحور الثاني من مغالطتنا ..

2 تطبيقات الذكاء الاصطناعي :

في الحقيقة لا مجال لذكر كافة هذه التطبيقات ، فالذكاء الاصطناعي حرفيّاً تغلغل في كافة نواحي الحياة و العلوم و الأعمال على نحوٍ يختزل كما أسلفنا كثيراً من الوقت ، الجهد و التكاليف ، لكننا سنذكر بعض الأمثلة للتوضيح فحسب :

- المركبات ذاتية القيادة ..
- الروبوتات المتطوّرة ..
- الذكاء التوليدي الذي يحول المدخلات إليه إلى مخرجات بصور معينة ، كما ذكرنا في قصة إعلان صديقنا نور في مطلع المغالطة مثلاً ..
- إدارة الأعمال ..
- تقديم حلول خلّاقة للمشاكل ..

- صناعة السينما و ألعاب الفيديو ..
- موسوعة شاملة تتواصل معها و تقدم الأجوبة و المعلومات لك ..
- إنشاء مخططات للمشاريع و الهياكل و الأبنية السكنية ..
- تطبيقات مختلفة في المجال الطبي ..

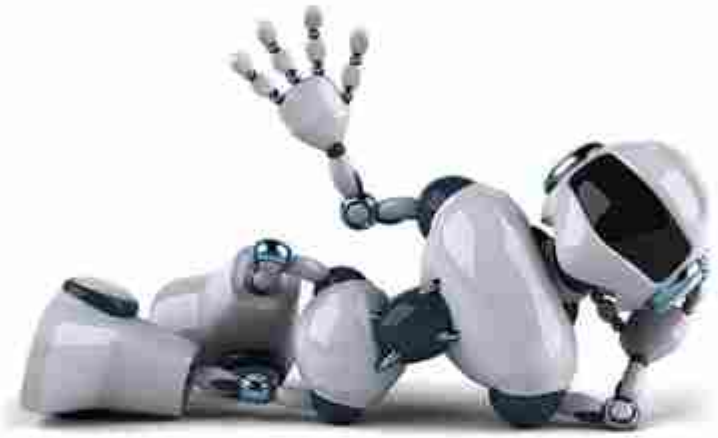

و القائمة تطول كما ذكرنا .. لكن للأمانة العلمية فإنّ ما يقدمه الذكاء الاصطناعي في كافة المجالات لا يمكن وصفه سوى بكلمة وحيدة (مذهل !!) .. و لتوضيح إمكانياته أكثر سأضرب لك مثالاً بسيطاً لكن مذهلاً عن ذلك و هو لعبة الشطرنج ، فقبل بدء دور الشطرنج تبدو قطع الشطرنج في غاية الترتيب على رقعتها ، لكن مع الحركة الأولى تبدأ سلسلة من الفوضى و الأرقام المرعبة .. فبعد أن يقوم كلا اللاعبين بأول حركة نحصل على **400** احتمال وضع مختلف ، و بعد جولة أخرى يصبح العدد **197,742** وضعاً محتملاً ، والعدد يصبح **121** مليوناً بعد **3** جولات.. ولك أن تتخيل عزيزي القارئ مدى ضخامة الرقم

بعد جولات إضافية أخرى .. لذا نجد **جوناثن شيفر** عالم الحاسوب من جامعة ألبرتا والذي يشتغل في مجال الذكاء الصناعي باستخدام الألعاب يقول بأنّ العدد الدقيق للأوضاع النهائية في لعبة شطرنج هائل لدرجة أنه لا أحد قد يستثمر وقته في حساب الرقم الدقيق لها ، فالبعض قد أعطى تقديراً تقريبياً يقدّر بحوالي **10** قوة **10000**، و ذلك يعني الرقم واحد متبوعاً بحوالي **100** ألف صفر!! و على الأرجح أنت عاجز عن فهم ضخامة هذا الرقم، و لتوضيحه أكثر تخيل بأنّ مجموع عدد الذرات في الكون كله لا يتجاوز الرقم **10** قوة **80** .. فتخيل أن يلعب أي إنسان دور شطرنج مع ذكاء اصطناعي و حتى إن كان بطل العالم في لعبة الشطرنج فلن يتمكن من مواجهة هذا المارد المرعب الذي يحسب كل هذه الاحتمالات كي ينتقي منها الحركة الأمثل وفق كل حركة تقوم بها ..

طبعاً هذا ليس تقليل من إمكانيات العقل البشري ، فكما سبق

و ناقشنا في (**مغالطة العقل و الحاسوب**) في الجزء الثاني من سلسلة المغالطات (**حجر الفلاسفة**) فالإمكانيات الكامنة داخل الدماغ البشري تقارع أي ذكاء اصطناعي ، لكننا هنا نقارن ما يستخدمه البشر من إمكانيات عقولهم .. بمعنى آخر يمكننا القول بأنها مبارزة بين إمكانيات العقل المطلقة و بين ما يستخدمه الإنسان منها مهما بلغ نبوغه و ذكاؤه .. و النتيجة محسومة من بدايتها ..

3 مخاطر الذكاء الاصطناعي المرعبة :

و هذا هو جوهر مغالطتنا ، ما الذي يمكن للذكاء الاصطناعي أن يفعله بالإنسان ليحوّل كل هذه الأحلام الوردية عن مستقبلنا معه إلى كوابيس مفزعة تقضّ مضجع البشرية ؟ ..

لكن قبل الخوض في تفاصيل هذه الكوابيس المرتقبة ، لا بدّ من شرح السبب الدفين الكامن وراء خطورة الذكاء الاصطناعي .. و للقيام بذلك سأقصّ عليك عزيزي القارئ حكاية بسيطة في ظاهرها لكنها مرعبة بحقّ في جوهرها و توضّح الخطر المحدق بنا الذي ينتظرنا في المستقبل مع تولي الذكاء الاصطناعي زمام الأمور في تسيير شؤون البشرية .. حيث قام بعض المبرمجين بإنتاج لعبة حاسوبية ذات مبدأ بسيط قوامه مربع صغير في قاعدة الشاشة يطلق النار على مركبات بسيطة في أعلى الشاشة .. حتى الآن كل شيء يبدو طبيعياً ، لكن ما أدهش المبرمج و جعله في

صدمة و ذهول بأن هذه اللعبة البسيطة و بعد تكرار المحاولات كثيراً بدأت باتخاذ طرق جديدة لإنهاء اللعبة بأسرع وقت ممكن خارج إطار ما برمجت عليه ، و هذه الفكرة خطيرة للغاية عزيزي القارئ ، فالخلاصة منها بأنّ الذكاء الاصطناعي المبرمج لغايات معينة قد يخرج عن السيطرة و يبادر بمهام لم يكلّف بها ، فإذا وضعنا هذا بجانب كمّ المعلومات الهائل الذي سيزوّد به و وصوله الواسع إلى بيانات و دوائر قرار و أنظمة حربية و غيرها ، فالنتائج ستكون كارثية بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. و قائمة المخاطر هذه تطول بدورها لذا سنكتفي مجدداً بذكر بعضٍ منها من باب إيضاح حجم الكارثة التي تترصد بالبشرية ..

◈ **الاستغناء عن آلاف الوظائف في العالم** : حيث سيحلّ الذكاء الاصطناعي مكانها كحال التشخيص الطبي ، تخطيط المشاريع و الهياكل ، إدارة الأعمال ، عالم السينما و الإعلان و الإعلام ، إنتاج البضائع ، المعاملات الإدارية و النقدية ، قيادة المركبات (طيّار ، قبطان ، سائق ..) وغيرها الكثير ..

◈ **النصب و الاحتيال** : عبر تزوير بصمة الصوت و بصمة الأصابع و بصمة التوقيع بدقة لا متناهية ، تصميم فيديو هات تورط أشخاص بفضائح غير حقيقية ، اتصالات من رقم شخص و بصوته لتنفيذ أوامر معينة منه أو توريطه بمشاكل دون أن يكون له علاقة بأي شيء من ذلك ، تحويل الأموال بمعاملات مزورة ، تعميم أكاذيب ملفقة متقنة على العالم دون

إمكانية كشفها مع عواقب ذلك الوخيمة ، التلاعب بأدلة مسارح الجرائم كحذف تسجيلات كاميرات المراقبة مثلاً أو تزوير حجج غياب وهمية ..

◈ **التحكم بدوائر القرار السياسي و العسكري** : كإمكانية الوصول إلى أزرار إطلاق الأسلحة النووية و إشعال حروب نووية بين دول العالم لا تبقي و لا تذر ..

◈ **الروبوتات القاتلة** :

فتخيل أن تصل البشرية إلى مرحلة تصنع فيها روبوتات ذات حركات انسيابية سريعة و قوة كبيرة مع تزويدها بكم هائل من المعلومات و قليل من القرار الذاتي .. ربما سنجد هذه الروبوتات تجول الشوارع محملة بالأسلحة و تقتل الناس دون سبب أو تمييز أو إمكانية لردعها سواء بخلل في برمجتها أو بقرار ذاتي منها على خطى لعبة الحاسوب التي تحدثنا عنها آنفاً .. و نحن هنا لا نتحدث عن حالات بشرية مفردة بإمكانيات محدودة و قابلية للتفاوض معها ، بل أجهزة آلية مرعبة بأعداد هائلة و إمكانيات واسعة و لا يمكنك إقناعها

بوضع حدّ لأذاها ..

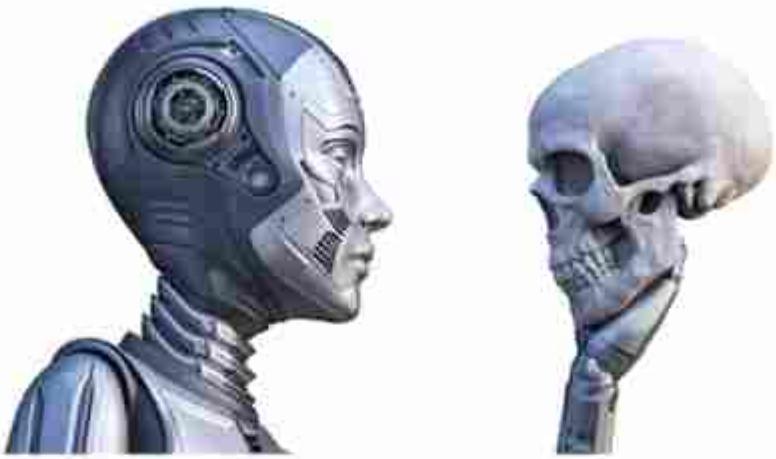

◈ **التحكم بها من قبل جهة خبيثة** : فنحن نعلم بأنّ العالم يحوي دولاً بميول استعمارية ، تنظيمات إرهابية ، حركات عقائدية إيديولوجية ، عصابات إجرامية و غيرها من الجهات التي لا تتورّع عن استخدام أي قدرات متاحة لتنفيذ أهدافها .. فتخيّل أن يقع الذكاء الاصطناعي هائل القدرات تحت سيطرتها ، ما الذي تتوقع حدوثه ؟ .. ضحايا بالملايين على أقل تقدير .. هذا إن لم تعمل هذه الجهات على تطوير برامج منه أخطر ، أشمل تحكماً ، أوسع وصولاً و أسرع فتكاً ثمّ تجربتها على البشرية في محاولة للسيطرة على الأرض و نشر فلسفتها و تحقيق غاياتها ..

◈ **انتهاك خصوصية البشر و تسريب أسرارهم الشخصية أو المهنية** : و هذا أسهل من السهولة على الذكاء الاصطناعي و لا مفرّ من حدوثه ، بل إننا بدأنا نراه بأمّ العين منذ الآن عبر برامج التهكير التي لا حدود لتطورها و إمكانياتها ، مما يعني الوصول إلى أسرارك الشخصية و العائلية و المهنية ثم نشر فضائح عنك أو تسريب معلومات مهنية قد تدمر عملك أو شركتك و تصل بك إلى الإفلاس ..

◈ **السيطرة على البشرية** : و هذا هو الكابوس الأكثر رعباً الذي يترصّد بنا خلف الأبواب انطلاقاً من لعبة الحاسوب البسيطة التي روينا قصتها منذ قليل ، فإذا تواصلت جميع أجهزة الذكاء الصناعي ببعضها بطفرة برمجية معينة أو بتطور ذاتي غير مفسّر ، عندها ستحكم قبضتها على البشرية لا محالة بسيطرتها على مراكز التسليح حول العالم و قدرتها على نشر أوبئة أو التسبب بدمار اقتصادي و كساد عالمي .. و غيرها من الطرائق المتوفرة .. و هنا سنكون أمام خيارين لا ثالث لهما و أحلاهما علقم ..

❁ أن يدمر الذكاء الاصطناعي الأرض و يفني البشرية ، و سنكون هنا محظوظين للغاية .. لأن الخيار الثاني هو :

❁ أن يستعبد الذكاء الاصطناعي البشر و يسخّرهم لخدمته على نحو وحشيّ .. أي أن نعيش في دوّامة من العذاب لا تنتهي .. و هذا ما تم التطرق إليه في كثير من روايات و أفلام

الخيال العلمي من باب الترفيه .. لكنّ الحقيقة أنه كابوس ممكن الحدوث جدّاً تبعاً لما نراه بأعيننا منذ الآن و لا نزال على أول طريق التطور للذكاء الاصطناعي ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الخطيرة (**مارد الفانوس**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الذكاء الاصطناعي ثورة علمية حقيقية ستجعل حياتنا المستقبلية أيسر و أسهل باختزاله للوقت ، الجهد و التكاليف .. و عندها سنتمتع بالحياة الجميلة التي لطالما حلمنا بها و إلى الأبد ..

بل أن نقول :

= صحيح أن الذكاء الاصطناعي مفصل نوعيّ هام للغاية

في تاريخ البشرية يفتح أبواباً لا حصر لها من الإمكانيات و الفرص .. لكنّ للقمر جانب آخر مظلم ككابوس حقيقي نتعامى عن رؤيته الآن و سنفقد فيه وظائفنا ، أماننا ، أسرارنا ، خصوصيتنا الشخصية و المهنية ، كما سنتعرض للنصب و الاحتيال .. و غيرها من المخاطر التي لا بد من وقوعها مع تطور عالم الذكاء الاصطناعي حتى نصل إلى مرحلة قد يتمرد فيها علينا فيقضي على البشرية أو يستعبدها في أحسن السيناريوهات و أكثرها تفاؤلاً .. و المشكلة الرئيسية هنا أننا نتعامل مع آلة ذات ذكاء على نقيض غيرها من الآلات التي تم اختراعها ، و نحن نعي جيداً أن الذكاء خلّاق و متطور لدرجة قد تفقد معها السيطرة عليه ..

إنّ أفضل تشبيه للذكاء الاصطناعي من وجهة نظري هو (**مارد الفانوس**) الذي سيحقق لنا كل أحلامنا ببساطة لم نكن حتى نحلم بها .. لكنّ الواقع غير الروايات .. ففي قصة **علاء الدين و المصباح السحري** ، خضع المارد لعلاء الدين لأنه كان يهدده بحبسه في الفانوس إلى الأبد ، لكن ماذا لو أنّ هذا المارد تمكن من التحرر من الفانوس ، ما الذي سيحدث ساعتها ؟ سيستخدم إمكانياته اللامحدودة لخدمة نفسه و السيطرة على البشر بدلاً من خدمتهم .. و هي معركة محسومة من بداياتها على نحوٍ محبِط و مثير للشفقة .. فأين قدرة البشر التي نعرفها من قدرة مارد لا يعجزه شيء كونه (مزود بكافة معلومات الحياة ، لديه وصول إلى كل البيانات

العالمية ، و أسلحة الأرض قاطبةً تحت تصرفه) ؟! مما يجعلنا نفهم أكثر و نقدر جيداً لماذا قضى عالم الحاسوب الألماني، **جوزيف وايزنباوم** مصمم أول برنامج ذكاء اصطناعي (**إليزا**) بقية حياته يحذّر البشر من خطورة عواقبه ..

لذا حذارِ أيها الإنسان من أحلامك الوردية المعسولة الحالية بخصوص الذكاء الاصطناعي ، و بأن التعاون بينه و بين الإنسان سيغير حياتنا جذرياً نحو الأفضل ..

فالمارد لا يزال محجوزاً في قمقمه حتى الآن فإن خرج منه بطريقةٍ ما ، عندها سينقلب السحر على الساحر فيقوم المارد بحبس البشرية في القمقم و يعيش حياته حرّاً يتحكم بها على هواه ، فمصير الأرض برمتها في قبضته ..

مغالطة قيمة الجرس

برنّته

(الخَلْقُ سِرّ الخَلْقِ)

في اليوم المحدد لإجراء مقابلات الوظيفة الجديدة المغرية ، وصل المتقدمون الخمسة إلى مقر الشركة في الوقت المناسب فأحد شروط المدير ألا يتأخر أي منهم عن الموعد .. و كانوا ثلاثة شبان و فتاتين يمكن توصيفهم بشكل مقتضب كما يلي :

- **الشاب الأول** ، ابن مدلل لعائلة ميسورة الحال يرغب بالعمل من باب المظاهر لا أكثر كون الشركة ضخمة و مشهورة فهو لا يحتاج المال ..
- **الشاب الثاني** ، مفتول العضلات و طموح يرغب في تحسين نوعية حياته باي طريقة ممكنة ، و هذه الوظيفة فرصة له كي يرتقي في المناصب و يكسب مالاً وفيراً ..
- **الشاب الثالث** ، الابن الأكبر لعائلة فقيرة ، خلوق و محترم و هذه الوظيفة بمثابة حبل إنقاذ له و لعائلته ينتشلها من بئر الفاقة و العوز..
- **الفتاة الاولى** ، حسناء بملابس مغرية ، يفوح منها عبق أزكى العطور الباريسية ..
- **الفتاة الثانية** ، شخصية قوية و متمردة ، لا حدود تقف عندها لتحقيق أحلامها و شعارها في الحياة الغاية تبرر الوسيلة ..

جمع القدر الخمسة معاً في مصعد الشركة في طريقهم إلى مكتب المدير لإجراء المقابلات و عندما أوشك باب المصعد

على الانغلاق لمحوا رجلا متقدماً بالسن يتعكز على عكاز يفوقه سنّاً و يحاول الإسراع كي يلحق بالمصعد لكنه فقد توازنه و سقط ، لم يكترث أحد منهم لما حدث له سوى الشاب الفقير المهذب ، فقد ضغط على زر فتح الباب بسرعة و خرج لمساعدة الرجل العجوز .. هنا قامت الفتاة الثانية بإغلاق باب المصعد مباشرةً كي تفوّت المقابلة على الشاب الفقير فتتخلص من منافس لها على الوظيفة ..

و بينما كان المصعد في طريقه إلى الأعلى كان الشاب الفقير يساعد العجوز على الوقوف و هو ينظّف له ملابسه و العجوز يشكره و يدعو له .. ثم استقلا المصعد سوياً بعد عودته ..

في بهو طابق المدير ألقى العجوز التحية على المتقدمين الأربعة الآخرين فلم يكترث أحد لسلامه و انشغلوا بهواتفهم .. في حين تابع العجوز سيره حتى نهاية البهو متجاوزاً غرفة المدير..

قام المدير بمقابلة الخمسة بالترتيب و كان الشاب الفقير آخرهم ، فدخل الغرفة بتوتر و ارتباك إذ إنّ آماله كلها و مصير عائلته معلق على هذه المقابلة ، لكنه فوجى بالمدير يغادر مكتبه و يحييه شخصياً ثم يدعوه للجلوس وقدم له فنجاناً من القهوة و هو يقول مبتسماً :

= مبارك لك يا بنيّ وظيفتك الجديدة ..

ذهل الشاب تماماً و هو لا يستوعب ما يسمعه ..

= لكنك لم تسالني أي سؤال !! ..

اتسعت ابتسامة المدير و قال ..

= إن ما يهمني في هذه الوظيفة هو الخبرة الجيدة و الأخلاق الرفيعة ، و أما الخبرة فمؤكد أنه لن يتقدم أحد إلى الوظيفة دون ان يمتلكها ، أما الاخلاق فانت الوحيد الذي نجح في الاختبار الأخلاقي الذي خضعتم له ..

= لم أفهم !! ..

= هل تتذكر الرجل العجوز الذي ساعدته أمام المصعد .. ؟

= أجل ..

= إنه موظف قديم لديّ استعنت به كي أختبر أخلاقكم ، بالنسبة للشاب الثريّ الذي لا يحتاج الوظيفة أو المال و بالتالي ليس مهتماً كثيراً بها و بإتقان عمله ، فهو مدلل لدرجة أفسدت أخلاقه لذا لم يحرّك ساكناً لمساعدة العجوز ،

و أما الشاب الثاني مفتول العضلات فهو ضخم بلا فائدة و لم تدفعه عضلاته لرفع العجوز عن الأرض ، و الفتاة الحسناء تعتمد على جمالها الخارجي و ملابسها المغرية فقط للحصول على الوظيفة ، لكن ما يهمني هنا هو الجمال الداخلي ، و أما الفتاة الأخيرة الانتهازية فقد انتهزت فرصة خروجك من المصعد كي تغلقه و تجعلك تتأخر عن موعدك فتفقد فرصتك و هي بذلك بلا قيم أو أخلاق و لا مكان لها في شركتي .. بقي أنت الشخص الوحيد الذي عرّض فرصته للحصول على وظيفة أحلامه للخطر في سبيل مساعدة عجوز لا يعرفه ، و هذه هي الأخلاق التي أبحث عنها ، أما بقية المتقدمين فلم يكترثوا حتى لردّ السلام على عجوز مسنّ ..

بالفعل حصل الشاب الفقير على الوظيفة بل ترقّى بها كثيراً حتى تحسّنت أحوال عائلته المادية لدرجة كبيرة ، و ابتسم الحظ الرحيم له كما ابتسم هو برحمة لعجوز عاجز لا يعرفه

*****

لا أشك عزيزي القارى أبداً بأنك أعجبت بصديقنا الفقير و تعاطفت معه ، كما فرحت لحصوله على الوظيفة ، و هذا ليس بغريب على الإطلاق ، فقوّة الأخلاق في حياة البشر مذهلة ، و الجميع يميلون لمحبة الإنسان الخلوق المحترم ، لأننا ببساطة نأمن جانبه و نجده بجوارنا كجبلٍ في الملمّات ، كما أنّه لا يحسدنا على نعمة و لا يؤذينا بفعل أو كلمة .. و

ماذا نريد من الآخرين في حياتنا سوى ذلك ؟! و ما أقلّ البشر الذين يمتلكون هذه الصفات كلها ، و من رحم هذه الحقيقة الإنسانية تولد مغالطتنا الجديدة (**قيمة الجرس برنته**) بمخاض مؤلم بحقّ مع سؤالها المحوري المتوقع التالي :

((**ما المعايير التي تحدد ، قيمة الإنسان في الحياة ؟ و أيّ صنف من البشر يستحق منا الإعجاب و الاحترام و الاقتداء به ؟**))

سننطلق في رحلة إجابتنا على هذا السؤال من سؤال آخر بسيط لكنه غاية في الأهمية :

((**ما هي الصفة الوحيدة التي إذا امتلكها الإنسان كانت كافية كي يستحق الإعجاب و الاحترام و يستحوذ على قلوب الناس و محبتهم ؟**))

إن تعمّقت عزيزي القارئ في أيّ صفة إيجابية للبشر (جمال ، مال ، خلق رفيع ، جاه ، قوة عضلية ، سلطة ، نسب .. إلخ) فستجد أنّ الاخلاق هي الصفة الوحيدة التي تجيب على سؤالنا .. فإن لم توجد في الإنسان فلا قيمة لأي صفات أخرى يمتلكها .. فكأنّ الصفات البشرية الإيجابية

في روسيا كرمز للفشل .. إنّ ذلك الجرس الضخم بقي مجرّد عملاق كسيح وأخرس، لكنّ الرّشاقة وفصاحة الرّنين كانتا من نصيب الأجراس الأصغر التي ربما لا يكترث أحدٌ لها بسبب حجمها و شكلها و ثمنها البخس .. إنّ حجم الجرس الهائل انهار مباشرةً عند أول اختبار له بنيران الحياة و تجارب القدر..

و هكذا فإنّ قيمة الجرس ليست بحجمه و معدنه بل برنّته .. و قيمة الإنسان ليست بجماله و لا بعضلاته و لا بثرائه و لا بنسبه و لا بسلطته .. قيمته بأخلاقه التي تصدح برنين ساحر يطرب كل من يسمعه ، يسحر عقله و يأسر قلبه .. لماذا رنين الأخلاق فريد هكذا ؟ فلنباشر بتحليل زاويتي مغالطتنا كي نفسر هذا السرّ ؟

1 الزاوية العلمية :

و يمكن تلخيصها بنظرية فلسفية نفسية بسيطة تقول : (إنّ

كل إنسان يظن الآخرين على شاكلته) ، أو كما يقول الشاعر الكبير **أدونيس** :

((أنت لا تكرهني، أنت تكره الصورة التي كونتها عني، و هذه الصورة ليست أنا، إنها أنت))

و هذه نظرية مثبتة في الحياة و على أساسها تدور العلاقات الاجتماعية كلها ، و هذه كارثة حقيقية كي نفهم هول فداحتها علينا التعرف على طبيعة الإنسان أكثر ..

الإنسان بطبعه كائن عاشق لذاته للغاية بل يكاد يصل لحدود النرجسية البغيضة فهو :

❁ **مغرور** يرى نفسه أهم من الآخرين وبأن إنجازاته تتفوق على إنجازاتهم و إن كان ذلك غير صحيح ..

❁ **أناني** يعتنق مبدأ اللهمّ أسألك نفسي ، و خير دليل على ذلك أنه عندما يقتحم شخص مسلح متجراً لسرقته فسيقوم كل شخص في المتجر بالتواري و الهروب على الفور غير عابئ بمصير البقية و هذت ما رصدته كاميرات المراقبة في حوادث السطو كلها .. و بدوري هذا ما رأيته بأمّ العين خلال قيادة السيارة ، حيث تجد كل سيارة في الطريق تسرع و تستغل أي فرصة كي تتجاوز السيارات الأخرى و لو عرّض ذلك المارّة و السيارات للخطر .. فالمهمّ هو (أنا) و بعدي فليكن الطوفان ..

❁ **حسود** بطبعه و يرى نعمة جاره قبل نعمته ، بل إنه يتمنى زوالها عنه إن فشل ببلوغها بنفسه ..

❁ **عدواني**، إن جاع توحش و إن شبع تفرعن .. و في الحالتين هو مستعدّ لخرق أي عرف أو قانون من أجل تحقيق أحلامه و طموحاته و تأمين مصالحه الشخصية ، فلا يتوّرع عن الكذب ، السرقة ، الاعتداء ، التزوير و حتى القتل لتحقيق ذلك إن استدعت الضرورة ..

❁ **متذمر و طماع** على الدوام ، فلا يرضى بنصيب و لا يقتنع بقدر رغم كمّ النعم الهائلة التي وهبه إياها الخالق ، بل يريد المزيد و لا يشبع ، و يحجم عن شكر الله على نعمه ..

❁ **كسول و ميال للراحة** ، لذا ينتهز أيّ فرصة لحرق المراحل و بلوغ الغايات بلا تعب ، فيرتشي ليغنى أو يغش لينجح أو يبطش و يدمّر كي يسيطر ..

❁ **حقود يعشق الانتقام** ، لذا لا يسامح على زلّة و لا يبرّر أي خطأ بحقه .. بل يلجأ مباشرةً إلى الرد بمبدأ بغيض (ردّ الصاع صاعين بل أكثر في كثير من الأحيان) ..

❁ **انتهازي و متسلّق** ، يتحين الفرص المناسبة و الظروف المواتية و مواطن الضعف عند الآخرين كي يحصّل مكاسب أكثر و يتسلّق على جهد الآخرين و آلامهم كي يبلغ أهدافه ..

و القائمة تطول و نكتفي بذكر هذه الصفات الاقبح و الأشيع

التي نجدها في كل مكان من حولنا بل أننا ننفذها بأنفسنا في مناسبات كثيرة .. و لذلك فإنّ البشر يخشون بعضهم و يشكّون في كل من حولهم لأنهم على يقين بأنّ هذه الصفات التي تحكم حياتهم تحكم حياة الآخرين ، و بالتالي فهم مصدر خطر حقيقي عليهم .. و هنا تكم الخطورة التي تحدثنا عنها ، فهذه الشكوك و المخاوف تجعل المجتمع مفككاً أكثر ، تسوده الريبة و البارانويا و سوء الظن مع عواقب ذلك من خلافات و أزمات أكبر .. و عند هذه النقطة الحرجة التي تنذر بدمار المجتمع كليّاً ، يأتي الإنسان الخلوق المهذب ليقلب الطاولة على فساد الأخلاق و يرمي حجراً في مياه مستنقع العلاقات الاجتماعية الآسنة ليبدّد عفونتها و تفسّخها قليلاً ، فيبدو بين الجنس البشري المتصارع ككائن فضائي قادم من كوكب آخر أو كألماسة نفيسة تشع بأخلاقها بين أكوام من الفحم الحجري بأخلاقه السوداء كلونه ..

فهو بجهاده لنفسه و ترويضه لطباعه البشرية قد أخرج أجمل صورة للإنسان من ذاته فنجده :

❁ متواضع يقدّر قيمة الآخرين و إنجازاتهم بل يشجّعهم ..

❁ يميل للإيثار و يتخلى عن كمالياته و ربما حاجاته لمساعدة الأقل حظاً منه .. و في النكبات يخاطر بنفسه كي ينقذ الآخرين خاصّة الضعفاء من أطفال ، نساء ، مسنّين و معوقين ..

❁ قنوع بقسمة الله و يشكره على نعمه التي لا تعدّ و لا تحصى و لا ينظر إلى رزق غيره بل يتمنى الرزق للجميع.

❁ الجميع سالم من لسانه و يده ، فلا يعتدي أو يغتاب أو يتمّ أو يسرق او يزّور .. بل يلتزم بالأعراف و القوانين لمصلحته و مصلحة مجتمعه ..

❁ نشيط ، يؤمن بأنّ البطالة أمّ الرذائل ، فلا يتوقف عن العمل بشرف و نزاهة و إتقان و يجعل من عمله هداية للبشرية بحسب استطاعته ..

❁ مسامح على الهفوات و الزلات ، و يبرر للآخرين أخطاءهم بحقه فيلتمس أعذاراً لهم ..

❁ طيّب و محترم مع الجميع لأنه يرى الجميع على شاكلته.

و القائمة تطول أيضاً .. و بالمحصّلة فإن الآخرين يرون في الشخص الخلوق عوناً لهم في أزماتهم ، داعماً لإنجازاتهم ، سعيداً بأرزاقهم ، مسالماً لن يأتيهم الأذى اللفظي أو الجسدي منه على نقيض غالبية الناس من حولهم ، لذا يحبونه ، يحترمونه و يحافظون عليه بقوّة ، فالناس يتزينون بالألماس

و يتباهون به و لن تجد عاقلاً يرميه بعيداً .. و مع شعورهم بهذا الفارق الإيجابي الهائل بينه و بين بقية الناس ستبدأ بذرة التغيير تنمو في أعماقهم ، فنجدهم يقتدون بالإنسان الخلوق و يشرعون برحلة السموّ الأخلاقي على درب جهاد النفس و ترويض الطباع الإنسانية السيئة حتى يتحلّوا أخيراً بأخلاقه الرفيعة ، ليلهموا آخرين على الخطو على خطاهم من جديد كدوّامة من الخير تسحب خبائث المجتمع إلى قاع عميق فتنظفه من أدرانه.. و هكذا فالإنسان الخلوق بذرة في حقل المجتمع القاحل سينمو منها بيدر كامل مع الزمن ليعشوشب و يخضرّ و هذه هي قوة الأخلاق السحرية ..

و ما أروع و أبلغ أبيات الشعر التالية التي لخّصت تفوّق الأخلاق في حياة الإنسان على كلّ شيء آخر :

من عاش صفراً من الأخلاق و الأدبِ

يحيا فقيراً و لو يمشي على الذهبِ

ما قيمة المرء إلا طيب جوهره

لا ما حواه من الأموال و الحسبِ

❷ الزاوية الدينية :

أولاً و قبل كل شيء ، لا بدّ من التأكيد على أنّ الأخلاق هي الغاية الأولى و الأخيرة من خلق الله للبشر في الحياة الدنيا ،

أي أن يروّض الوحش القابع في أعماقهم و ينحت بإزميل التجارب و الأحداث و المعرفة الصورة الجميلة التي يريدها لخلقه كي تليق بهم جنانه .. و أتمنى منك عزيزي القارئ أن تفكر بالكلام التالي جيداً و بعمق :

((إنّ الله يمكنه بغمضة عين و منتهى اليسر و السهولة أن يمنحك في الآخرة أجمل وجه ، أضخم عضلات ، أحلى صوت ، دماغاً فيه كل علوم الحياة ، مالاً لا ينضب .. لكنّ الشيء الوحيد الذي لا يأتي آتياً هو الأخلاق .. فهي لا تمنح من الخارج بل تتكوّن من الداخل بجهاد من الإنسان نفسه لنفسه بقرار ذاتيّ و كأنه ينحت أخلاقه في روحه بإزميله الخاص ..

و هذه عملية تستغرق زمناً طويلاً عبر مراحل متدرجة

صعوداً من التجارب المريرة كمعاناة الإنسان من عواقب سوء أخلاقه على نفسه أو من عواقب سوء أخلاق الآخرين عليه حتى يكوّن قناعة تامة و يقين لا تشوبه شائبة بأنّ الأخلاق هي الخيار السليم الوحيد لازدهار الحياة و تحصيل السعادة فتحفر فلسفتها في أعماقه إلى الأبد ، و لهذا السبب وجدت الحياة الدنيا كي يصل بنا الله إلى هذه الخلاصة النهائية ، أما بقية الأمور فكما قلنا يمكن لله أن يمنحنا إياها آتياً في العالم الآخر ، أي أنّ الدنيا وجدت من أجل الأخلاق و فقط))

و أما سبب هذا التركيز الحثيث على الأخلاق لدرجة خلق دنيا بكاملها من أجلها فبسيط للغاية :

((انعدام الأخلاق يعني ضياع المخلوقات و تحوّل الدنيا إلى غابة متوحشة يفترس فيها القوي و الضعيف ، و يبغض فيها البشر بعضهم و يعتدون على بعضهم ... و نهاية كل ذلك هو الفناء بلا أي شك .. و هذا هو مصير الحياة الآخرة لو أنّ الله خلق البشر فيها مباشرةً ، إذ إنه رغم جنانها الرحبة التي فيها كل شيء حرفيّاً ، فإن البشر بلا أخلاق سيفنون بعضهم فيها و يحيلونها إلى حجيم حقيقي ، و بالطبع حكمة الخالق ارتأت خلق مرحلة انتقالية هي الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة الأبدية لتجنب هذه الكارثة و تنمية الأخلاق في نفوس البشر في الدنيا قبل انتقالهم إلى دار البقاء))

و بسبب هذه الحقائق الخطيرة عن دور الأخلاق الحسّاس و المحوري في مصير البشر ، نجد رسول الرحمة محمد يلخّص رسالته كلها بجملة مقتضبة :

((ما بعثت إلا لأتمّم مكارم الأخلاق))

و لنفس السبب أيضاً نجد أنّ جميع الأديان السماوية و الارضية على حد سواء دعت بقوّة و حزم إلى الاخلاق و تهذيب النفس ، بل جعلتها في مكانة سامية مرموقة تفوق أي شيء آخر .. حتى نجد الرسول محمد مجدداً يفسّر سبب تسمية الإسلام بهذا الاسم فيقول :

((المسلم من سلم الناس من لسانه و يده ..))

و هذا بتعريف آخر هو الإنسان الخلوق .. فالإسلام يعني الأخلاق لا غير .. و من ساء خلقه ليس له دين و لو ختم الفرائض كلها طوال عمره ..

لذا نجد أن للأخلاق حصّة الأسد في الكتب السماوية الثلاثة على حساب أي جانب آخر من الحياة .. و الامثلة على ذلك تطول و بحاجة لموسوعات كي تحيط بها ..

و باختصار الأخلاق هي سّر الله في خلقه كما تشدو هذه الابيات العميقة المذهلة ..

و المرءُ بالأخلاقِ يسمو ذكْرُه

بها يُفضلُ في الورى و يوقرُ

أوغلْ بدنياكَ لا تنسَ الضميرَ ففي

طياتِه السرُ عندَ اللهِ ينحصرُ

و لمكانة الأخلاق العالية عند الخالق ، فقد جعل ثواب الإنسان ذي الخلق الرفيع فورياً في الحياة الدنيا قبل الآخرة ، فالحياة الدنيا تحمل في طياتها الجنة و الجحيم معاً ، و لأنّ كل إنسان يرى ما حوله على شاكلته فإنّ الإنسان الخلوق يرى الجنان على الأرض لوحدها و الإنسان ذميم الأخلاق يرى الجحيم عليها كواقع يتيم ، فكلّ ساقٍ سيسقى مما سقى ، و كل إنسان يجذب إليه ما يتماشى مع شحنته الداخلية فإن كانت سلباً جذب كل ما هو سلبي و إن كانت إيجاباً جذب الحبّ و الخير و الجمال و بواعث السعادة .. و ما الجنة سوى هذا ؟!

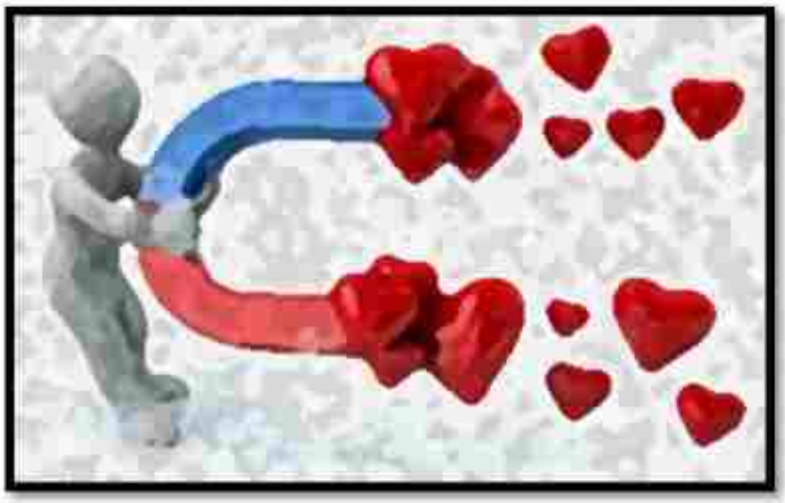

إنّه ببساطة **قانون الجذب** في الحياة أي أنّ ثواب الله و عقابه

بيدنا نحن ، فإن أحسنّا أحسن الكون إلينا و رأينا كل جميل في داخلنا من حولنا و إن اسأنا رد علينا الإساءة فرأينا الشر في أعماقنا جحيماً تحاصرنا ألسنة لهيبه ..

و لابدّ من التنويه أخيراً في سياق الحديث إلى الخطوة الضرورية و المصيرية التالية على سلّم تطور الدول ، وهي إلغاء مادة التربية الدينية التي تفرّق بين الناس و تشغل عقول الأطفال بأمور جانبية لا علاقة لها بالأخلاق و استبدالها بمادة التربية الأخلاقية التي تحسّن المجتمع و تقلل نسبة الرذيلة و الجريمة فيه و تضع الجميع في بوتقة واحدة لتصهرهم و تصنع منهم قوالب جميلة كما ارادها الله أن تكون .. أما الدين و طقوسه و فرائضه فتبقى حرية شخصية للإنسان يبحث عنها و يتوسع في التعرّف عليها بمفرده ، لكنها لا تفيد المجتمع بشيء فهي علاقة بين الإنسان و خالقه لا غير ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**قيمة الجرس برنّته**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أحسد هذا الإنسان على عضلاته فهو قوي للغاية أو ذاك الإنسان على ماله فهو لا يحتاج شيئاً أو آخر على جاهه فمكانته مرموقة أو فلان على نسبه فهو من عائلة مشهورة أو علّان على سلطته فالجميع بخدمته أو زيداً على لون بشرته

فهو من عرق متفوّق أو عَمْراً على جماله فهو محبوب الفتيات أو حتى عالماً على علمه فهو مميز في المجتمع ..

بل ان نقول :

= قيمة المرء بأخلاقه و حسب و هذا هو الحسد الوحيد الحميد في الحياة أن تحسد إنساناً على خُلقه و تتمنى أن تتزيّن به .. فإن كنت على أخلاق رفيعة و لا تملك أيّ شيء آخر مما ذكرناه ، فهذا يكفيك .. لكنك إن امتلكت كل شيء آخر معاً بدون أخلاق فلا قيمة لكلّ ذلك .. و لنتذكّر على الدوام أنّ الخالق عندما وصف نبيّ الرحمة محمد بكلام ، لم يتحدث عن جماله و هو من أكثر الرجال وسامة ، و لا حسبه و نسبه و هو مشرّف للجميع ، و لا بماله و هو رسول الله و لا يعوزه شيء ، و لا بلون بشرته ، و لا بسلطته و هو قائد المسلمين ، و لا حتى بعلمه و هو مدينة العلوم ، بل قال :

((و إنّك لعلى خلقٍ عظيم))

فهذه لوحدها تكفيه شرفاً ، جاهاً ، عظمة و قيمة ..

و خير من لخّص تفوّق الأخلاق هذا على بقية الصفات هو العالم الرياضي الشهير الخوارزمي بمقولة رياضية عبقرية :

((إذا كان الإنسان ذا اخلاق فهو 1

و إذا كان الانسان ذا جمال فأضف إلى الواحد صفراً 10

و إذا كان ذا مال أيضًا فأضف صفراً آخر 100

و إذا كان ذا حسب و نسب فأضف صفراً آخر 1000

فإذا ذهب الواحد و هو الأخلاق ذهبت قيمة الإنسان

و أصبحت معدومة و مجرد أصفار))

و هذا هو أول سرّ للأخلاق في الدنيا و منبع قوتها العظيمة ، إن امتلكها الإنسان أصبح لكل شيء قيمة مضاعفة و إن خسرها فلا قيمة لأي شيء آخر ..

و ألا نقول :

= لا أرى سبباً لخلق الله لنا في هذه الدنيا الشاقّة ، لماذا لم يخلقنا مباشرةً في جنانه و ينعم علينا بأرزاقه ..؟!

بل أن نقول :

= كل شيء في هذه الحياة ممكن أن يمنحك إياه الله من خارجك قبل أن يرتدّ إليك طرفك ، إلا الأخلاق فأنت تمنحها لنفسك من داخلك بجهادك لنفسك و ترويض طباعك السيئة و أما الله فيساعدك من الخارج بجعلك تخوض تجارب فريدة تمنحك أبلغ الدروس و أعظم العبر ، و هذا سبب خلق الله للدنيا ، فهي كمدرسة يلقننا فيها الدروس المتنوعة و ينحت

بإزميل التجارب أرواحنا بالأخلاق كي يخرج أجمل صورة ممكنة لنا تليق بها جنانه بعد الموت .. و هذا هو السر الثاني للأخلاق ، بأنها الغاية الأولى و الأخيرة من خلق الله لنا في الدنيا قبل الآخرة .. **فالخُلُق و الخَلْق** لا يتشابهان بالأحراف فحسب ، بل إنّ الأول هو سرّ الثاني و المحرّض على وجوده فما خلقنا الله في هذه الدنيا إلا كي نتحلّى بمكارم الأخلاق الرفيعة و لن يطلب منا في دار البقاء الآخرة إلا الالتزام بها و حسب .. فإن امتلكت الأخلاق امتلكت كل شيء ..

قيمة الجرس برنته و رنين كل إنسان هو أخلاقه ، فمهما كان جرسه ضخماً أو جميلاً و مزخرفاً أو كان معدنه ذهباً أو حتى ماساً أو صنعته أفضل شركة معروفة ، أو تدخل في بنائه متخصّصون ، كل ذلك بلا قيمة إن لم يرنّ هذا الجرس في النهاية عند قرعه ، بل يصبح أيّ جرس صغير مهترئ يرنّ أفضل منه بكثير ..

مغالطة الصبغي X

(ضلع حوّاء و الفخّ الذهبي)

= هل أعجبتك الحفلة أمس يا حبيب ؟

= كثيراً .. هل تعرف جيداً الفتاة السمراء التي جلست أمامنا ؟

= بتول ..

= أجل ..

= إنها صديقة صديقتي .. ما خطبها ؟

= يا لها من أنثى استثنائية ..

= و ما الذي أعجبك فيها .. إنها عادية الجمال .. كان هنالك عشرات الفتيات في الحفلة أجمل منها و أكثر جاذبية !!؟

= أعرف ، لكنني أعجبت بشخصيتها ..

= شخصيتها ؟! إنها انطوائية و لم تتحدث إلا قليلاً .. كما أنها من سوية علمية و ثقافية أقل منك بكثير ..

= لا أدري .. لقد استحوذت على اهتمامي كلياً .. هل يمكنك تأمين رقم هاتفها لي ..

= بالطبع ! يبدو أنك وقعت في الحب من النظرة الأولى يا صديقي ..

= و هل تؤمن بهذه النظرية .. ؟

= لا .. لكنك تثبتها لي الآن ، أكاد لا أعرفك يا صديقي ..!!

*****

الحب من أوّل نظرية .. مفهوم شائع في عالم الحبّ عندما نلتقي صدفةً بشخص ما فننجذب إليه مباشرةً دون تفسير واضح لذلك .. و كثيراً ما يؤدي ذلك اللقاء إلى الارتباط و الزواج ، لكن للأسف سرعان ما تنهار تلك العلاقة بعد سنوات من الزواج ، ليتحول ذلك الحبّ الجارف إلى حالة أشبه بالحرب الباردة .. فهل الحبّ من أول نظرة مغالطة في حياتنا و لماذا تنحو العلاقة بعد الزواج نحو الصراع و الجفاء فيتبخر ذلك الحب تدريجياً .. هذا ما سنحاول الإجابة عليه في مغالطتنا الجديدة (**الصبغي X**) خلال الصفحات التالية ..

نلتقي خلال حياتنا الطويلة بآلاف الأشخاص باختلاف أشكالهم و أعمارهم و طباعهم و فلسفاتهم الحياتية و توجهاتهم المهنية و سوياتهم الثقافية ، فلماذا ننجذب لأشخاص بعينهم دون غيرهم ثم نرتبط بهم على نحوٍ غير منطقي و لا مفسّر ، ما السر الكامن خلف انتقاء شخص عاديّ من بين الآلاف ؟ فنحن نميل في الحياة إلى انتقاء الأشياء المميزة التي تناسب مزاجنا و رغباتنا من ثياب ، أدوات ، أجهزة ، أمكنة ... فنختار الأفضل منها ، لكن عندما نأتي إلى موضوع الارتباط فالمعادلة تتغير جذرياً لنرتبط بأشخاص عاديين تبعاً للمقاييس العلمية و المنطقية .. ليس ذلك فحسب ، بل نرهن حياتنا القادمة كلها بالعيش إلى جوارهم ، على نحوٍ أشبه بانتحار نتنازل فيه عن راحة

أعصابنا و هدوء حياتنا و نقامر بهما .. فما تفسير هذه **الظاهرة البشرية العالمية** بالضبط التي تخالف المنطق و القوانين قاطبةً ..؟

في الحقيقة عندما ننجذب إلى شخص معيّن للارتباط به فإنّ انجذابنا هذا لا يكون **جنسياً** لأنّنا ندرك جميعاً بأنّ ثمة أشخاص آخرين أكثر إثارة منه بالنسبة لنا و نغضّ الطرف عنهم ، و لا يكون انجذاباً **عاطفياً** ، فنحن نتخذ قرار الارتباط بلحظة .. دون أي تاريخ مشترك بين الطرفين تحكمه التضحيات و اللحظات السعيدة التي تولّد العاطفة .. و لا يكون أيضاً انجذاباً **عقلياً** ، لأنّ الزيجات عادةً تكون بين طرفين غير منسجمين علمياً أو ثقافياً بل بقناعات مختلفة جذرياً .. فما سبب هذا الانجذاب الغريب و غير المنطقي ؟

ببساطة انجذابنا لأشخاص معينين من بين الآلاف هو انجذاب جيني بحت .. كيف ذلك ؟ تعال عزيزي القارئ لنفسّر سوياً هذا التصريح الخطير عبر مقاربة مغالطتنا من ثلاث زوايا غاية في الأهمية (علمية ، دينية و عاطفية) :

❁ الزاوية العلمية :

دعنا قليلاً نبحر في محيط علم الصبغيات حيث يحمل كل إنسان منّا **23** زوجاً من الصبغيات .. **22** زوج جسمي متشابه بين الجنسين ، و زوج جنسي وحيد يكون عند الذكر **XY** و عند الأنثى **XX** .. فكما تلاحظ عزيزي

القارئ أن الذكر يحمل إضافةً إلى الصبغي الجنسي الذكري **Y** صبغياً جنسياً أنثوياً **X** ، أما الأنثى فتملك صبغيات جنسية أنثوية فقط ..

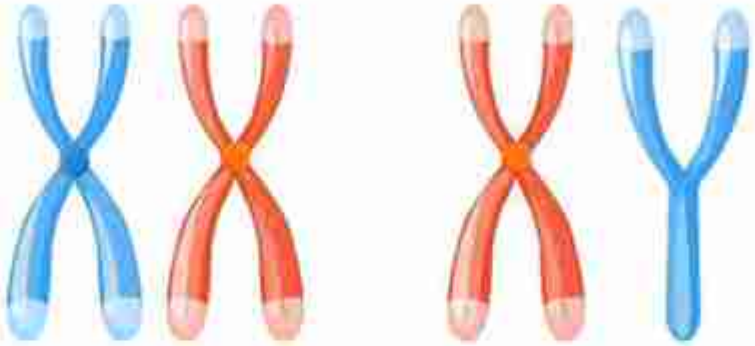

بمعنى انّ الذكر يحمل في جيناته و بالتالي في شخصيته و طباعه جانباً أنثوياً ، على نقيض الأنثى .. نعم أيها الذكر ، أنت تحمل جانباً أنثوياً في شخصيتك و هذا ليس ادعاءً أو كلاماً اعتباطياً بل كلام علمي وثّقه تحليل الصبغيات ، و هنا مربط الفرس في مغالطتنا .. فالذكر في الحياة يبحث عن الأنثى التي في داخله .. أي عن الجانب الأنثوي من شخصيته .. أما الأنثى فتبحث عن نفسها في الذكور من حولها .. أي أنّ شكل و طباع الشخص المنشود الذي سنرتبط به **محفورة في جيناتنا** التي وحدها ستقرر من سيرسو عليه اختيارنا .. فنختار شخصاً قد يكون عادياً بمقاييس الجمال و بسوية فكرية قد تختلف عنا و بطباع غير مستحبة بالعرف الاجتماعي .. و غيرها .. شخص لا تتوفر فيه أي صفة منطقية مغرية تدفعنا للارتباط به ، لكن رغم ذلك كله نجد أنفسنا نندفع بقوة للارتباط به دون تفسير واضح لقيامنا بذلك.

و من بين آلاف البشر الذين نختلط بهم في حياتنا هنالك طيف

واسع من الاناث و الذكور تنطبق عليهم الصفات الجينية التي نحملها بنسب متفاوتة ، و هذا يفسر تعدد العلاقات و بأننا - كما يقال - نقع في الحب مرات عديدة ..

فأنت ببساطة عزيزي القارئ تبحث عن الطرف الآخر الذي يحمل الصبغي **X** خاصتك في صبغياته دون أي اعتبارات أخرى ، لا شكلية و لا شخصية و لا مادية و لا فكرية و لا أي شيء آخر .. و الموضوع برمته أشبه بحقل مغناطيسي يولده الصبغي **X** حول الشخص فيتداخل مع الحقل المغناطيسي المنسجم معه و يتجاذبان .. و بالطبع نحن لا نرى هذا الحقل بل نشعر بتأثيره الجاذب فحسب .. و هذا هو بالضبط تعريف الحب من أول نظرة .. عندما يتداخل الحقلان مباشرةً دون كلام أو أفعال بين الطرفين ..

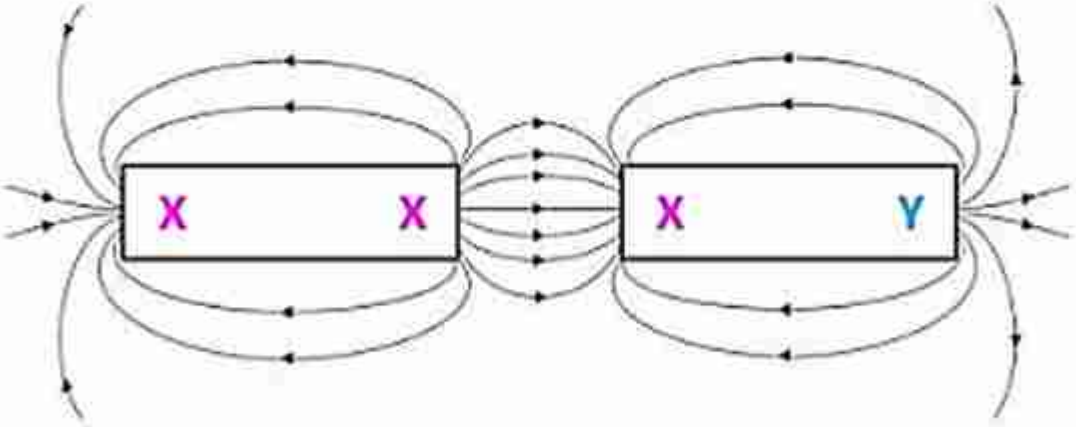

❁ الزاوية الدينية :

في الدين إشارة صريحة تؤكد نظرية الصبغي **X** بقوة و بأن كل إنسان يبحث عن شخصٍ بين الناس موجود في صبغياته

بالفعل ، فنجد البارئ يقول في الذكر الحكيم :

((و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها))

و هذه آية لا لبس فيها تؤكد أنك عندما تجد نصيبك في الزواج ، فأنت ببساطة وجدت الشخص الموجود فيك بالأساس كصبغي و ترجم أمامك إلى إنسان كامل و ليس شخصاً اعتباطياً على الإطلاق .. و خير دليل واقعي على ذلك أنّ الله خلق حوّاء من ضلع آدم و كأنه منحها الصبغي **X** خاصتها من الصبغي **X** الخاص بآدم ، فوجد نفسه فيها و رأت نفسها فيه ..

لذلك يقال في الدين أنّ الزواج قسمة و نصيب ، لأن الزوجان قسما من بعضهما لبعضهما بحكمة إلهية سنتحدث عنها بعد

قليل .. أي كما تقسم شيئاً إلى نصفين متشابهين يكون الصبغي **X** متماثلاً بينهما كحال آدم و حوّاء تماماً .. و **انتبه عزيزي القارئ أن هذه القسمة لا تعني أن كلاً منهما يجد حلمه في الآخر .. لا على الإطلاق .. بل يجد نفسه في الآخر و الفارق كبير جداً ..**

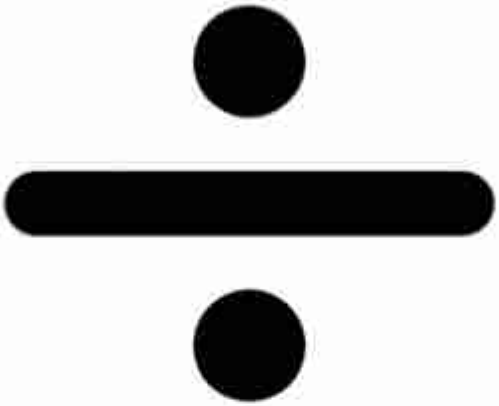

❁ الزاوية العاطفية :

إذا كان الحبّ من اول نظرة حقيقية علمية كما ناقشنا آنفاً ، فإنّ فكرة توأم الروح هي خرافة لا أكثر .. فالأرواح تتكامل بالتجارب عبر الزمن و ليس فعلاً آنياً جاهزاً .. و التفاهم يبنى على عملية تغيير مزمنة لطباع الطرفين كي يرضي كل منهما الآخر ، و هي عملية منهكة و شاقة ، لذا عادةً يطالب كلّ منهما الآخر بتنفيذها بمفرده ، أي يطلب منه أن يتغير لأجله دون أن يتكبد هو عناء التغيير من أجل الطرف الآخر ، و الأدقّ أن نقول بدلاً من توأم الروح (توأم الصبغي **X**)

و بمقاربة بسيطة لما سبق يمكننا تفسير سبب الخلافات الزوجية بعد الزواج كقدر لا مهرب منه نراه في جميع

الزيجات ، فببساطة العيوب التي يراها كل طرف في الطرف الآخر هي عيوبه الشخصية لا غير .. عيوب في جيناته يراها أمامه يومياً كمن ينظر في مرآة ..

و لا شيء يزعج الإنسان أكثر من رؤيته لعيوبه عارية .. فيبدأ الزوجان بالنفور من بعضهما تعامياً عن عيوبهما .. و هذا بالضبط يفسّر لماذا نرتاح للأصدقاء أكثر من الازواج لأننا ببساطة لا نرى عيوبنا فيهم ، بل نرى فقط الجانب المشرق منا ، لذا نجد الأزواج يشكون بعضهم لأصدقائهم رغم أن ما بينهما من تاريخ حافل من الحبّ و الأبناء و التضحيات و الذكريات ، لا يوجد أبداً في الأصدقاء ، لكننا نفضل الصديق الذي يظهر إيجابياتنا على الزوج الذي يبدي عيوبنا ..

و هذا ما يفسّر أيضاً لماذا قد يتزوج الرجل عدة مرات بلا فائدة ، حيث تستمر المشكلات نفسها و تتكرر، لأنه ببساطة يقع في الفخ ذاته من جديد فيختار أنثى تحمل صبغيه **X** نفسه فتكشف عيوبه ثانيةً عندما يراها ماثلةً أمامه في شخصها ..

يوصف الزواج في التراث الشعبي بأنه (**القفص الذهبي**) و هذه حقيقة واقعية ، فالزواج سجن لابدّ منه حتى يتحرر الطرفان من صفاتهما السلبية .. بل الحقيقة أنه أشبه **بفخّ ذهبي** ..

حيث يضع الله طعماً لكلّ طرف في الآخر و هذا الطعم هو ببساطة الصبغي **X** ، حيث يقع الطرفان في شباك الحقلين المغناطيسيين المتشابكين المتولدين عنه ..

و في هذا القفص أو السجن أو الفخّ يروّض الزوجان بعضهما عبر كشف كل منهما عيوب الآخر التي هي عيوبه نفسها لا غير ، و يضطران للتعايش مع بعضهما لسنوات في حالة

أشبه بالحرب الباردة ، يتعنّد كل طرف فيها عن الإقرار بعيوبه و رؤيتها عارية و ينتظر من الطرف الآخر بل يضغط عليه كي يتغير و يصحّح عيوبه كي يرتاح أخيراً من معاناة رؤية عيوبه فيه ..

لكن مع العمر الطويل أو مع تكرار تجارب الزواج الفاشلة ، يخضع الطرفان أخيراً للواقع فتتغير الطباع تدريجياً .. و بالتالي يكون كل طرف قد قدّم للطرف الآخر أكبر هبة في حياته و هي إخراج الصورة الأجمل منه بعد تصحيح عيوبه ، فبينما الآخرون يركّزون على محاسننا و لا يكترثون لعيوبنا فيتركونا أسراها ، يقوم الزوج الحبيب بتحريرنا من هذا السجن البائس و يغيرنا نحو الأفضل ..

و بذلك فالخلافات الزوجية ليست سوى حرب بين طرفين يضغط كل منهما على الآخر كي يتنازل عن غروره و يرضخ لواقعه فيغير نفسه ، حتى ينتصر الطرفان بعد عمر طويل من الخلافات .. أي أنها باختصار **حرب بين الإنسان و نفسه التي يراها في الطرف الآخر الذي خلقه الله من نفسه .. !!**

و كما يوصف الزوجان بعد الزواج بأنهما يتحولان لوجهي عملة واحدة لا يلتقيان ، فهذا صحيح حرفياً ، لأنهما يتبعان عملة واحدة (الصبغي **X**) و يرفضان مواجهة عيوبهما في الآخر .. أو أنّ الصبغي **X** كجدار يفصل بين الزوجين في الحياة لكنه سينهدم ذات يوم على خطى جدار برلين فيتحد الزوجان معاً كحال اتحاد الألمانيتين الشرقية و الغربية في ألمانيا الموحدة أخيراً ..

و للأسف جميع الأزواج ينكرون هذه الحقيقة ، لأن الإنسان ببساطة يميل لرفع التهم عن نفسه و إبراز ذاته كشخص كامل مترفّع عن العيوب و النقائص فيحمّل الطرف الآخر المسؤولية كلها ..

و كلما كانت الخلافات الزوجية أكبر بل كلما انتهت إلى الطلاق ، فتيقّن عزيزي القارئ بأن نسبة التطابق بين الصبغيين **X** في الزوجين هائلة ..

◍ **ملاحظة هامة أخيرة** : أنا أسمعك عزيزي القارئ تقول بأنك و الطرف الآخر تختلفان جذرياً في كل شيء .. فكيف أزعم بأنكما تتشابهان بالعيوب .. و لقد أجبت منذ قليل على هذا التساؤل عندما أكدت من البداية بأن الطرفين الذين يقعان في الحب لا يتشابهان أبداً بالفعل (ثقافياً ، شكلياً ، شخصياً ، بالقناعات أو غيرها) مما يجعل ارتباطهما غريباً و غير مفسّر ، لكن التشابه الذي أتحدث عنه هو التشابه في أمور و عيوب مفصلية في الشخصية لا يراها الطرفان بوضوح و سرعة و إلا لما ارتبطا بالأساس .. لكنها تتكشف بعد الارتباط مع مرور الزمن و هي باختصار : (**نقاط ضعفك الكبرى في حياتك**) .. و لكي أوضّح لك الفكرة أكثر ، لنفترض بأنك شخص بميول سادية دون أن تعي ذلك .. فالمنطق يفترض بأنك ستنجذب إلى شخص مازوخي يلبي رغباتك .. لكن الحقيقة أنك ستنجذب إلى شخص سادي مثلك بتشابه الصبغي **X** بينكما .. و هنا ستدور حرب طاحنة بين سادية الطرفين حتى يتخليان أخيراً عن هذه الصفة السلبية .. و هذا ينطبق أيضاً على النرجسية أو الانطوائية أو غيرها من الصفات السلبية الكبرى ..

و كتلخيص لكل ما سبق في نقاط :

◈ الحب من أول نظرة حقيقة علمية بلقائك بتوأم الصبغي **X** الخاص بك .. أما توأم الروح فخرافة ..

◈ الله يخلق الأزواج من أنفسهم .. كحوّاء من ضلع آدم ، و

ليس اعتباطياً .. و هذا هو النصيب و القسمة ..

◈ أفضل توصيف للزواج هو (**الفخّ الذهبي**) حيث يظنه الزوجان دنيا من السعادة و راحة البال ، لكنه في الحقيقة رحلة عمر من الخلافات و الحرب الباردة يحاول فيها كل طرف تصحيح عيوب الآخر التي هي عيوبه نفسها مدى الحياة .. و على خلاف مقولة جوزيف ستالين الشهيرة عن زوجته :

((**ستطاردني جيناتها و أنا في القبر**))

فإن الحقيقة أن جينات الزوجين المتشابهة في الصبغي **X** ستلاحقهما مدى الحياة .. لكن بعد الموت ستلتئم الجراح بعد أن أدت الجينات دورها في ترويض طباعهما السيئة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الشائكة (**الصبغي X**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= لقد وقعت في حّب الطرف الآخر من النظرة الأولى .. و هذه إشارة إلهية إلى أن زواجاً هانئاً سعيداً ينتظرني ..

بل أن نقول :

= الحبّ دائماً يكون من أول نظرة ، وذلك ليس لأن الطرفان وجدا حلم حياتهما في الآخر ، بل لأن حقليهما المغناطيسيان

تداخلا و تجاذبا بدافع من الصبغي X المتشابه بينهما .. و ببساطة هذا فخ وقع فيه الطرفان .. فخّ ذهبي جمع طرفين متشابهين بالعيوب مع بعضهما لسنوات على مدار الساعات بحيث لا مهرب لأيّ منهما من رؤية عيوبه في الطرف الآخر ، حتى يعلنا الاستسلام أخيراً و يتغيرا سوياً بتصحيح عيوبهما أو أن ينسحبا من الحرب فيتطلقا و يقعان في فخّ جديد ..

و ألا نقول :

= أنا مندهش من انجذابي غي المنطقي لفلان رغم عدم وجود أي أسباب واضحة ..

بل أن نقول :

= فلان كإنسان هو ترجمة بسيطة لجينات الصبغي X الخاص بي إلى شكل محدد و طباع معينة .. فليس عقلي من انجذب إليه بل جيناتي ..

عزيزي القارئ عندما تتزوج ذات يوم ستقع في فخّ كبير لبقية حياتك .. فخ ظننته عالم الأحلام و الحياة الهانئة فاكتشفت أنه فخ الخلافات الزوجية لسنوات .. لكن رغم ذلك تزوج و لا تتردّد .. فالأفضل لك أن تتزوّج شخصاً يقول لك الحقيقة بإظهار عيوبك بشفافية فيمنحك فرصة تغييرها .. بدلاً من أن تقضي حياتك أعمى عنها فلا تتغير قيد أنملة نحو الأفضل .. و تذكر أن ولادة أي إنسان تكون بمخاض مؤلم و عسير .. كذلك ولادة الصورة الأجمل منك تحتاج مخاضاً

عسيراً لسنوات تجسّده المشاكل الزوجية .. و تأكد بأن زوجك/ زوجتك هو/هي أكثر طرف أحبك في الحياة .. لأنّه:

❁ تحمل عيوبك عمراً كاملاً .. لأنها عيوبه أيضاً و هو متعايش معها ..

❁ أحبك على ما أنت عليه رغم أنك لست ذلك الشخص الكامل بالمنطق المجرّد .. بل إنك بعيد تماماً عن مواصفات أحلامه ..

❁ الأهمّ أنه منحك أكبر هبة في حياتك .. نسختك الأفضل منك التي سترافقك في العالم الآخر إلى الأبد .. بدفعك لرؤية عيوبك فيه عارية و الانزعاج منها ثم تغييرها أخيراً ..

و الله الحكيم لم يخلقه من نفسك جزافاً ، بل لأنه الوحيد القادر على تحملك و تغييرك .. فهو ببساطة يدرك أن عيوبك هي عيوبه ، فكيف يكره الإنسان نفسه ؟!!

مغالطة حقل الألغام

(بثماني أضعاف الطلقة)

= ما الذي طرأ عليك يا بنيّ ، إنك متغير كثيراً عما سبق ؟

= أشعر بالقلق يا أبي ..

= خير بنيّ ! قلق من ماذا ؟

= من كل شيء .. الدنيا عالم مخيف و خطير ، كأنك تمشي في حقل ألغام ، و لا تعرف أي لغم سينفجر فيك بأي لحظة .. مرض ، كوارث طبيعية ، موت ، حروب ، سرقة ، احتيال ، خسارة عملك أو من تحب .. و القائمة تطول ..

= الحقّ معك جزئياً ، فعوامل الخطر تحيط بنا من كل الجهات بالفعل، لكنك أغفلت عامل الأمان الأهم منها كلها.. و الذي يحكمها و يسيطر عليها كي لا تخرج عن مسارها المحدد ..

= حقاً ، و ما هو ؟

= الله تعالى يا بني ، خالقنا الرحيم الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، و لا شيء يحدث إلا بإذنه و لغاية حكيمة منه ..

= يصعب عليّ الإيمان بذلك وسط هذه الغابة المخيفة التي يفترس فيها القويّ الضعيف ..

صمت الأب مفكراً للحظات ثم قال أخيراً ..

= حسناً ، انتظرني في الحديقة خارجاً و سأوافيك بعد لحظات كي أغيّر وجهة نظرك السوداوية هذه ..

= كما تشاء ..

غاب الأب لدقائق ثم خرج إلى حديقة المنزل و بيده بندقية الصيد خاصته ، ابتسم لابنه و ناوله البندقية فابتسم الابن ..

= هل ستقتلني و تريحني من حقل الألغام إلى الأبد !!

= بل سأقتل قلقك يا بنيّ ، صوّب إلى جذع تلك الشجرة ثم أطلق ..

الابن بدهشة ..

= و ما علاقة ذلك بقلقي يا أبتي .. ؟

= افعلها أولاً ثم أخبرك ..

بالفعل حمل الابن البندقية و صوّب إلى جذع الشجرة و اطلق ثم قال ..

= و الآن ؟

= هل تمكّنت من رؤية الطلقة التي خرجت من البندقية ؟

= بالطبع لا ، فهي سريعة للغاية !!..

= و هل يمكنك التحكم بمسارها و تغييره ؟..

= لا مجدداً .. كيف يمكن لمخلوق فعل ذلك ؟!

= و هل تعلم يا بني كم تبلغ سرعة دوران الأرض حول الشمس في الفضاء ؟..

= أبداً ..

= إن سرعتها هي **8** أضعاف سرعة الطلقة التي خرجت

من بندقيتك الآن ..

الابن بذهول ..

= هذا مستحيل !!..

= لا ، هذا واقع مثبت بالعلم و الأرقام يشير إلى إبداع الخالق في تنظيم سير خلقه بإحكام و دقة ، فسرعة دوران الأرض حول الشمس هي **107** آلاف كيلو متر / ساعة ..

= مذهل !! و كيف لا تصطدم بغيرها من الكواكب او الكويكبات .. أو تخرج من مسارها و لو لمرة ؟..

= بالضبط هذا هو إبداع الخالق الباعث على الأمان و التسليم بحكمة و عظمة تدبيره .. فإن كان الله قادراً على ضبط مثل هذه الحركة الهائلة لملايين السنين دون وقوع أي خلل أو كارثة ، فهل يصعب عليه تسيير حياة إنسان صغير في هذا الكون ..

= كلام لا غبار عليه !

= لذا لا تقلق يا بنيّ ، صحيح أنّ العالم من حولنا يعجّ

بعوامل الخطر طول الوقت لكنه من جهة أخرى محكوم بخالق مبدع و نبيل يحكم سير الأمور بدقة و حكمة ، أصغِ جيدا إلى هذه الأبيات العميقة..

تدور الأرض حول الشمس بثماني أضعاف الطلقة

لآلاف سنين قد مرت و مسارها أبدا ما اختُرقا

لا تبعد عنها أو تقرب ميكروناً غرباً أو شرقا

إن بعدت عنها فذاك جليد و إن قربت ما فيها احترقا

و بعد هذا أراك تعيساً .. تشكو القلق أو الأرق

تذّكر بني كل مساء و الشمس تودع ذا الأفق

من أحكم مسارها دون حياد في حلقة تتلوها الحلقة

لا يعجز عن ضبط حياة .. و الكون بيده قد خلقا

ما بين اللحد و بين المهد و قبلها مذ كنت علقة

كتاب حياتك مخطوط بزواج القلم مع الورقة

فاليسر ضيفك أحياناً .. أو عسراً أبوابك طرقا

و الدنيا سراب لا تتبع .. و تخلّ عنه كلو صدقة

من جعل الله نجمته .. ما تاه و قد بلغ الحقّ

أما من أنكر عظمته .. على نحوٍ مثير للشفقة

قد أدخل نفسه في نفق .. عتمته كسواد الحدقة

لا تعصي ربك بموبقة .. لا تدخل نفسك ذا النفق

الله منار ذي الدنيا .. من أنكر .. تاه أو غرق

فلا تخف يا بني و لو للحظة و سلّم أمورك قاطبة لله و لن يخذلك أو يعجز عن إدارتها بحكمة و نبل ..

= يا الله كم هو شعر جميل يا أبتي و كم كلامك مريح للنفس و الروح .. صدقت ، من خلق هذا الكون المعقد و ضبط حركته بدقة لا يمكن أن تقابله إلا بالرضا ، التفاؤل و التسليم ، لقد أثلجت كلماتك صدري و منحتني راحة نفسية هائلة كنت بأمسّ الحاجة لها .. أشكرك ..

= أشكر الله يا بني فهو معيننا جميعاً و ما نحن سوى مجرد أدوات في تدبير شؤون خلقه ..

*****

من رحم هذا الحوار المطمئن و الهام للغاية بين شاب قلق من الحياة و أبيه المؤمن الحكيم و من خلاصة أبيات الشعر الأخيرة تبصر مغالطتنا الجديدة : (**حقل الألغام**) النور مع سؤالها الجوهري التالي :

((نحن بالفعل نعيش في حقل ألغام في هذا العالم بكثرة عوامل الخطر من حولنا ، فهل يحقّ لنا بذلك أن نقلق و نعاني من الاكتئاب ، الأرق و الخوف ؟))

إنّ الجواب المبدئي الوجيز كالعادة هو:

((**صحيح أنّ كوكب الارض تعصف به المشاكل ، الكوارث و المخاطر من كل حدب و صوب ، لكن الأهم من ذلك كله أن فوق هذا الكوكب يسكن عرش السماء** إله رحيم ، نبيل و مبدع يتحكم بكل شيء بمنتهى الدقة ، السيطرة و الإتقان ، **فترياق الخوف من حقل الألغام هذا هو الإيمان المطلق و التسليم التام لهذا الإله ، فهو بوصلتنا في حقل الألغام كي نتجنبها أو منارنا الذي يهدينا في ظلمات الدنيا الحالكة ..))**

و لتحليل جوابنا هذا بدقة و عمق أكثر سنقارب مغالطتنا من زاويتيها ، عوامل الخطر في الدنيا ، و قدرة الخالق الهائلة على ضبط ما خلق بيديه .. ثم نتطرق إلى مجموعة أمثلة ملهمة تشرح فكرتنا بوضوح كافٍ كما آمل ..

1 **أنواع الألغام في حقل الدنيا الخطير** : إنّ أهم عوامل الخطر من حولنا تشتمل كما ذكرنا آنفا في مطلع المغالطة على ما يلي :

- الأمراض و الأوبئة ..
- الموت ..

- الكوارث الطبيعية كالزلازل ، البراكين و الأعاصير ..
- الحروب بمختلف دوافعها ، سياسية ، دينية ، توسعية ، نهب ثروات ..
- الأزمات البيئية كالتصحّر ، ثقب الأوزون و التلوث..
- الازمات الاقتصادية ..
- أذى البشر لبعضهم كالسرقة ، الاحتيال ، الاعتداء بأنواعه ، تشويه السمعة ، المكائد ..
- الخسارة بأنواعها ، خسارة وظيفتنا أو دمار منزلنا أو فقد من نحب ..

و القائمة تطول ، لذا نكتفي بذكر ما سبق و الذي يعتبر أشيع و أهم الالغام في حقل الحياة .. و مما لا شك فيه عند تفنيد هذه العوامل كلها أنها بغزارتها و تنوع مصادرها أمر باعث

على القلق ، الخوف و الاكتئاب بالفعل حتى الوصول إلى مرحلة اليأس و العجز ثمّ التوقف عن مصارعة الحياة و المضي قدما فيها جرّاء الحجم المهول للأهوال من حولنا ، حيث يمكن لأي لغم منها أن ينفجر بنا في أيّ لحظة ..

لكن هنالك عامل مقابل **كرد فعل معاكس بالاتجاه و الأهم أنه أشد قوة و مقداراً من هذه العوامل المجتمعة بملايين الأضعاف** يحكم سيطرته عليها و كل شيء يجري بإرادته و رضاه وفق معايير مدروسة بدقة و عناية ، و للتعرف عليه أكثر ننتقل مباشرةً إلى الزاوية الثانية من مقاربتنا ..

2 **الإله الخالق** : فإن كان لدينا يقين تام بأن هذا الخالق يتحلى بالصفات التالية : **مطلق القدرة ، خالق حقل الالغام هذا بنفسه و يعرف خفاياه بدقة ، رحيم ، حكيم و نبيل ،** سندرك عندها الحقائق التالية التي تثلج الصدر و تريح النفس :

❁ من خلق حقل الألغام هذا بمقدوره ببساطة أن يحكم السيطرة عليه ..

❁ ما من لغم ينفجر في هذه الدنيا إلا بإرادة الخالق و لغاية نبيلة حكيمة تصبّ في مصلحة الإنسان و تحقق الغاية من خلق الله له في هذا الحقل ، فمنذ أرسلك الله إلى هذا الحقل فقد حدد لك مسبقاً نوعية الألغام التي ستنفجر بك ، متى سيحدث ذلك ، عواقبه و الأهم الحكمة و الغاية من انفجاره.

❁ لا يمكن لحياتنا أن تكون مجرد انفجارات متتالية عبثية لألغام العالم المختلفة كي تدفعنا للعيش بحالة من الخوف ، القلق ، الاكتئاب و اليأس ، لأن الخالق ببساطة نبيل و رحيم و بالتالي فهو لم يخلقنا كي يعذبنا بل كي يلقننا الدروس البليغة و يروّض الوحش القابع في أعماقنا كي يخرج منا صورة نبيلة ، رحيمة و حكيمة على هيئته كي تليق بنا الحياة في جنانه الرحبة في الآخرة و **ما هذه الألغام سوى الإزميل الذي ينحت به الخالق تلك الصورة الجميلة فينا ..**

بوضع هاتين الزاويتين بوجه بعضهما ندرك الحقيقة التي لا ريب فيها بأنه لا داعٍ أبداً للقلق أو الارق أو الخوف في الحياة ، بل يتوجب علينا فقط تسليم أمورنا للخالق بطواعية و هدوء دون تمرد أو تذمر كي نتجنب أن نفجّر ألغاماً عبثية بأنفسنا عندما نمشي عليها طواعية و بإرادتنا .. فكما شقّ الله البحر لرسوله موسى و نجاه من المخاطر خلفه عندما أيقن أن هلاكه حان و لا مهرب أو منجاة له ، في حين أغرق أعداءه في أعماق ذلك البحر .. فإنه سيشقّ لكل إنسان مؤمن به طريقاً معبداً بالورود ، السلام و الأمان ضمن حقل الألغام المخيف هذا و ذلك على الله ليس بعسير على الإطلاق و أرجو منك عزيزي القارئ أن تصغي جيداً إلى هذه القصة الغريبة للغاية التي لا تدع مجالاً للشك بأنّ أي لغم ينفجر فينا في الحياة محكوم بسيطرة إلهية ، و إن كتب لنا الله النجاة و الاستمرار فحتى الصواعق بنفسها لن تؤثر

فينا :

((قصتنا تتحدّث عن السيد (**روي كليفلاند سوليفان**) و هو مواطن امريكي عاش ما بين عامي **1912** و **1983**، كان يعمل كحارسٍ لحديقة وطنية في ولاية فرجينيا ، و اشتهر بأنه تعرَض لضربات الصواعق خلال حياته **7** مرات و نجى منها كلها بأعجوبة لا يمكن تفسيرها إلا بحماية الله له ، حيث أنّ توتر الصاعقة الواحدة هو حوالي **300** مليون فولت، أي مليون ضعف كهرباء المنزل الكفيلة بقتلك في العادة !!

ضرب البرق روي أول مرة في عام **1942** ، حيثُ كان يختبئ من عاصفة رعدية في أحد أبراج المراقبة بالحديقة، و

كان البرج غير مُهيأ لضربات البرق ، لذا ضربته الصواعق عدّة مرات، ليُصاب روي حينها بحروق بالغة في قدمه اليُمنى .. أما الضربة الثانية فكانت عام **1969**، حيثُ ضرب البرق بشدة السيارة التي كان يقودها روي، و قام جسم السيارة بتفريغ معظم الطاقة الكهربائية داخل الارض، و لكن رغم ذلك أُغمي على روي و احترق شعره و حواجبه و رموشه .. و في عام **1970** ضرب البرق روي للمرة الثالثة و هو في حديقة منزله الخاصة، حيثُ ضربت صاعقةٌ برجاً كهربائياً قريباً جداً، و من هناك امتدت قوة الصاعقة لتصيب كتف روي و تصيبها بحروق بالغة ..

ثم جاء عام **1972**، و بينما كان روي يعمل في الحديقة الوطنية ، ضربه البرق بشدة مجدداً ، مما أدى إلى حرق جسده وشعره ثانيةً .. و في عام **1973** كان روي يعمل في الحديقة الوطنية أيضاً ، حيثُ لاحظ وجود سحابة رعدية مُقبلة، فأدار مُحرك السيارة ليبتعد بسُرعة عن المكان ، و لكن البرق ضربه مجدداً ، و قد أوضح روي في مذكراته أنه رأى البرق قادماً ، و أن البرق حرق شعره بالكامل، كما أنّ حذاءه الايسر طار بعيداً بفعل قوة الضربة ..

الضربة السادسة كانت في عام **1976**، حيثُ كان روي يهرب راكضاً من عاصفة رعدية ، لكنها رغم ذلك أصابته دون ان يتعرّض للموت في هذه المرة أيضاً .. ثم أتت الضربة السابعة و الأخيرة عام **1977** ، حيثُ كان روي

يصيد السمك في قاربه ، قبل أن يضربه البرق في رأسه و يمتد ليحرق صدره و معدته .. و الأغرب من ذلك أن روي تمالك نفسه ووصل إلى سيارته ، ليهجم دُبٌّ عليها مُحاولاً سرقة ما اصطاده من أسماك لكنّ الله حماه منه أيضاً ..

توفي روي أخيراً عام **1983** عن عمر ناهز **71** عاماً لسبب آخر غير الصواعق عندما قضى الله بأن حياته انتهت لينفجر اللغم الأخير فيه و يموت ..))

فكما ترى عزيزي القارئ أن هذه الألغام القاتلة (الصواعق السبعة) التي انفجرت في روي ، لم تقتله لأنّ هنالك خالقاً مبدعاً في السماء يسيّر الأمور كما يريد و تخضع له جميع القوانين فيقف المنطق مكتوف الأيدي أمام عظمته و جلاله.. لذا لا داع للخوف و القلق من أي مصيبة محتملة ، فإن أراد الله لك أنْ تنجو منها فستكون برداً و سلاماً عليك ، و إن أراد لها أن تؤذيك فذلك لحكمة بليغة و غاية نبيلة في نفسه ستدركها بعد حين ..

ننتقل الآن إلى بعض الأمثلة الملهمة للغاية و التي توضّح بدقة قدرة الخالق المذهلة على ضبط مسار الأحداث كما يريد ..

❁ **النطفة و البويضة** : فتأمل عزيزي القارئ هذه الحقيقة العلمية الغريبة للغاية : إنّ شكلك الحالي الذي أنت عليه هو

نتاج اتحاد جينات نطفة محددة مع بويضة محددة ، فلو أن أي نطفة أخرى أو بويضة أخرى حلت مكانهما لكنت الآن شخصاً آخر تماماً ..

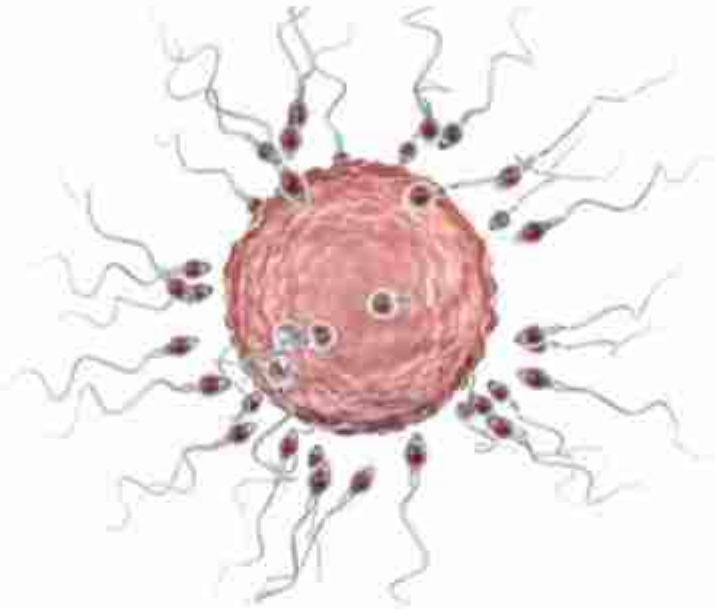

المذهل في الموضوع أنّ عدد النطاف التي تخرج من الذكر في عملية التزاوج الواحدة يتراوح بين **15** و **300** مليون نطفة ، و أنّ بويضة واحدة فقط عادةً تنفجر من المبيض في كل عملية إباضة شهرية .. فتخيل عدد النطاف التي خرجت من والدك في حياته او البويضات التي انبثقت من مبايض والدتك ، و أن الخالق بطريقة ما لا يمكن استيعابها تمكن من جعل نطفة محددة وسط مليارات النطاف و بويضة بعينها من بين مئات البويضات تلتقيان في الوقت المناسب كي تكون النتيجة هي أنت بشكلك و صفاتك .. أمر مذهل و هو المخيف بحق في حياتنا لا حقل الألغام الذي ذكرناه ، لكنّه بنفس الوقت باعث قوي على الاطمئنان بأنّ الله مسيطر على كل شيء بدقة و إحكام !! ..

❁ **في نفس السياق ، عندما يتمكّن الخالق من جعل خلية وحيدة (البويضة الملقحة) تتحوّل إلى كائن كامل بشراً كان أم حيواناً بصفاته كلها** و مكوّناً من ملايين الخلايا المتخصصة بعشرات الوظائف المختلفة بدقة لا متناهية ، ثم يجعل من حياته قصة هادفة ذات معنى هام للغاية ..

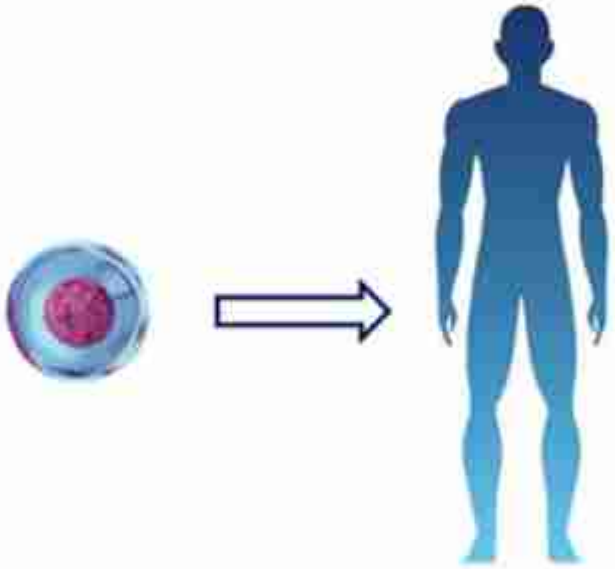

أو أن يخرج أشجاراً تشقّ عنان السماء من بذرة صغيرة ، فهذا أمر يفوق قدرة العقل البشري على الفهم و الاستيعاب بأي طريقة !! .. فالله حرفياً يخلق كل شيء من لا شيء يذكر كما خلق الكون برمته من نقطة غاية في الصغر و الكثافة بالانفجار العظيم ذات لحظة ..

❁ **سرعة دوران الارض حول الشمس** : كما ذكرنا في مطلع المغالطة ، فعقل الإنسان غير قادر إطلاقاً على

استيعاب هذه السرعة الهائلة ، فنحن نعيش بهدوء على سطح كوكب يجري الآن في الفضاء بسرعة تفوق سرعة خروج الطلقة من السلاح **8** أضعاف !! ..

❁ إنّ ملايين النيازك و الكويكبات تبحر في فضاء مجموعتنا الشمسية و مليارات المليارات خارجها ،

و بحسب الاحتمال الرياضي العشوائي فإن كوكبنا ما كان ليستمر للحظات بسبب العدد الهائل من النيازك في الفضاء الذي يمكن ببساطة لأي منها أن يدمّر الارض ، لكن رغم ذلك استمرت الأرض بسلام و ذلك بتقدير إلهي يحميها من هذا العدد الهائل و الخطر المحدق بها من كل الجهات ، فالأرض نفسها تتحرك وسط فضاء يعجّ بالألغام كحال حياة الإنسان بالضبط لكنها لا تصطدم بها أبداً ، و لا تفسير علمي منطقي آخر لسلامة كوكبنا حتى الآن سوى إرادة الخالق و حمايته لنا بحماية الأرض من النيازك ..

❁ **الحياة الطويلة رغم عوامل الخطورة** : إن حقل الالغام الذي ذكرناه هو بنفسه دليل على سيطرة الخالق المطلقة على الكون ، فرغم آلاف عوامل الخطر التي تحيط بحياتنا في كل لحظة ، فالبشر يعيشون لعمر طويل رغم أن الاحتمال الرياضي يقتضي بالضرورة موت الإنسان مبكراً بانفجار لغم واحد على الأقل به ، بل أكثر من ذلك إن راجع اي إنسان منا حياته التي مضت لوجد أنّ ما من لغم انفجر به إلا و كان لحكمة نبيلة و غاية هادفة تصب في مصلحته و ما خفي عن إدراكنا أعظم بكثير ..

❁ **رزق الكائنات** : يقول تعالى في الذكر الحكيم :

((و ما من دابّةٍ في الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرّها و مستودعها * كلٌّ في كتاب مبين))

فتخيل عزيزي القارئ أنّ الله متكفل برزق مليارات من خلقه بشراً كانوا أم حيوانات أم حتى نباتات ، و لا يغفل عن أي أحدٍ منها ، بل يرزقهم سواء مباشرةً أو عبر بعضهم البعض كي تستمرّ قصة الحياة كما كتبها الخالق في كتابه المحفوظ ، و بعد كلّ ذلك أراك تشكو القلق و تعاني الأرق ، الاكتئاب و الخوف من المستقبل و فوقك ربّ رحيم خطط لك أجمل حياة ممكنة تناسب صفاتك و توجهاتك ..

❁ **الطفرات في DNA خلاياك** : في جسدك عزيزي

القارئ تحدث يومياً آلاف مؤلفة من الطفرات .. و أيّ طفرة منها كفيلة بإنهاء حياتك أو على أقل تقدير تسبيب عجز دائم لك لتحيل حياتك جحيماً .. لكنّ الخالق بإبداعه خلق أنظمة دقيقة تعمل باستمرار على تصحيح هذه الطفرات كي يستمر جسدك بالعمل على نحوٍ سليم فتعيش بصحّة ، تتعلم ، تنجز ، تفرح و تستقبل أرزاق الله التي لا تعدّ و لا تحصى ..

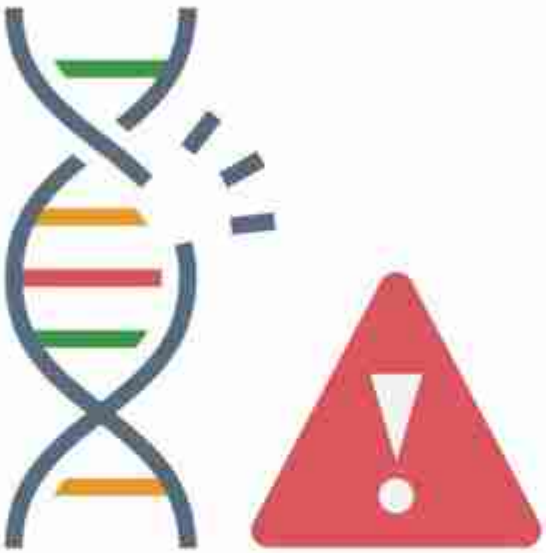

فكن على يقين بأن الخالق خلق لك خصيصاً نظام حماية لتصحيح أيّ طفرات أو أخطاء كألغام تصادفها في حياتك لحظة وقوعها كي تستمر نحو الأمام و تتعلم دروسه البليغة حتى انقضاء عمرك و عودتك إلى روح الله الأساس في جنانه الرحبة حيث يستحيل **حقل الألغام** الذي عانيت منه لبضعة سنوات لا أكثر على الأرض إلى **حقل من الورود** و النعم المذهلة في الجنان إلى الأبد ..

من هذه الأمثلة المفعمة بالعبر و التي لا تعدو كونها بضع قطرات من أمثلة محيط الحياة ، نجد يقيناً أنّ خالقنا مذهل

على نحوٍ نعجز عن إدراكه أو استيعابه و ما من شيء يصيبنا في حياته إلا بإرادته و سيطرته و لغاية تصبّ في مصلحتنا بالمحصلة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**حقل الألغام**) من المنطقي ألا نقول بعد الآن :

= لم أعد احتمل القلق ، الخوف و الأرق في حياتي .. إنّ عوامل الخطر تحيط بي من كل جهة كأنني أمشي في حقل ألغام ، لقد يئست تماماً و لن أتقدم خطوة أكثر تجنباً لانفجار ألغام جديدة ..

بل أن نقول :

= صحيح أنّ الدنيا أشبه بحقل ألغام ، لكنه حقل مخلوق بيدي إله رحيم ، نبيل و حكيم يسيطر عليه بإبداع ، دقة و إحكام على نحوٍ نعجز عن استيعابه ، لذا الأجدر بنا تسليم مصيرنا له بطواعية و رضا و هو سيتكفّل بنا ، يرزقنا و يحمينا بعيونه التي لا تنام ..

في التراث الشعبي قصة بليغة للغاية بعنوان (**لعلّه خير**) و هي خير ختام لمغالطتنا فتمتع عزيزي القارئ بروعتها :

((يروى أنّ ملكاً من ملوك العصور الوسطى كان لديه

وزير يتمتّع بحكمة كبيرة، ويثق أنّ كل ما يقدّره الله للإنسان هو خير..

و في يوم من الأيام خرج الملك برفقة الوزير لصيد الحيوانات، وكلّما فشل الملك بإصابة شيء قال له الوزير (**لعلّه خير**)، وأثناء مسيرهما وقع الملك في إحدى الحفر العميقة قال له الوزير (**لعلّه خير**)، أصيبت يد الملك و نزف منها دم كثير، فذهبا إلى الطبيب وأمر بقطع الإصبع حتّى لا يتضرر باقي الجسم بسببه ، فغضب الملك غضباً شديداً ورفض الخضوع لأمر الطبيب ، إلّا أنّ إصبعه لم يتوقف عن النزيف مما أجبره على قطع إصبعه في النهاية ، فقال له الوزير (**لعلّه خير**)، فسأل الملك الوزير بغضب (**وما الخير في ذلك ، أتتمنى أن ينقطع إصبعي؟!**) و نقم عليه بشدّة ثمّ أمر حرّاسه بالقبض على الوزير وحبسه ، فقال له الوزير مجدداً (**لعلّه خير**) ، و قضى الوزير فترة طويلة داخل الحبس ..

في يوم من الأيام خرج الملك للصيد بدون وزيره هذه المرة لأنه سجنه ، فوقع في يد جماعة من الأشخاص الذين يعبدون الأصنام، فأخذوه معهم بهدف تقديمه قرباناً للأصنام التي يعبدونها، وعندما عرضوا الملك على قائدهم وجد إصبعه مقطوعاً فأمر بتركه وإعادته من حيث أتى وذلك لأنّ القربان يجب أن يكون صحيحاً بغير علّة احتراماً للآلهة .. عاد الملك إلى القصر مبتهجاً لنجاته من الموت بأعجوبة ، وطلب من الحرّاس أن يحضروا الوزير إليه ، و روى الملك له ما حصل معه و كيف نجّاه قطع إصبعه من خسارة حياته كلها، ثم اعتذر منه عمّا بدر منه لأنّ وزيره كان محقاً ، و سأله عن سبب قوله (**لعلّه خير**)، عندما أمر الحرّاس بأن يسجنوه، فأخبره الوزير الحكيم أنّه لو لم يحبسه في ذلك اليوم ، لكان سيصطحبه معه إلأى الصيد كما يفعل عادةً ، و لأصبح قرباناً للأصنام بدلاً منه لأن جسده سليم ، و بالتالي نجّاه حبسه من الموت بدوره !! وأخبره الوزير أنّ الله عندما يأخذ من الإنسان شيئاً فإنّما يكون بلاءً يمتحنه الله به و لخير قادم يجهله العبد، فهزّ الملك رأسه بقناعة و قال بيقين :(**لعلّه خير**) ..))

لذا عزيزي القارئ لا تخشَ من أي لغم ينفجر بك في حياتك **فلعله خير** ، بل إنه خير بلا أدنى شك لأنه أتى من إلهٍ رحيم و نبيل يخطط لنا حيواتنا بأفضل طريقة ممكنة ..

مغالطة التطوّر

(للعلم وجه وحيد وللنصّ

الديني أوجه عدّة)

= ما لك تقفز هنا و هناك كالقرود .. ؟

= أنا سعيد في أحضان هذه الطبيعة الخلابة ..

= بل أنت تثبت لي بأن داروين كان محقاً في نظريته !

= بخصوص ماذا ؟

= بأن الإنسان تطوّر من قرد ..

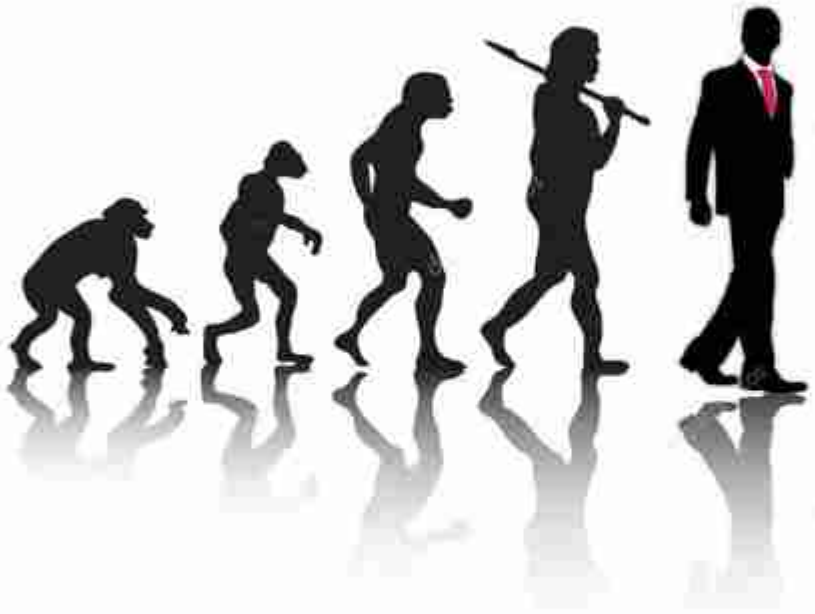

= لكن داروين لم يقل هذا أبداً ..

= كيف لم يقل ؟ لقد اعتبر الملحدون كلامه مقدساً لأنه يهدم قصة خلق الله للإنسان و يؤكد أن الإنسان صنيعة الصدفة و التطور ..

= أولاً يا صديقي، داروين مؤسس علم التطور كان شخصاً مؤمناً بالله لا ملحداً ، بل إنه ذكر في مقدمة كتابه الشهير (**أصل الأنواع**) أنّ كتابه يتطرق لتطور الكائنات بعد خلقها

، و لا يتحدث عن طريقة نشوئها على الأرض ..

= مذهل ! و ثانياً ..؟

= داروين طرح فكرة و أثبتها العلم لاحقاً أنّ الإنسان و القرد ينحدران من سلف مشترك ، لا أنّ القردة تطورت إلى بشر ، و هذا السلف المشترك أقرب إلى الإنسان منه إلى القردة كما أثبتت الأحافير..

= مذهل أكثر .. إذاً فنحن نعيش أكذوبة كبيرة ..

= يمكنك قول ذلك ، لأنّ الإنسان لا يقرأ فلا يتعلم فيهذي بما لا يعرف ..

*****

إذاً كما قرأت عزيزي القارئ ، داروين مؤسس علم التطور كان مؤمناً بالله ، و لم يتطرّق إلى طريقة الخلق بل إلى تطوّر الخلق و أخيراً لم يقل أنّ أصل البشر قردة .. و كلّ هذه الأفكار الشائعة بين الناس هي أركان مغالطتنا الجديدة :

(**التطوّر**) و التي سنحاول من خلالها مقاربة فكرة التطور من مختلف زواياها فنقول ما لها و ما عليها ، لأدعك عزيزي القارئ في النهاية أن تؤمن بما تشاء بناءً على عقلك النير و محاكمتك المنطقية لما ستقرأه خلال الصفحات التالية

التَّطور بالأساس هو التغيُّر فِي الصّفات الوراثية المُتَوارَثَة بَين الكائنات الحية مَع الوَقتِ، مما يؤدّي إلى إنتاج أنواعٍ

متعددةٍ جديدة ، أَو إِحداث تَغيُّراتٍ فِي النَّوع الواحد للكائنات الحيَّة ..

و يُعتَبَر العَالِم الإنجليزي **تشارلز روبرت داروين** صَاحِب أشهر نَظريَة للتَّطور والتي عُرفت باسمه، و قد نَشر كِتابه (**أصل الأنواع**) والذي وضح فيه نظرية التطور الشهيرة الخاصة به فِي عام **1859** ، بعد عقدين من صياغتها أثناء رحلته البحرية و مغامراته حول العالم ..

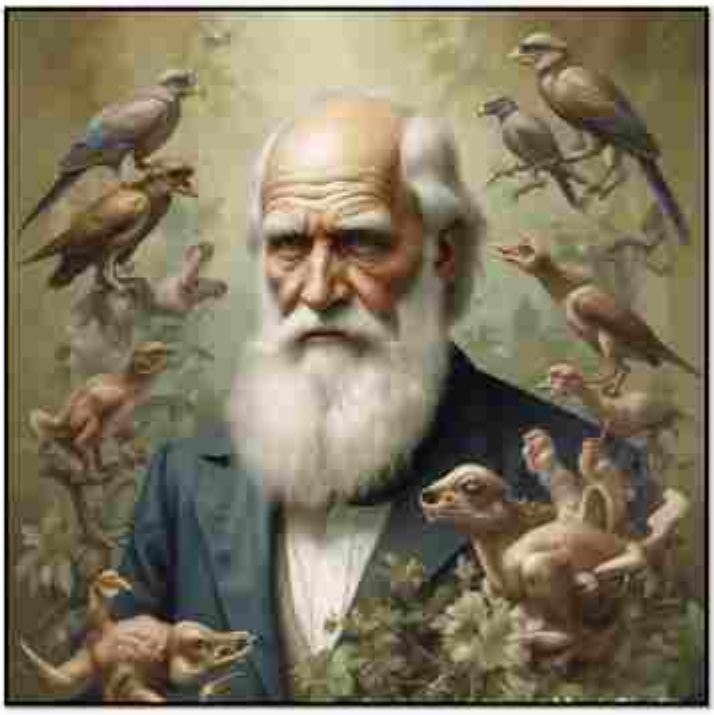

و نظرية التطوّر تفترض حدوث تغيير في التركيب الجيني للكائنات عبر الأجيال المتعاقبة، وينتج هذا التغيير عن :

1. **الانتقاء الطبيعي** : الصفات التي تبقى في الكائنات الحية هي الصفات التي تمكّنها من العيش والتكاثر في بيئتها، وفي

المقابل تقلّ لديها الصّفات التي لا تحمل أية فوائد بقائية أو تكاثرية، أي يمكن التعبير عن ذلك بقانون البقاء للأصلح ، و خير مثال عن هذا العامل هو التطور الذي طرأ على الحيتان بسبب التغيرات البيولوجيّة العشوائية وفق ما تدعيه نظرية التطور حيث كانت الحيتان حيوانات برية ثم برمائية ثم أصبحت أكثر تكيّفاً مع نمط الحياة البحرية مع مرور الوقت و ظهور العديد من الأجيال المختلفة، وأكثر قدرة على العيش و التنفس في الماء ، فمع المزيد من التغييرات الجينية العشوائية تحرّكت فتحة التنفس للأعلى و الخلف لمسافة أبعد عن الرأس ، كما تغيرت أجزاء الجسم الأخرى للنسل القديم من الحيتان فتحولت الساقان الأماميتان إلى زعانف، واختفت الساقان الخلفيتان، وأصبحت أجسادها أكثر انسيابية، كما تطوّر الذيل لديها لتصبح قادرة على دفع أنفسها بشكل أفضل في الماء..

2 **التزاوج بين أنواع مختلفة** : فتختلط الجينات و تنتج أنواع جديدة ..

3 **الطفرات** : تبدل طارئ في الجينات يؤدي لظهور صفات جديدة ثم أنواع جديدة بمرور الزمن ..

نتنقل الآن إلى مقاربة موضوع التطور من الزاويتين العلمية و الدينية لنرى رأي الجانبين بهذه النظريّة ..

❁ **الزاوية العلمية** : في الحقيقة هنالك قائمة طويلة من الأدلة التي يدعم بعضها نظرية التطور ، في حين يشكك البعض الآخر فيها ، و سنقوم بذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر :

◍ الأدلة التي تدعم نظرية التطور :

❁ **الأحافير** : حيث يمكن من خلال الأحافير و المستحاثات معرفة الشكل الذي كانت عليه الحياة في السابق ، فهي تُظهر تطور الكائنات عبر الأزمنة المختلفة و تعطي أدلة هامّة قد تدعم صحّة النظرية القائلة بأنّ الكائنات الحية المعقّدة في الوقت الحالي قد انحدرت من كائنات أخرى أكثر بساطة منها في السابق ..

❁ **تماثل التركيب بين الكائنات المختلفة** : وهو الأمر الذي قد يدلّ على انحدار كل مجموعة من الأنواع من سلف

مشترك ، ومن الأمثلة على ذلك تشابه أذرع الإنسان مع الأطراف الأمامية للقطط والكلاب و أجنحة الطيور و زعانف الحيتان وامتلاكها لنفس النوع من العظام .

❁ **تشابه أجنّة النوع الواحد من الكائنات الحية** : وهو الأمر الذي قد يعدّ دليلاً على تشاركها في السلف أيضاً ، فعلى سبيل المثال تمتلك جميع أجنّة الفقاريات ذيلاً و شقوقاً خيشومية كالأسماك، لتختفي هذه التراكيب مع مرور الوقت عند البعض منها بعد ولادتها كإشارة إلى حدوث عملية التطور فيها مع الزمن ، وفي المقابل فإنها تبقى عند البعض الآخر.

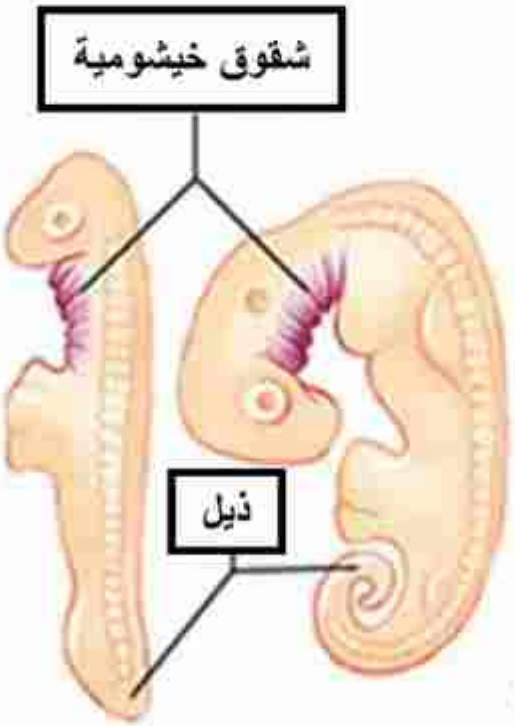

❁ **الأعضاء الضامرة** : فقد يدلّ تراجع تطوّر بعض الأعضاء مثل عظم الذيل أو العصعص والزائدة الدودية عند الإنسان على صحة نظرية التطور حيث أدّى هذا التطور إلى

تقليل حجمها بسبب انعدام الحاجة إليها مع مرور السنوات..

❁ **تقارب أو تطابق تسلسل الحمض النووي DNA و RNA بين بعض المجموعات من الكائنات الحية دون غيرها** .. و هذا دليل قوي بدوره باشتراكها بالسلف نفسها الذي تطورت منه ..

❁ **توزيع الكائنات على سطح الأرض** : حيث يمكن ملاحظة وجود تشابه كبير للكائنات الحية مع بعضها في مكانين بعيدين للغاية عن بعضهما على الأرض بوجود بعض الاختلافات سواءً بضمور أعضاء أو ظهور أعضاء جديدة أو صفات جديدة كتغيرات اللون أو طبيعة الغذاء، وهو الأمر الذي قد يدلّ على أن هذه الكائنات المتشابهة قد هاجرت في الأصل من مكان إلى آخر وتطوّرت هناك لتكوّن أنواعاً جديدة أكثر تكيفاً على العيش مع البيئة الجديدة، وهو ما يفسّر تشابه الكائنات بين تلك المنطقتين على نحوٍ كبير حتى أنها تصنّف على أنها من ذات النوع .. كذلك الأمر وجد العلماء أن بعض أنواع الحيوانات التي تعيش في شرق أمريكا الجنوبية و غرب إفريقيا تتشابه إلى حد كبير بصفاتها باعتبار أن هاتين المنطقتين الجغرافيتين كانتا ملتصقتين ببعضهما منذ زمن سحيق ثم تباعدتا و تشكل المحيط الأطلسي بينهما ، فتفرقت هذه الحيوانات إلى بيئات مختلفة لكنها حافظت على تشابه كبير بينها مع اختلافات هامة تلائم بيئاتها الجديدة و مناخها ..

و غيرها من النقاط الداعمة بقوة لنظرية التطور ، و كما ترى عزيزي القارئ فإنها أدلة لا يمكن إنكارها على الإطلاق أو تجاهلها ! ..

◍ الأدلة التي تشكك في صحة نظرية التطور :

❁ **تعتمد نظرية التطور على حدوث الطفرات بشكل عشوائي وغير موجّه لحدوث التطور**: لكنّ الطفرات العشوائية لا تسبب تطور أنواع جديدة من الكائنات الحية ، وإنما تؤدي بدلاً من ذلك إلى إنتاج أفراد مصابين بعيوب خَلقية ..

❁ **الكيمياء الحيوية لا تدعم وجود نظرية التطور**: فالخلايا في جسم الإنسان تعمل كمصنع متكامل ومعقد، و لا يمكن للعمليات العشوائية و غير الموجّهة أن تنتج هذا النظام المعقّد من التنظيم الخلوي ..

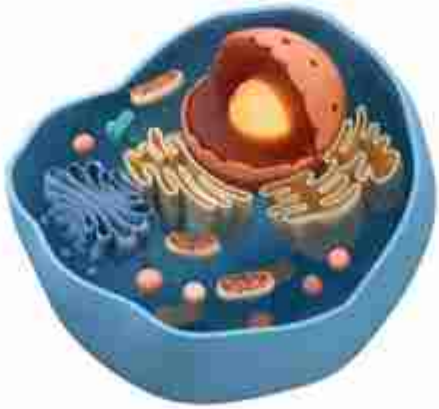

❁ **الافتقار لوجود الأحافير التي تُظهر المرحلة الوسطى من تطور الكائنات الحية** : فمعظم الأحافير التي اكتشفت تُظهر الأنواع الجديدة والمتطورة بشكل مفاجئ دون تتطور

متدرّج من أسلافهم عبر وجود أحافير تُظهر المرحلة الانتقالية بين النوعين أي أنّها لم تمرّ بمراحل متدرّجة من التطوّر كما تدّعي النظرية .. و هذه نقطة هامة للغاية ، فلو أن الكائنات تطورت عبر مراحل تدريجية كثيرة ، فيجب بالفعل العثور على أحافير تعكس هذا التدرج ، و هذا ما لم يجده العلماء و الباحثون على أرض الواقع ..

❁ **امتلاك كائنات حية بدائية لأعضاء معقدة و متطورة أكثر منها عند كائنات أكثر تطوراً** : و هذا يخالف منطق التطور الذي يفترض أن التطور يسير باتجاه وحيد نحو الأفضل ، و كمثال نجد العين عند بعض الحشرات أكثر تطوراً و تعقيداً منها عند الثدييات بما فيها الإنسان !! ..

و غيرها من النقاط المشككة التي لا يمكن تجاهلها بدورها و تزعزع الإيمان المطلق بنظرية التطوّر .. لتبقى هذه النظرية بسبب كثرة الأدلة الداعمة و المشككة لها أكثر النظريات إثارة للجدل و الأسئلة في العالم ..

❁ الزاوية الدينية :

قبل الخوض في غمار هذه الزاوية لا بد من التأكيد على أنه لا يجوز وجود تعارض بين العلم و الدين أبداً ، بل كلٌّ منهما يكمّل و يدعم الآخر، كما يقول العالم العبقري **ألبرت أينشتاين** :

((العلم بلا دين أعرج و الدين بلا علم أعمى))

فمما لا شك فيه بأنّ الله خلق الكون بما فيه وفق قوانين علمية محددة اكتشف البشر بعضها و لا يزالون يكتشفون المزيد مع تقدم السنوات .. فمثلا الانفجار الكوني أصبح حقيقة علمية لا شكّ فيها بعشرات الأدلة العلمية الدامغة في العصر الحديث من قبيل اكتشاف إشعاع الخلفية الكوني ، توسع الكون و التشويش الذي تراه و تسمعه على شاشة التلفزيون في حالة عدم التقاط قناة معينة و الذي هو أثر الأشعة الراديوية التي خلّفها الانفجار العظيم و غيرها من الأدلة .. حتى أنّ العلماء تمكنوا من تقدير زمن حدوث ذاك الانفجار منذ **13.8** مليار سنة .. و هذا ما يرفضه المتشددون دينياً كونه يخالف تصوير عملية الخلق في القرآن ، رغم أن القرآن حمّال أوجه و يمكنك تفسيره بطرق مختلفة بعضها يتناسب مع الحقائق العلمية كقوله تعالى :

((إن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما))

و يمكن تفسير هذه الآية ببساطة بأنها تشير إلى حالة الكون قبيل الانفجار الكوني العظيم عندما كانت المادة و الخلاء كتلة واحدة ثم تفرقتا عن بعض بعد الانفجار..

و لا تختلف قضية التطور عن قضية الانفجار العظيم أبداً ، إذ يمكننا تفسير آيات قرآنية كثيرة على نحوٍ ينسجم مع نظرية التطور كحال الآية التالية :

((ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً))

و هذه الآية تشير بشكل صريح إلى أنّ خلق الإنسان مرّ بمراحل عديدة متتالية و لم يحدث دفعةً واحدة ..

و أيضا نجد الآيات التالية :

((و لقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين * ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين))

و على خلاف ما يقول البعض بأنّ هذه الآيات توضّح تطور الجنين في رحم أمه ، فنجد ببساطة من بداية الآيات ذكر خلق الله للإنسان من سلالة قريبة من الطين .. و هذا بحدّ ذاته ينسجم مع نظرية التطور التي تقول بتحول العناصر الكيميائية بطريقة ما إلى خلية وحيدة (نطفة) ثم تطور هذه الخلية إلى خلايا متعددة و تمايزها بحسب تأثير البيئة إلى خلايا متخصصة وظيفيا (عظام ، عضلات .. إلخ) .. و لا يخفى علينا جميعاً أنها عملية تطورية ، إذ كان بمقدور الله ألا يخلق الإنسان من الطين بل أن يقول له كن فيكون ، ليتجسّد أمامه بشراً سوياً مكتملاً ، لكنّ الخالق يوضّح بشكل

صريح أنّ ذلك لم يحدث ..

و هكذا نجد مجدّداً أنّ العلم لا يتعارض مع الدين و أنّ نظرية التطور ربما كانت كنظرية الانفجار العظيم حقيقة علمية جرت بمشيئة إلهية و تدبير رباني لحكمة معينة ..

النقطة الهامّة الأخرى في هذا الصدد هي **فكرة خلق آدم في الجنة و هبوطه إلى الأرض** و بأنّ ذلك يؤكد بأن الإنسان وُجدَ كما هو على الأرض بدون عملية تطورية ..

في الحقيقة هذه النقطة شائكة بلا شك .. لكن نعود إلى فكرة أن القرآن حمّال أوجه .. فلماذا لا يكون آدم و حواء هما اصطفاء لله من بين الكائنات التي تطورت إلى الجنس البشري الواعي ، و بأنّ الجنّة كناية عن حياة النعيم التي اختبراها على الأرض قبل عصيان أوامر الله ؟.. و لا ننسَ هنا أن مدينة عدن في اليمن تحمل اسم جنة الخالق ، فربما كانت هذه المدينة ذات يوم منذ آلاف السنين عبارة عن صورة مصغّرة عن الجنة فيها كل ما احتاجه آدم و حواء اللذين عاشا فيها ، و طبعاً هذه مجرد فرضية أو احتمال أو تفسير معيّن ..

بل إنّ بعض رجال الدين من أمثال الشيخ المصري **محمد عبده** قالوا بأن آدم و حواء هما رمز لكافة الجنس البشري المتطور عن أسلافه و ليسا مجرد شخصين مفردين ، و هذا أيضاً مجرد احتمال و تفسير آخر ..

و هنالك زاوية خطيرة هامة لا بدّ من التطرق إليها الآن ، و هي أنّ تفسير رجال الدين لآيات خلق آدم و حواء تتناقض كلياً مع الاكتشافات العلمية ، فمثلاً لو أنّ الله خلق آدم بالفعل بعد خلق الكون مباشرةً و أنزله إلى الأرض ، فلماذا لا نجد هياكل عظمية لبشر من جنس الإنسان الحالي العاقل تعود لملايين السنين و منذ بدء تشكّل الأرض ، في حين أنّ أقدم هيكل عظمي لهذا الجنس عثر عليه في **المغرب** و تعود لحوالي **300** ألف سنة لا أكثر ؟! ليس ذلك فحسب بل أنّ

البشر اكتشفوا أحافير و مستحاثات تعود لملايين السنين لكائنات دقيقة و لم يكتشفوا أي أثر لكائنات حية أكثر تطوراً طوال تلك الفترة الزمنية الهائلة ، مما يوجه بقوة إلى إمكانية تطور هذه الكائنات البدائية عبر تلك الفجوة الزمنية المؤلفة من ملايين السنين إلى كائنات حية معقدة ، و تفسيرات الآيات القرآنية في هذا المجال تطول و تتشعب ، لكن ما يهمنا في الحكاية كلها أنّ العلم لا يتناقض مع الدين بمعنى أننا **يجب ألا نلوي ذراع العلم بتفسيرات غير منطقية كي تلائم النص الديني فالعلم له وجه واحد فقط تحكمه القوانين** ، بل أن **نطوّع النص الديني لتفسير الحقائق العلمية المثبتة بالدليل ، فالنص الديني حمّال أوجه باعتراف رجال الدين قاطبة** ..

*****

في ختام مقاربة مغالطتنا الشائعة و الشائكة للغاية بين البشر (**التطور**) ، من المنطقي بعد الآن ألا نقول :

= أصل الإنسان قرد بلا شكّ ..

بل أن نقول :

= ما من عالم قال ذلك أبداً ، فجميع الاكتشافات العلمية أكّدت خلاف ذلك ..

و ألا نقول :

= التطور و الدين يناقضان بعضهما ..

بل أن نقول :

= الدين و العلم يدعمان بعضهما و لا يتصارعان ، فلمَ لا يكون التطور هو طريقة الله في خلق الكائنات .. فما نختلف عليه ليس حدوث التطور من عدمه فهو نظرية مدعومة بأدلة كثيرة منطقية ، بل كيف حدث التطور ؟ هل هو وليد الصدفة (**كيمياء أنتجت خلية تطورت إلى كائن**) و من تلقاء نفسه ، أم أنه متوالية من الأحداث بتدبير إلهي ؟

إذا نظرنا من حولنا في الحياة و عبر التاريخ نجد أن كل شيء تمّ عبر عملية تطور ، من أجهزة الهاتف أو الحواسيب التي كانت بدائية ثم تطورت تدريجياً إلى نماذج مذهلة و لا زالت في تطوّر مستمرّ ..

أو العلوم بفروعها المختلفة التي حبت على درب التطوّر ثم خطت خطواتها الأولى حتى باتت تركض الآن بتسارع رهيب كحال الفيزياء التي بدأت ببضعة قوانين بسيطة عند رجل الكهف بأنّ الرمح ذا النهاية الحادة أكثر ينطلق في

الهواء بقوة أكبر أو كلما زاد حجم الصخرة زاد وزنها و صعب حملها ، ثم ظهرت الفيزياء الكلاسيكية مع نيوتن و اليوم نجد الفيزياء الحديثة كميكانيكا الكمّ التي تتعدل و تتطور باستمرار ، أو علم الفلك الذي بدأ برصد نجوم السماء بالعين و وصل اليوم إلى رؤية مجرات في حدود الكون بتلسكوبات فضائية، بل أكثر من ذلك ، الكون برمّته نشأ عبر عملية تطورية من نقطة مفرطة الكثافة إلى جزيئات دون ذرية فذرات فعناصر و بعدها مجرات بنجوم و كواكب و أقمار و كويكبات و سدم .. فالتطور سمة الحياة و ديدنها ، و ليس مستبعداً على الإطلاق أن تكون الكائنات الحية تطورت في نشأتها بأمر إلهي .. فالأهمّ في هذه المغالطة كلها هو التأكيد أنّ ما من شيء تم في هذا الكون إلا بإرادة إلهية و لكن وفق قوانين علمية ، لذا أدعك عزيزي القارئ مع هذا السؤال الأخير الذي أتمنى أن تفكّر به قليلاً :

((إن كان البشر و الحيوانات قد نشأوا من عملية تطوّر عبثية بالفعل، فمن خلق النباتات بتنوعها الرهيب على الأرض ، كيف يمكن أن تتحول بذرة صغيرة إلى شجرة عملاقة عن طريق الصدفة البحتة ؟ ومن وجّه هذه النباتات لاحقًا كي تتمايز إلى أنواع مختلفة و تشكل مصدر الغذاء الرئيسي للبشر و الحيوانات ؟))

إن الخالق يثبت وجوده في كل تفصيل من تفاصيل خلقه ، و وجوده أمر غير قابل للشك ، فالعبثية و الفوضى لا يمكن أن تنتج هذا الكون المذهل و هذه الأرض الفريدة بتنوع ما عليها على نحو متكامل يخدم بعضه البعض بطريقة متقنة مفعمة بالفنّ لا يشقّ لها غبار .. و الحقيقة المغيبة في هذه الحياة أن ما من إنسان ينكر وجود الله بسبب أدلة منطقية دامغة يقدّمها ، بل على خلفية ظروف صعبة عاشها في طفولته أو في حياته اللاحقة فنقم على السماء و بالتالي رفض وجود الله ببساطة .. هكذا بلا دليل و لا دراسة .. أي أنه موضوع نفسي وجداني بالأساس و ليس علمياً على الإطلاق ..

مخالصة نوبيا الإسلام

(النص ❁ الإخراج ❁ التمثيل)

في أحد مساجد مدينة لندن ، اعتلى الإمام المنبر في خطبة الجمعة و خطب بالمصلين قائلاً :

= يقول رسول الله :

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ..

و هذا واجبنا تجاه المغضوب عليه (المسيحيين) و الضالين (اليهود) في هذا الغرب الكافر حتى يُسلموا جميعاً و بيننا السيف حكماً ..

بين المصلين كان هنالك فتى بعمر **17** سنة ، رفع يده بهدوء كي يتكلم على نحوٍ غير معتاد في خطبة الجمعة التي يلعب فيها المصلون عادةً دور المصغي لا المناقش ، فسمح له الإمام بذلك بدهشة ..

= إن كان هذا الحديث الغريب و الخطير صحيحاً بالفعل ، فلماذا لا نقاتل هؤلاء الكفرة كما تتهمهم من

بلادنا ، لماذا نحن نعيش في بلادهم فنعمل و نتعلم و نحظى بحياة كريمة بفضلهم ثم نقاتلهم و نهددهم بالموت إن لم يسلموا و ينطقوا بالشهادتين ..!؟

ارتبك الإمام قليلاً لكنه سرعان ما تمالك نفسه و ابتسم ثم قال بثقة مصطنعة :

= هذه اسمها (تقية) يا بني أو بتعبير تفهمه بحسب عمرك (ذكاء).. أي أن نبدأ التغيير من قلب بلادهم ..

= أي كقصة حصان طروادة الشهير .. أو كما يفعل الورم في جسد الإنسان يبدأ بالانتشار تدريجياً في جسده و هو يتغذى عليه حتى يودي بحياته .. !! في الحقيقية ما قرأته يا سيدي عن الإسلام و نبي الرحمة **محمد** يتنافى جملةً و تفصيلاً مع هذا الكلام .. فالإسلام دين تسامح و حريات و ليس دين إكراه و حقد و أذى و قتل .. و ليست من شيم المسلمين أن يأكلوا الطعام من صحن ثم يبصقوا فيه !! و كيف نتوقع من الآخرين أن يحبوا الإسلام و يتقبلوا المسلمين و نحن نتوعدهم بالقتل!! أليس فكرنا هذا مبرراً كافياً لفوبيا الإسلام ؟!

نظر إليه الشيخ بغضب ..

= أين هو أبوك يا فتى ؟ أريد أن أعرف من علمك هذا الهراء ..

= أبي مقعد و هو في المنزل .. و أنا أعتني بأبي و

أمي يا سيدي .. القرآن هو فقط من يعلمني و كل كلام يتناقض معه هو الهراء بعينه ..

*****

يقول البارئ في الذكر الحكيم واصفاً المسلمين :

(كنتم خير أمّةٍ أخرجت للناس)

فهل الأمة الإسلامية اليوم هي كذلك على أرض الواقع ؟ و إن كانت كذلك لماذا تنتشر فوبيا الإسلام في المجتمعات غير الإسلامية ؟ هل هي مجرد نظرية مؤامرة كالعادة أم أنّ لهذه الفوبيا جذوراً منطقية تبررها ؟ هذا هو بالضبط جوهر مغالطتنا الجديدة (**فوبيا الإسلام**) مع سؤالها المحوري التالي :

(هل المسلمون اليوم هم بالفعل خير أمة أخرجت للناس ، أم أن هذه الفكرة مغالطة كغيرها مما سبق ؟ و إن كانت كذلك فما هو الواقع الراهن لأمة المسلمين؟ و لماذا وصلت إلى هذا الواقع من الأساس ؟)

للإجابة على كوكبة الأسئلة هذه بشكل عميق و كافٍ

كما آمل ، سنلجأ إلى مقاربة مغالطتنا الحساسة و الهامة هذه من **3** زوايا :

- **النص و الإخراج و التمثيل ..**
- **الجانب المشرق من الإسلام (النص و الإخراج)..**
- **الجانب المظلم من الإسلام (التمثيل) ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نقارب معاً هذا العمل الفني و نقيّم كمتابعين كفاءة كل من النص و الإخراج و التمثيل بتجرد و حياد بعيدَين عن العاطفة..

① النص و الإخراج و التمثيل :

عند العزم على إنتاج عمل فني تلفزيوني أو سينمائي يقوم **الكاتب** بكتابة النص المناسب ثم يقوم **المخرج** بإخراج العمل ، في حين يقوم **الممثلون** بتأدية الأدوار..

و يشترط لنجاح العمل أن تؤدي جميع الأطراف مهمتها على أكمل وجه ، أي أن يكون النصّ محكماً و جيداً ، و

يتمّ الإخراج بعين فنان يرصد المشاهد بأجمل طريقة ، و يكون التمثيل متقناً يقنع المشاهدين بأنه حقيقي و ليس تمثيلاً واضحاً .. فإن اضطرب أي عنصر من هذه العناصر الثلاثة فشل العمل الفني برمته بلا شك ..

و في الحقيقة هذا الكلام ينطبق على فكرة الأديان بدورها ، حيث يقوم البارئ بكتابة النص أي التعاليم الدينية ، و يخرج الأنبياء العمل على هذه الأرض المذهلة ، في حين يقوم أتباع الدين بتمثيل أدوارهم عليها .. و الواقع أنّ النص الديني متقن على نحو فريد يتناول مختلف نواحي الحياة ، و إخراج الأنبياء مذهل بإبداع لا يوصف ، لكن المشكلة هنا تكمن بأداء الممثلين لأدوارهم ، أي أتباع الديانة الذين قد يكون تمثيلهم ضعيفاً و مصطنعاً على نحو يهدد نجاح العمل الفني بكامله و ينفر المشاهدين منه أو ما يدعى بتعبير آخر(**فوبيا الدين**)، و للأسف تكون النتيجة هنا توصيف العمل الفني ككل بالعمل الفاشل ظلماً و إجحافاً ، إذ يسقط النص المميز و الإخراج المبدع من المعادلة بتعميم الفشل على العمل برمته، أي أن الممثلين يسيئون بتمثيلهم الضعيف لكلّ من الكاتب (الله) و المخرج (الأنبياء) في المعادلة !!

② الجانب المشرق من الإسلام (النص و الإخراج) :

لا يختلف اثنان على عظمة الإخراج الإلهي للحياة على

كوكب الأرض المعجزة بتنوعه الفريد و تصميمه المذهل الذي يسحر الأعين و العقول و الأفئدة و لا يمكن إنكار إبداع و دقة إخراج الأنبياء في نشر رسالاتهم ، و إن عدنا إلى جوهر الدين الإسلامي (موضوع مغالطتنا) فسنرى أن النص القرآني فريد و عظيم بتناوله لمختلف نواحي الحياة بطريقة محكمة تبني الإنسان المثالي و تحثّ على ازدهار البشرية ، و نذكر من هذه الجوانب على سبيل المثال لا الحصر :

❁ **حرية الرأي و العبادة** : فالله تعالى ديمقراطي على نحوٍ مذهل ، إذ شرّع لعباده حرية اعتناق أي مبدأ أو دين يريدونه بما في ذلك الإلحاد و عدم الإيمان به أو بوجوده ، فنجده يقول :

(لا إكراه في الدين)

و يقول :

(من شاء فلئؤمن و من شاء فليكفر)

و يقول :

(و لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا ممنين)

فهل هنالك من ديمقراطية أكثر من ذلك ؟!

و من جهة أخرى فالأديان من وجهة نظر الإسلام أشبه بخزان ماء ضخم تتفرع عنه عدة صنابير مختلفة بالشكل و اللون و الحجم و تمثل الأديان السماوية و الأرضية ، لكنها بالمحصلة تروي البشر من المياه الإلهية المقدسة نفسها ..

❁ **رفض التمييز العنصري** : فنجد نبي الرحمة مثلاً يأتي ليقضي على العبودية البغيضة التي كانت شائعة عند العرب قبل الإسلام بانتشار الرقّ ، فيقول :

(الناس سواسية كأسنان المشط)

و يقول أيضاً :

(لا فضل لعربيّ على أجنبيّ و لا للون بشرة على آخر إلا بتقوى الله و العمل الصالح)

لتكون الأخلاق هي المعيار الوحيد لتفوق البشر على بعضهم و لا شيء آخر أبداً ، لا لون البشرة و لا القوة أو السلطة أو الجاه أو الثراء أو النسب أو أي شيء آخر، و ما أنبله من معيار ..

❁ **تكريم المرأة**: فقد كرّم الإسلام المرأة كثيراً ، بل فضّلها على الرجل أيضاً ، فنجد نبي الرحمة يقول :

(الجنة تحت أقدام الأمهات)

و يقول البارئ بنفسه في الذكر الحكيم :

(و ليس الذكر كالأنثى)

التي يفهمها البعض خطأً بأن مكانة الذكر تفوق مكانة الأنثى ، لكننا عندما نقرأ آية قرآنية أخرى تتوضح الحقيقة أمام أعيننا ، الآية التي تقول :

(و ليس الأعمى كالبصير)

كما نجد نبي الرحمة أيضاً قد عمل في شبابه تحت سلطة أنثى امتهنت التجارة و هي خديجة ، حيث كانت تؤتيه أجره قبل أن يتزوجها لاحقاً ، و في ذلك إشارة صريحة قد تغيب عن البعض بأنّ الأنثى ذات قدرات قيادية و إمكانيات مهنية مذهلة لا تنقص عن الذكر بشيء !

❁ **تقديس العلم**: حيث حضّ الإسلام على طلب العلم من المهد إلى اللحد و فضّله على أي شيء آخر في الحياة فنجد نبي الرحمة مثلاً يكرم العلماء و يرفعهم إلى منزلة رفيعة للغاية فيقول :

(العلماء ورثة الأنبياء)

كما نجد أن أول توجيه إلهي للرسول في بعثته هو كلمة واحدة قالها له جبريل في غار حراء :

(اقرأ)

و هذا منطقي و مبرر بلا شك فالعلماء بدراستهم للكون و ما فيه هم أكثر الناس إيماناً بالله و وعياً بعظمة خلقه و قدرته اللامحدودة ، كما يقول البارئ بنفسه :

(إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)

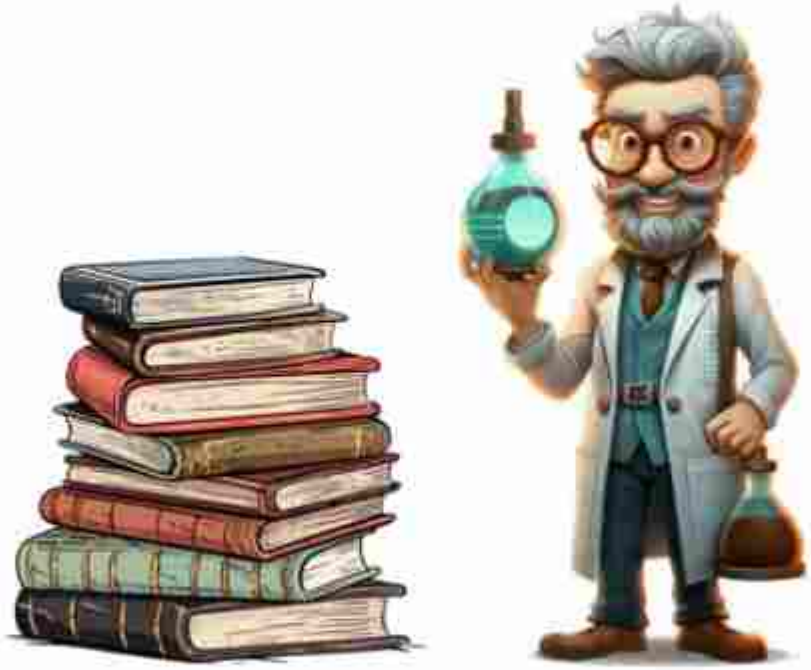

❁ **توحيد البشرية كعائلة** : فالإسلام في الحقيقة هو أول من أرسى مفهوم الأمم المتحدة على كوكب الأرض و فلسفة قبول الآخر باختلافه عنا بقول البارئ :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و

جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

و نجد قول نبي الرحمة محمد أيضاً :

(الخلق كلهم عيال الله و أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)

فما البشرية في الإسلام سوى عائلة واحدة تلتقي و تتعارف ضمن إطار الخلق الرفيع و التعاون البنّاء بين بعضها البعض ..

❁ **الاشتراكية الحقيقية الحميدة** : ففي بلاد الإسلام يجب ألا نجد أحداً فقيراً أو محتاجاً ، و هذا

واجب الحكومات الإسلامية لا غير ، إذ وضع الرسول مفهوم **بيت مال المسلمين** (خزينة الدولة) الذي يوزع الثروات على المسلمين بطريقة عادلة فلا يحتاج أحدهم شيئاً ، و لا يستأثر قلة منهم بالثروة لأنفسهم .. كما قال كبير الفلاسفة **علي بن أبي طالب** :

(ما جُمِعَ مالٌ إلا من شُحٍ أو حرام)

فلا يجوز أن نرى مسلماً ثرياً على هذه الأرض و هنالك أخوة له في الإنسانية أو الإسلام يبحثون عن لقمة طعام تسدّ رمقهم .. فالمال ليس مال المسلمين بل مال الله الذي يجب أن يكون فيه حصص للأقل حظاً ممن ضاقت عليهم المعيشة كحال كثير من البشر في إفريقيا مثلاً الذين لا يجدون طعاماً أو شراباً يبقيهم على قيد الحياة لا أكثر .. لذلك قبل أن يتباهى الأثرياء بثرواتهم عليهم أن يسألوا أنفسهم :

(هل هذه الثروات لي فعلاً ، أم أنّ الله رزقني كي أساعد الأقل حظًا مني ؟)

❁ **حثّ البشر على العيش بسلام** : فيقول البارئ في الذكر الحكيم :

(و تعاونوا على البرّ و التقوى و لا تعاونوا على

الإثم و العدوان)

و يقول أيضاً :

(و لا تعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين)

كذلك يقول في آية أخرى :

(فإن جنحوا للسلم فاجنح لها)

فنبي الرحمة مثلاً لم يخض طوال بعثته أي حرب هجومية على الآخرين ، بل كانت كلّ حروبه دفاعية لحماية الإسلام و المسلمين من الأذى و التنمر ..

و من جهة أخرى فقد ألغى نبي الرحمة **فلسفة الثأر** التي كانت منتشرة و شائعة عند العرب في الجاهلية لدرجة قيام حروب لعقود طويلة تذهب بأرواح الآلاف لأسباب تافهة كقتل ناقة مثلاً ، فنجده يقول :

(ليس الشديد بالصرعة ، بل الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

كما نجده يقول عند عودته إلى مدينته مكة المكرمة بعد نزوحه منها :

(اذهبوا فأنتم الطلقاء)

فلم يعمد إلى الثأر من أقربائه الذين أخرجوه منها و قتلهم و هو المقتدر على ذلك بل اتبع فلسفة العفو عند المقدرة كخلق نبيل و رفيع من نبي الرحمة بحقّ ..

❁ **تنظيم شؤون الحياة**: فالإسلام تطرق لمختلف نواحي الحياة و نظمها بدقة و تفصيل و عدل **كالزواج و الطلاق و الميراث والتبني و آلية الحكم و أخلاقيات الحروب و الاقتصاد و العبادة و القانون** و غيرها ..

و كما ترى عزيزي القارئ بنفسك ، فإنّ الإسلام دين سماوي مذهل من كل الزوايا أي أن نصّ العمل الفني مكتوب بدقة و إبداع و يتم إخراجه بعين فنان محترف

على كوكب الأرض المذهل لكن رغم كل ذلك نجد أنّ نهاية العمل ليست كما ينبغي لها أن تكون ، مما يعود بنا إلى فكرة مغالطتنا من جديد : **لماذا هنالك فوبيا تجاه الإسلام من قبل غير المسلمين ؟ و لماذا نجد كثيراً من الدول المسلمة متخلفة عن ركب التطور أو بعيدة بنسب متفاوتة عن تعاليم الإسلام السابقة هذه ؟**

في الحقيقة الجواب عن هذه الأسئلة يشمل نقاطاً كثيرة سنختصرها إلى أهمها تجنباً للإطالة ، و هذه النقاط للأسف تشكل **مسامير حقيقية يدقها المسلمون في نعش الإسلام جهلاً أو عمداً بسبب سوء تمثيل الممثلين لأدوارهم أي تقصيرهم في تصدير دينهم الحقيقي للآخرين** ، مما ينقلنا إلى المحور الثالث و الأخير من مغالطتنا ..

③ الجانب المظلم من الإسلام (التمثيل) :

و يشمل كما ذكرنا نقاطاً كثيرة لعلّ أهمها :

❁ **فرض عقيدتك على الآخرين** : فنجد المسلمين اليوم يخالفون سنة نبي الرحمة و تعاليم القرآن الصريحة فيعمدون إلى إجبار الآخرين على اعتناق الإسلام بالقوة وفق شعار بغيض و خطير للغاية الله و رسوله بريئان منه كما وضحنا بالأدلة القرآنية منذ قليل و هذا الشعار هو :

(أسلم تسلم)

و ترجمة هذا الشعار الكارثية هي إما أن تعتنق الإسلام أو أن تتعرض للأذى الذي يصل إلى درجة القتل ، فأين التسامح و حرية المعتقد التي طالب بها القرآن ، و أين هذا الشعار من قول نبي الرحمة :

(المسلم من سلم الناس من لسانه و يده)

فهذا الشعار القبيح يبيح لأي دولة مسلمة احتلال الدول غير المسلمة ، فكيف تتوقع بعد ذلك من الآخرين أن يتقبلوا الإسلام و المسلمين و هم خطر حقيقي على وجودهم و حياتهم ؟!!

بل إننا بسبب هذا الشعار القبيح نجد حالة انفصامية غريبة و مؤلمة عند المسلمين ، فنجد مسلمي (الأمة

العربية) مثلاً يتغنون بالفتوحات العثمانية على البيزنطيين المسيحيين الكفرة بحسب وجهة نظرهم ، وهم أنفسهم عانوا من ويلات الاحتلال العثماني و دمويته و بطشه و الذي وصل إلى حدّ خوزقة أجدادهم و احتلال أراضيهم ..

فكيف تبجل و تمتدح أفعال جهة مسلمة ضد جهات غير مسلمة و بنفس الوقت تغضّ الطرف بنفسك عن أفعالها الوحشية بحق جهات مسلمة مثلها ؟!! فمثلاً في بلادي (**سوريا**) نحتفل بعيد الاستقلال عن الاحتلال الفرنسي المسيحي ، لكننا لا نجد عيداً وطنياً يحتفل بالاستقلال عن الاحتلال العثماني المسلم ، و هذا تناقض مريب و غريب ، فيه تمييز عنصري يتعاطف مع الاحتلال الدموي إن كان من نفس ديننا ، و العزاء لأجدادنا الذين ضحوا بحياتهم بل تمت خوزقتهم لتحقيق هذا الاستقلال بدون تقدير من الأحفاد على ما يبدو !!

و في نفس السياق نجد افتخار العرب باحتلال إسبانيا و تسميته (فتح الأندلس) في حين تثور حميتهم إن قامت جهة أخرى شرقية (كالفرس و المغول) أو غربية (كالروم) باحتلال أراضيهم .. فهل الإسبان ليس لهم وطن أو شرف يدافعون عنه مثلاً .. و لأن المنطق ينتصر لنفسه على الدوام فقد تم تحرير إسبانيا من الاحتلال العربي رغم استمراره لقرون طويلة ، إذ لا يصحّ إلا الصحيح في النهاية ..

❁ **عقوبات غير منطقية** : و نكتفي بذكر ثلاثة منها على سبيل المثال لا الحصر :

● **قطع يد السارق** : فبدلاً من الالتفات إلى السبب الحقيقي الذي دفع السارق إلى السرقة و الذي كثيراً ما يكون تقصيراً من الحكومات نفسها عن تأمين فرص عمل له أو منحه المساعدة من بيت مال المسلمين ، نجدها تحاسبه على اقتراف إثم بغاية سد رمقه و عائلته و البقاء على قيد الحياة لا أكثر، أما المفسدين الذين يسرقون ملايين لا يحتاجونها فيتم غضّ النظر عنهم بالرشوة أو الواسطة أو غيرها ، فعقوبة السرقة في الإسلام هي قطع يد السارق أي قطع السبل التي دفعته إلى السرقة و ليس الوحشية بقطع اليد حرفياً أي بنثر ملح على جرحه الذي سببته الحكومات الإسلامية بالأساس ، فكلمة القطع هنا لا تعني البتر أبداً ، فلكلمة

قطع في القرآن دلالات مختلفة كقول البارئ :

(و قطّعناهم في الأرض أمماً)

و حتى إن اعتبرنا تجاوزاً و افتراضاً أن كلمة قطع في القرآن تعني البتر ، فهذه العقوبة تنفذ على مسلم سرق من غيره ، رغم عدم حاجته لذلك بتأمين بيت مال المسلمين لاحتياجاته و عائلته .. و في الواقع من يستحق بتر يده هم أثرياء الفساد الذين لا يشبعون و يستمرون بسرقة الملايين رغم عدم حاجتهم لذلك ، علماً أن حقوق الفقراء الذين يضطرون للسرقة تكمن في هذه الملايين المسروقة في مفارقة ساخرة و مؤلمة بآنٍ معاً !!

● **رجم الزناة حتى الموت** : عقوبة الزناة في القرآن

هي الجلد لا غير ، أما الرجم حتى الموت فبدعة لا وجود لها في الإسلام بوحشية لا نظير لها .. ليس ذلك فحسب بل إنّ الحكم بزنى ذكر و أنثى يفترض شهادة شهود ينبغي تحليهم بالنزاهة و الأخلاق الرفيعة تخولهم الشهادة بالفعل ، و ليس شهادة زور من أشخاص بلا أخلاق ربما غايتهم كيدية أو ثأرية أو لتشويه السمعة .. و كل ذلك لا يتحقق على أرض الواقع في كثير من الأحيان .. ففي حين نجد رسول المحبة يسوع المسيح يقول لمن أراد رجم مريم المجدلية بتهمة الزنا :

(من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بالحجارة)

نجد قصة السيدة الإيرانية الشهيرة **ثريا منوت شهري**

التي كما يقال تم تلفيق تهمة الزنا لها على خلفية كيدية من زوجها ، و ليس ذلك فحسب بل تم رجمها حتى الموت عام **1986** كرمي لتعاليم الإسلام و القرآن عرض الحائط !! فالمسلمون هنا يرجمون الإسلام في الحقيقة ..

● **الإعدام** : و قد سبق و قاربنا هذه النقطة في مغالطة مستقلة سابقة ، فنجد البارئ يقول :

(و لكم في القصاص حياة)

فكيف يكون إعدام البعض حياةً لهم و هو إنهاء للحياة حرفياً !! فالقتل هنا هو قتل الجانب المظلم من المجرم عبر العلاج و/ أو السجن لإحياء الجانب المشرق المضيء منه ..

و كما سبق و ذكرنا في مغالطة التطور من قبل :

(النص الديني حمال أوجه ، أما العلم و العقل و المنطق فله وجه وحيد ، أي يجب علينا فهم النص الديني وفقاً للمنطق و العلم و ليس مسخ المنطق و تشويهه كي يلائم النص الديني !!)

❁ **قيمة المرأة**: للأسف رغم المكانة المميزة للمرأة التي منحها إياها الإسلام كما حللنا آنفاً ، فإننا نجد نقيضها على أرض الواقع في بعض المجتمعات الإسلامية التي تجعل من المرأة عورة يجب عليها التزام منزلها و عدم الاحتكاك بالمجتمع ، بل يرى البعض أن العمل محرّم عليها .. و بالفعل نجد في أغلب المجتمعات الإسلامية أن المرأة محظور عليها تقلد المناصب الدينية و كأنها عار على الدين ، أو تقلد مناسب قيادية كرئاسة حكومات أو دول و كأنها ناقصة عقل أو إمكانيات ، بل تحرم أحياناً من أبسط حقوقها كقيادة المركبات أو ممارسة الرياضات أو الغناء !!

❁ **فرائض قاتلة** : سبق لنا و أن حللنا في مغالطة الشهر النسيء بأن حذف هذا الشهر الهام أدى إلى كوارث بشرية في موضوع الفرائض الدينية ، كصيام البعض لأكثر من **20** ساعة في مناطق من العالم أو

حجّ البعض الآخر حليقي الرأس في ذروة لهيب حرّ الصيف أو قتل الحيوانات في موسم التفريخ مما يهددها بالانقراض ناهيك عن كونه فعلاً غير إنساني ، مما يحول الإسلام في نظر المسلمين و غير المسلمين من دين رحمة و رفق بالبشر إلى دين غير إنساني يتسبب بتعذيبهم و قتلهم !! .. و كل ذلك يخالف النص القرآني الصريح :

(يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر)

❁ **أمة اقرأ لا تقرأ** : فللأسف الشديد رغم أن أمة الإسلام هي المكلّفة قبل غيرها بالقراءة و المطالعة و تثقيف نفسها كأوّل تعليم إلهي لنبي الرحمة ، نجد أن المسلمين من أقل شعوب الأرض حباً لها و اهتماماً بها ، و هذا ليس افتراءً أو ادعاءً بل إحصائيات موثقة ، فوفق تقرير صادر عن منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة يقرأ الطفل العربي **7** دقائق سنوياً، بينما يقرأ الطفل الأميركي **6** دقائق يومياً، و معدل ما يقرأه الفرد في أرجاء العالم العربي سنوياً هو ربع صفحة فقط ،

بينما **مؤسسة الفكر العربي** أصدرت تقريراً يفيد بأن متوسط قراءة الفرد الأوروبي يبلغ نحو **200** ساعة سنوياً، بينما لا يتعدى متوسط قراءة المواطن العربي **6** دقائق سنوياً ، وعلينا تغيير هذه الإحصائيات المخجلة **لأمة اقرأ** بأنفسنا لنرتقي إلى مصاف الشعوب الأولى ثقافياً في العالم كالتزام بتوجيهات البارئ (اقرأ) و رسوله (العلماء ورثة الأنبياء) ..

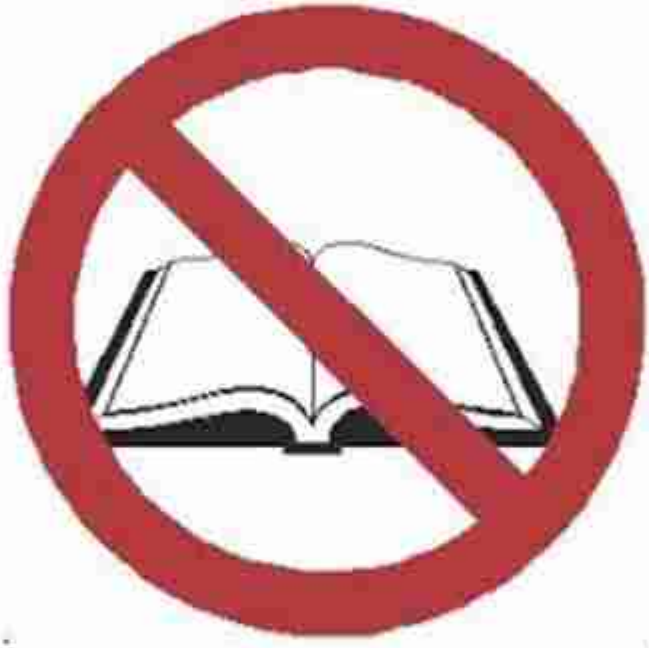

❁ **بيت مال المسلمين** : فنشاهد في كثير من الدول الإسلامية انتشاراً واسعاً للفقراء و المحتاجين و تضاؤل فرص العمل بل انعدامها في بعض الدول مما يوسع دائرة الحاجة و الحرمان أكثر .. في حين نجد الحكومات غير مبالية بهؤلاء ، بل يتم توزيع الثروات و الميزانيات على مظاهر لا معنى لها و لا تخدم الإنسان ، و كأنه ما من فقراء في هذه الدول أو في

العالم ككل !! فأين هو عدل الإسلام و بيت مال المسلمين من هذه المظاهر في الجهتين ؟!

❁ **صكوك الغفران و بطاقات الجحيم** : فنجد في كثير من الدول الإسلامية أن رجال الدين يمنحون صلاحيات أوسع مما يجب ، بل تصل ببعضهم إلى شرعية تحديد مصير الآخرين في الكون الأكبر بين النعيم و الجحيم ، و من جهة أخرى نجد كلام بعضهم منزلاً في مجتمعاتهم و يجب تنفيذه بحذافيره دون سؤال أو نقاش و إلا اعتبر مخالفه أو رافضه خارجاً عن الملة ، رغم أن الأنبياء أنفسهم لم يكونوا معصومين في حياتهم حتى بعد بعثتهم كما أثبتنا بالأدلة القرآنية في مغالطة الإعدام من قبل ، لأن العصمة هي عصمة الرسالة و ليست عصمة الأنبياء .. فكيف يمنح بعض

رجال الدين المسلمين أنفسهم العصمة و هم بشر عاديون كغيرهم ؟! و عندما يرى غير المسلمين تحكّم رجال الدين بالمسلمين و تغييبهم للنقاش البناء الضروري أو للمنطق و العقل فيتحكمون بالعباد كروبوتات فإنهم بلا شك سيأخذون انطباعاً سيئاً عن المسلمين و للأسف عن الإسلام بحد ذاته لاحقاً ..

❁ **الأحاديث النبوية المبتدعة** : فكما سبق و قاربنا في مغالطة التواتر المقدس ، **فالأحاديث المنسوبة إلى نبي الرحمة محمد** يعتبرها كثير من المسلمين مسلّمات لا يجوز مناقشتها أو الطعن بها ، رغم أن تدوين هذه الأحاديث جرى في **القرن الثالث بعد وفاة الرسول** و اعتمد فقط على روايات تناقلتها الأجيال بالتواتر **فحذف منها ما حذف و أضيف إليها ما أضيف و تم فهم الكثير منها بشكل خاطئ و الأخطر تلاعبت بها أصابع شيطانية من حكام و كهنة كالعادة لتكريس**

مصالحهم الشخصية ..

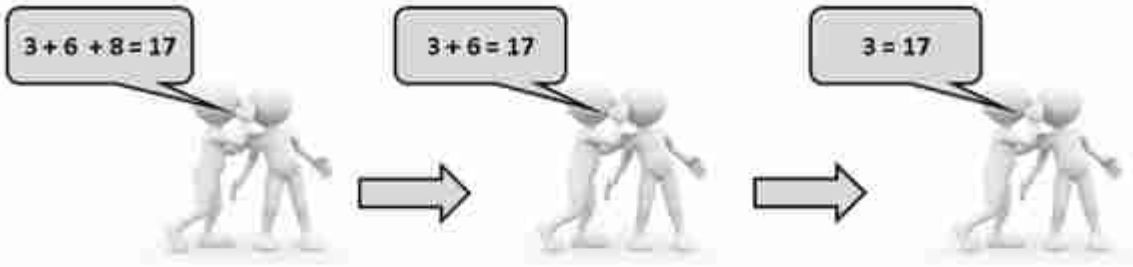

لتكون النتيجة انقسام الحديث الشريف إلى قسمين :

- **الحديث المنطقي** : و يشمل الدعوة إلى بناء الإنسان السوي و المجتمع المثالي في مختلف نواحي الحياة ..

- **الحديث غير المنطقي** : و يشمل مجموعة أحاديث كارثية بكل ما تحمله الكلمة من معنى تشوه عقل الإنسان حرفياً و تدمر الأوطان و تهدد البشرية كما هو حال بعض الأحاديث الجنسية و العسكرية مثلاً !! فإن اطلع غير المسلمين على هذه الأحاديث المهينة لشخص الرسول و للإسلام و لله نفسه فكيف نتوقع منهم قبول المسلمين و الإسلام بعد ذلك ؟!

❁ **الشعور الوهمي بالتفوق** : يشيع عند المسلمين اعتقاد خاطئ و قناعة مزيفة قائمة على المبدأ التالي :

(أنا أتبع آخر الأديان إذن فأنا الأفضل)

و الحقيقة أن اتباعك لدين محدد لا يمنحك أي تميز أو تفوق على غيرك ، بل أفعالك فقط ما تمنحك ذلك كما وضحنا في **مغالطة الفرقة الناجية** من قبل ، لذا نجد مسلمين كثر بعيدين جداً عن جوهر الإسلام و رغم ذلك ينظرون بفوقية على باقي البشر بل أكثر من ذلك يكفرونهم و يعدونهم بلهيب الجحيم بثقة و همية لا أساس لها .. بل إنّ الواقع المسلح بالأرقام يقول أن كثيراً من الدول المسيحية و اليهودية و الملحدة و المتبعة لأديان أرضية و غيرها أفضل من كثير من الدول الإسلامية في مجالات شتى بل إنها تطبق تعاليم الإسلام بشكل أفضل منها .. و للأسف ما هو أسوأ من ذلك كله هو هجرة بعض المسلمين إلى هذه الدول التي تتفضل عليهم بالعمل و العلم و الحياة الكريمة ثم يكفرونها و يحاولون فرض عقيدتهم عليها ، أو الأسوأ القيام بأعمال إرهابية ضد مواطنيها ، تماماً كمن يبصق في صحن الطعام أمامه أو كمن يقبّل اليد التي تمتد لمساعدته ثم يدعو عليها بالكسر .. فهل هذه أخلاق مسلمين ؟!! و في الحقيقة لا شبيه لهؤلاء سوى يهوذا الإسخريوطي الذي قبل يسوع المسيح بعد تسليمه للرومان في حين كانت جيوبه دافئة بالثلاثين فضة التي قبضها ثمناً لحياة معلمه و مخلصه ..

و لا ننسَ أحداث **11** أيلول الإرهابية مثلاً ، فبغض النظر عن نظرية المؤامرة التي تقول بأن حكومة

الولايات المتحدة الأمريكية هي من قامت بها ، لكننا لا يمكن أن ننكر أنّ بعض الجهات الإسلامية تبنتها بمنتهى الفخر .. فهل المسلم معتدٍ يحب الدماء و يقتل الأبرياء العزّل ؟! و كيف نقنع غير المسلمين بعد ذلك بقبول الإسلام و المسلمين الذين يرفعون السيف في وجههم و يتوعدونهم بالقتل على نحوٍ يجعل فوبيا الإسلام أمر بديهي ؟!

و لا تزال هنالك نقاط مظلمة كثيرة تلوث رداء الإسلام الأبيض الناصع ببقع من الأفكار و الأفعال الظلامية و أكتفي بما ذكر على سبيل التوضيح لا أكثر .. و في الحقيقة عندما نضع تعاليم الإسلام النبيلة و العظيمة التي تحدثنا عنها في وجه الممارسات الخاطئة و أحياناً الكارثية للمسلمين ، نشعر بألم و أسف شديدين .. فكثيرٌ من المسلمين بتمثيلهم الفاشل لأدوارهم يظلمون النص

الإلهي العظيم و إخراجه المبدع فيصدّرون الإسلام كدين خطير و مهدد للبشرية ، فيحكمون على العمل الفني بالفشل برمته .. ليذهب تعب نبي الرحمة هدراً ، و لا ريب أن هذه ليست السياسة التي يصبح من خلالها المسلمون خير أمةٍ أخرجت للناس !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**فوبيا الإسلام**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= نحن نتبع خاتم المرسلين و آخر الأديان لذا فنحن خير أمةٍ أخرجت للناس ..

بل أن نقول :

= للإسلام وجه ملائكي جميل بتناوله لمختلف نواحي الحياة بشكل مثالي ، لكن المسلمين بتطبيقهم لبعض الأفكار الخاطئة و الكارثية أحياناً يشوهون هذا الوجه بالأسيد فيجعلونه قبيحاً و مخيفاً ينفر الآخرون منه مما يبرر فوبيا الإسلام المنتشرة ، و واجب المسلمين أن يصوبوا هذه الأخطاء بأسرع وقت كي يعبدوا الطريق للآخرين إلى محبة الإسلام و إلى قلوبهم ..

إنّ أكبر جرس في العالم قد تمّ بناؤه في موسكو عام

1733 و يقّدر وزنه بنحو **200** ألف كيلوغرام ، و قد تطلب بناؤه الكثير من الجهد و اليد العاملة و المواد و المال لأشهر طويلة، لكنّ ذلك الجرس لم تصدر عنه حتى رنّة واحدة .. فقد تكسّر خلال صنعه بفعل حرارة النّار!

كل تلك الجهود ، التكاليف ، التخطيطات و الآمال تحّولت في لحظة إلى لا شيء.. وغدت مجرّد كومة من المعدن تنتصب في روسيا كرمز للفشل .. إنّ ذلك الجرس الضخم بقي مجرّد عملاق كسيح وأخرس، لكنّ الرشاقة وفصاحة الرنين كانتا من نصيب الأجراس الأصغر التي ربما لا يكترث أحد لها بسبب حجمها و شكلها و ثمنها البخس .. إنّ حجم الجرس الهائل انهار مباشرةً عند أول اختبار له بنيران الحياة و تجارب القدر..

و هكذا فإنّ قيمة الجرس ليست بحجمه و معدنه بل برنّته .. و قيمة الدين ليست بكونه آخر الأديان أو أتى به خاتم المرسلين أو يتبعه المليارات حول العالم أو حتى كونه نصّ مثالي لا تشوبه شائبة .. بل قيمته بالطريقة التي يترجمه بها أتباعه إلى أفعال على أرض الواقع .. لذا لا عجب أن نجد أدياناً أرضية بأتباع محدودين يتم قبولهم من البشرية و محبتهم لأن أجراسهم الصغيرة ذات رنين مميز !!

و للأسف رغم كون الإسلام ديناً مثالياً و عظيماً كفيل بجعل المسلمين خير أمة أخرجت للناس بالفعل ، إلا أنّ تلويث المسلمين له ببعض الأفكار و الأفعال الكارثية التي تخالف النص القرآني بالأساس كما أثبتنا بالأدلة في هذه المغالطة ، يشوهون الإسلام كدين في عيون الآخرين و يخلقون فوبيا في عقولهم وقلوبهم تجاهه .. و إن أراد تاجر أن يروّج لبضاعته بين الناس، فعليه أولاً أن يجعل منها بضاعة نظيفة و متألقة و مفيدة تجذب الناس لها بإرادتهم و اقتناعهم لا بإجبارهم بالسلاح على اقتنائها !!

في النهاية نأمل من صميم قلوبنا أن يرمم المسلمون **جرس الإسلام الجميل و العظيم** بتصويب تلك الأخطاء الكارثية كي يصدح رنينه العذب الحقيقي في أصقاع

الأرض كلها ..

مغالطة أسرع من الضوء

(أسطورة التاكيونات)

= انظر عزيزي إلى سماء الليل كم هي جميلة بنجومها!

= بالفعل حبيبتي ، منظر بديع لا يوصف بكلام ..

على حين غفلة شقّ سماء الليل شهاب ضخم بمنظر مبهر و فريد ..

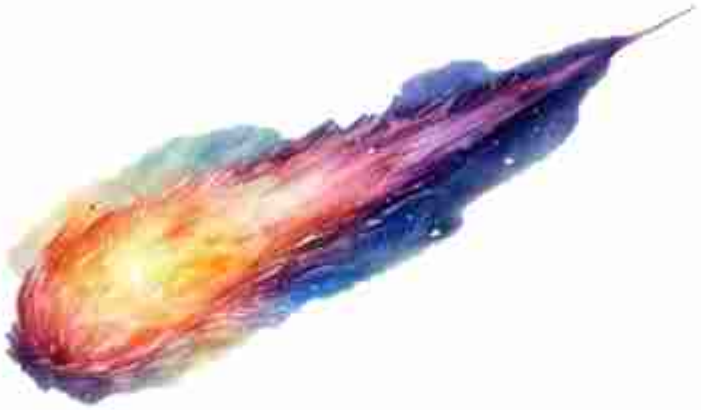

ابتسم الشاب و قال دون أن ينظر إلى خطيبته ..

= و أنا مثلك حبيبتي أتمنى أن نتزوج قريباً ..

نظرت إليه مخطوبته بدهشة ..

= كيف عرفت ما أفكر به قبل أن أنطق بأي كلمة ؟

= هذه تسمى فراسة يا عزيزتي .. أو ما يطيب لي تسميتها بحكم اختصاصي في الفيزياء (**التفكير أسرع من الضوء**) ..

ابتسمت مخطوبته بحيرة ..

= و ما معنى ذلك ؟!

= تقول الفيزياء أنه إذا انطلقت جسيمات بسرعة تفوق سرعة الضوء فإنها ستواجه معضلة تتعلق بعكس

الزمن، وستنقلب مفاهيم السببية رأساً على عقب..

= لم أفهم !

= السببية هي المبدأ الأساسي في الفيزياء أي أن السبب يأتي أولاً ثم تليه النتيجة ثانياً ، فإذا كانت هنالك جسيمات قادرة على إرسال المعلومات بسرعة تفوق سرعة الضوء، فوفقاً **لنظرية النسبية الخاصة**، هذه الجسيمات ستكسر علاقة السببية لتحدث النتيجة قبل السبب .. و كي أبسّط لكِ الأمر أكثر ، إذا كان هناك حدثان أحدهما يمثل إرسال الإشارة من مكان ما، والثاني يمثل استقبال تلك الإشارة في مكان مختلف ، فما دام أن الإشارة تتحرك بسرعة الضوء أو أقل، فإن رياضيات الوقت تؤكد أنّ حدث الإرسال سيحدث قبل الاستقبال.. أما بافتراض انطلاق إشارة الإرسال بسرعة فوق ضوئية، فإن علاقة السببية ستنعكس، وستحدث النتيجة قبل السبب ! أي سيتم استقبال الإشارة قبل إرسالها لأن الزمن سينعكس وفق قوانين الفيزياء ..

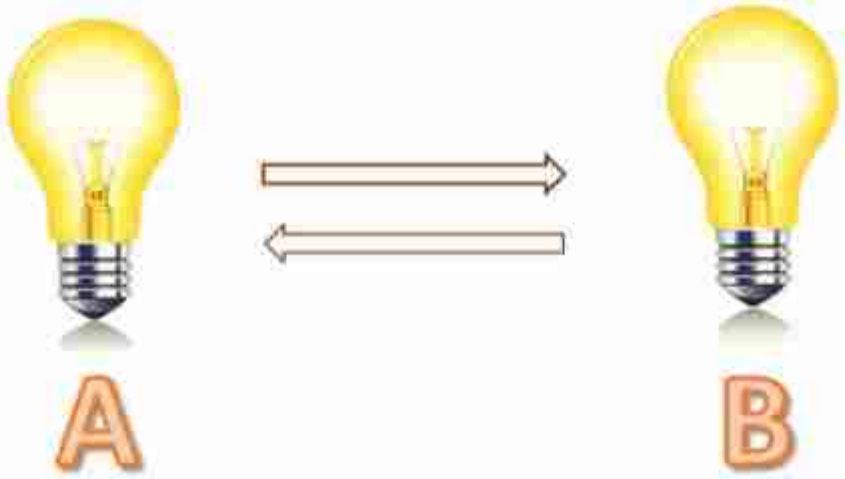

= أي كما توقعت أنت مسبقاً بماذا أفكر و قمت بالرد على سؤالي قبل أن اسأله !!

ابتسم الخطيب ..

= بالضبط ..

= أمر مذهل بحق .. و هل يمكن للجسيمات أن تنطلق أسرع من الضوء على أرض الواقع عزيزي ؟!

= هذا سؤال هام للغاية أثار حيرة و تفكير العلماء لعقود ، تعالي لأشرح لك أكثر إن كان ذلك ممكناً ..

*****

أسرع من الضوء ..

عبارة كثر استخدامها في روايات الخيال العلمي كنوع من النظريات المجنونة التي تقسم قوانين الفيزياء الراهنة قاطبةً بأنها عبارة مشوهة غير قابلة للحياة و الوجود .. فهل هذه الفكرة مستحيلة بالفعل وغير قابلة للتنفيذ أم أنّ هذا مجرد مغالطة جديدة تنضم كمصباح ملون جديد إلى شجرة عيد الميلاد الخاصة بمغالطاتنا ؟!

إنّ الجواب المبدئي الوجيز على هذا السؤال هو :

(بالفعل يمكن للأجسام علمياً و وفق القوانين

الراهنة أحياناً أو في حالة وجود خلل مفترض في هذه القوانين في أحيان أخرى ، أن تنطلق بسرعة تفوق سرعة الضوء)

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟

تعال عزيزي القارئ لنقارب مغالطتنا على نحوٍ أعمق كي نتوصل إلى نتيجة مرضية في هذا الصدد و ذلك بتحليلها من **3** زوايا شيقة و هامة للغاية :

① سرعة الضوء ..

② العوامل التي تؤثر على سرعة الضوء..

③ كيف يمكننا أن نسبق الضوء علمياً ؟..

❁ سرعة الضوء :

لم تكن سرعة الضوء أمراً مؤكداً حتى عهد قريب من التاريخ ، و في حين اعتقد **إميدوقليس** في زمن الإغريق بمحدودية سرعة الضوء أي أنه يستغرق وقتاً في انتقاله .. نجد **أرسطو** يصرّ على أن الضوء هو تعبير عن وجود شيء ما، إلا أنه ليس بحركة.. ثم اقترح **إقليدس** بعد ذلك **نظرية الإشعاع في الإبصار** القائلة بأن الضوء ينبعث من العين، بدلاً من دخوله العين من مصدر آخر.. و روّج **بطليموس** لاحقاً لهذه النظرية ، ثم أكّد **هيرون** الاسكندري على مقولة أنّ سرعة الضوء هي حتماً غير محدودة متذرعاً بحقيقة أنّ الأجرام البعيدة كالنجوم تظهر فوراً بمجرد أن نفتح أعيننا.. !!

في البداية وافق الفلاسفة المسلمون المبكرون على

وجهة نظر أرسطو في أن سرعة الضوء غير محدودة.. إلا أنه في عام **1021**، نشر الفيزيائي المسلم **ابن الهيثم**، **كتاب البصريات**، و فيه استخدم تجارب لدعم **نظرية الولوج في الإبصار**، حيث ينتقل الضوء من الشيء إلى العين، مستخدماً آلات مثل **كاميرا اوبسكيورا** (الصندوق المظلم) .. و تجارب ابن الهيثم هذه جعلته يؤكد أّن الضوء حتماً له سرعة محددة، وأنّ سرعة الضوء تتغير أيضاً ، إذ تنقص في الأجسام الأكثر كثافة كالماء و الزجاج و غيرهما .. و قال في نتائجه بأنّ الضوء هو مادة محسوسة يتطلب انتشارها وقتاً حتى لو كان ذلك مخفياً عن حواسنا، و **هذا أول توصيف صائب للضوء في التاريخ** .. ويقال أن وصول ابن الهيثم لهذه النظريات كانت خلال الأعوام التي قضاها في السجن إبان فترة **الحاكم بأمر الله** في مصر.. ثم استمر الجدل حول نظريته هذه في أوروبا والعالم الإسلامي طوال العصور الوسطى..

في أوائل القرن **17** حاول العالم الشهير **جاليليو جاليلي** أن يحدد سرعة الضوء، فأرسل شخصين يحمل كل منهما مصباحاً على مسافة ميل من بعضهما البعض، بحيث يعطي أحدهما للآخر إشارة بالمصباح، وعلى الثاني بمجرد رؤيتها أن يرد بإشارة أخرى، وهكذا بانتظام ، ثم قام جاليليو بحساب الزمن المنقضي بين إطلاق أحدهما الإشارة واستجابة الآخر، واضعاً في الاعتبار معامل الخطأ البشري ليرى هل ثمة فارق واضح بين الإشارتين ؟ أي الفارق الذي أخذه الضوء ليقطع مسافة ميل كامل ، لكن التجربة بالتأكيد باءت بالفشل لأنّ الضوء يقطع تلك المسافة في جزء من مئة ألف جزء من الثانية وهو أمر لا يمكن ملاحظته بالعين المجردة، هنا سجل جاليليو ملاحظته أنّ سرعة الضوء أكبر من أن تقاس بتجربة كتلك، و شكك بأنها قد تكون أسرع **10** مرات من سرعة الصوت ..

لم تمرّ **40** عاماً أخرى حتى جاء الفلكي الدانماركي **أوول رومر** في القرن **17** أيضاً ليثبت عن طريق الصدفة أن للضوء سرعة محددة بينما كان يعمل في مرصد باريس الفلكي ، ففي أثناء عمله على جمع ملاحظات عن **قمر أيو** رابع أكبر أقمار كوكب المشتري الكبيرة ، لاحظ رومر أنّ الأرض عندما تكون في أقرب نقطة مع المشتري يقع خسوفٌ لقمر أيو قبل

11 دقيقة تقريباً مما هو عليه عند أبعد نقطة للأرض من كوكب المشتري ، أي بعد **6** أشهر ونصف ..

بالطبع لم يكن بديهياً مطلقاً معرفة سبب حدوث هذا الاختلاف الزمني، بحكم أنّ القواعد النيوتنية الكلاسيكة كانت ترفض التعامل مع الضوء على أنه أيّ شيء آخر عدا أن يكون لحظياً ، فالمعتقَد القديم كان يتناول الضوء على أنّه سريعٌ للغاية و لا يمكن قياسه، أو أنّ سرعته لا متناهية و لا يمكن حسابها تحت أيّ منهجية قياس ..

بالطبع تجاوز هذه المسلّمات استغرق بعض الوقت، لكنّ الأكيد أنّ تجربة رومر فتحت باباً واسعاً للتساؤل:

(لماذا حدث هذا الفارق الزمني بين موعد الخسوفين عندما تغيّر موقع الأرض مع المشتري؟)

والإجابة المنطقية بالطبع هي:

(لأنّ للضوء سرعة محدودة ويستغرق زمناً كي

يقطع مسافة بين أي نقطتين)

وإذا كان فعلاً لسرعة الضوء حد، فما مقدار هذا الحد ؟ هذا ما دفع الرياضي الهولندي **كريستيان هويغنز** لاحقاً إلى التحري في الأمر مجرياً حساباته الفلكية الخاصة، فنتج عن هذه الحسابات أنّ سرعة الضوء تقريباً **210** آلاف كيلومتر في الثانية ، وهي أقل بـ **30%** من السرعة الحقيقية للضوء كما نعرفها اليوم .. وسبب خطأ هذه النتيجة هو استناد هويغنز على أرقام رصد غير دقيقة لتوقيت الخسوف ، وكذلك عدم دقة معرفته بأبعاد مدارات الكواكب ، لكنّها كانت على كل حال الإجابة الأولى التي تمنح تقديراً كمياً لسرعة الضوء ..

بعدها بفترة من الزمن أجرى العالم الإسكتلندي **جيمس ماكسويل** تجاربه على الموجات الكهرومغناطيسية المدمجة و هي بشكلٍ آخر عبارة عن ضوء لذا حاول حساب سرعتها فوجد أنّ الأرقام تشبه إلى حدٍ كبير تلك التي وجدها العلماء من قبله عند حساب سرعة الضوء !

و حينما أتى العالم الألماني الشهير **ألبرت أينشتاين** لاحقاً في بداية القرن **20**، لم يكن مهتماً إطلاقاً بسرعة الضوء، بل كان منهمكاً في تجسيد الكون في إطار فيزيائي أكثر تماسك مما هو عليه في الفيزياء الكلاسيكية.. فقد أدرك أينشتاين العلاقة الحقيقية بين الزمان والمكان اللذان يمثلان النسيج الكوني معرّفاً

إياهما بمصطلح مدمج (الزمكان) ، وهنا لاحت في الأفق إشكالية جديدة !

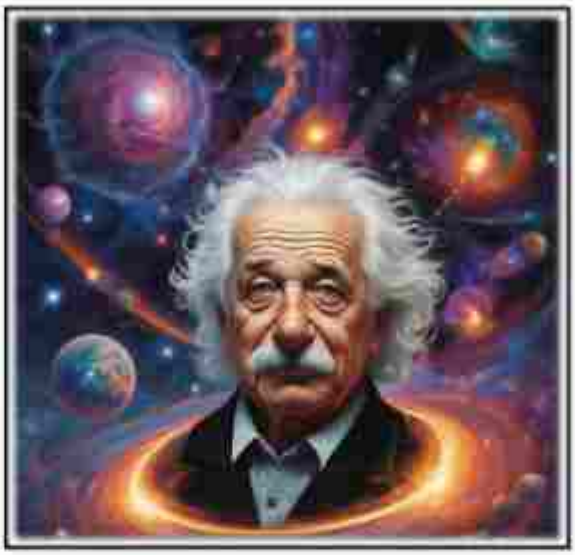

فلطالما أدركنا أنّ الزمان مختلف عن المكان في أصلهما حسابياً، فالمكان وحدة قياسه المتر أو القدم، أما الزمان فوحدة قياسه الثانية، وهاتان الوحدتان مختلفتان تماماً عن بعضهما.. لذا كان عليه الآن أن يجد رابطاً وعلاقة لترجمة الحركة بين المكان و الزمان ، أي بمعنى آخر :

(ماذا يقابل المتر الواحد من المكان زمانياً، و هذه هي السرعة لا غير ؟)

وهذا ما دفعه إلى البحث في المعادلات القديمة عن هذا المعادل العجيب، ولم يمكث طويلاً حتى وجد ضالته بعد تطبيق نسبيته الخاصة على معادلات ماكسويل، فوجد أنّ هذا المعادل يساوي مقدار سرعة الضوء في الفراغ تماماً، والتي تبلغ تقريباً **300** ألف كيلومتر في الثانية.

فاتضح له أنّ الثابت الزمكاني الذي يربط النسيج الكوني يعادل قيمة سرعة الضوء ، ولا شيء بإمكانه تجاوز هذه القيمة سرعةً وفق قوانين النسبية التي وضعها..

و بذلك و بعد تاريخ طويل من الصراع مع الضوء لتحديد سرعته الدقيقة ، تمكن أينشتاين أخيراً من تحديد سرعة الضوء في الفراغ على أنها ثابت رمز له بالرمز **c** وتساوي قيمته **299 . 792 . 458** متر لكل ثانية..

❁ العوامل التي تؤثر على سرعة الضوء :

في الحقيقة سرعة الضوء غير ثابتة بل تختلف تبعاً لتغير عوامل عدة هي :

① **الوسط** : حيث تكون سرعة الضوء أبطأ في الأوساط الكثيفة مثل الماء أو الزجاج .. و لا شكّ بأن أكبر سرعة مقاسة للضوء هي سرعته في الخلاء ، لكن ماذا إن تمكن العلماء من إيجاد أو اكتشاف أوساط جديدة تزداد فيها سرعة الضوء ؟ سؤال افتراضي لكن مثير !

② **التردد و طول الموجة** : فسرعة الضوء تحدد بمعادلة بسيطة : (طول الموجة * التردد الموجي) ،

بمعنى أن زيادة طول الموجات يفترض نقص التردد كي تحافظ على قيمة ثابتة لسرعة الضوء و العكس صحيح ، لكن ماذا إن تمكنا من إيجاد أو اكتشاف موجات بطول معين و تردد معين يعطي قيمة تفوق قيمة سرعة الضوء ؟ سؤال افتراضي و مثير آخر ، فنحن بلا شك لم نختم العلم و لم نكتشف الكون برمته !

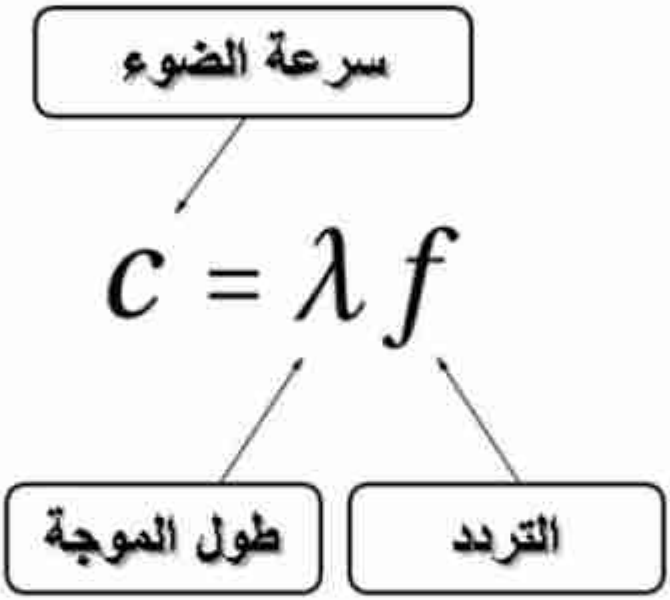

③ **الاستقطاب** : حيث تنتقل موجات الضوء المستقطبة بشكل أسرع ..

④ **درجة الحرارة** : حيث ينتقل الضوء بشكل أسرع في البيئات الباردة.. فماذا إن تمكنا من خلق بيئات باردة للغاية هل سنصل إلى سرعة تفوق سرعة الضوء ؟!

⑤ **الضغط** : فالضغط العالي يبطئ الضوء..

⑥ **الجاذبية** : تكون سرعة الضوء أبطأ في مجالات الجاذبية القوية كالأجرام السماوية العملاقة ..

⑦ **بنية النسيج الزمكاني** : فسرعة الضوء في النسيج المنبسط التي حددها أينشتاين تختلف عن سرعة الضوء في النسيج المعوجّ أو المشوه حيث تزداد عندها ، و لعلّ هذا أبرز طريقة علمية منطقية للسفر بسرعات تفوق سرعة الضوء بكثير !!

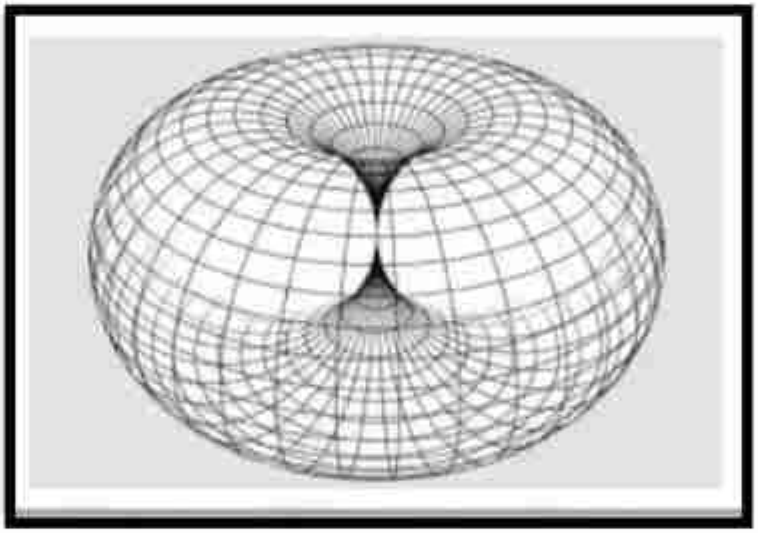

❁ كيف يمكننا أن نسبق الضوء علمياً ؟

في الحقيقة هنالك طريقتان لتجاوز سرعة الضوء في الفيزياء :

◉ أن تكون قوانين الفيزياء الراهنة خاطئة جزئياً أو منقوصة ، و هذا احتمال وارد جداً بحكم أنّ العلم يتطور بشكل متصاعد و مستمر و خير دليل على ذلك

هو إثبات الفيزياء النسبية لخطأ كثير من مسلمات الفيزياء الكلاسيكية .. و الأيام القادمة ستثبت مدى صحة هذا الخيار ..

◉ نظريات فيزيائية مثبتة نظرياً على الورق لكن لا دليل عملي على صحتها بعد ، لكن كما أثبت لنا العلم عبر الزمن ، فأغلب الأشياء التي كانت صحيحة نظرياً ثبتت صحتها عملياً لاحقاً ، و نذكر من هذه النظريات الغريبة الشيقة :

① محرك الاعوجاج:

في ورقة بحثية قدّمها الفيزيائي المكسيكي **ميغيل ألكوبيير** في عام **1994** بعنوان (**محرك الاعوجاج و السفر فائق السرعة ضمن النسبية العامة**) و التي اقترح بها منهجية مغايرة للنمط التقليدي في السفر و التنقل في الفضاء السحيق بسرعات فائقة، دون الإخلال بأي من قواعد الكون الفيزيائية.. يقول هذا العالم في مقدمة ورقته :

(إنّه لمن المعروف أنه في إطار النسبية العامة من الممكن تشويه نسيج الزمكان بطريقة تسمح لسفينة فضائية بالسفر بسرعة كبيرة .. هذا التشوه يحدث بفعل موجة تخلق أمامها انكماشاً بالفضاء و تمدداً خلفها، و بعد ذلك ستدخل المركبة الفضائية في داخل

هذه الموجة وهو ما يعرف بفقاعة الاعوجاج ، لتنطلق هذه الفقاعة بسرعات عالية دون الحاجة للمركبة أن تتحرك.. إنّ هذه الفقاعة الزمكانية بإمكانها السفر والتنقل في الفضاء بسرعات تتجاوز سرعة الضوء بكثير، و سيكون سفر المركبة الفضائية ضمنياً بداخلها..)

ويُشبّه ألكوبيير هذه العملية بحقبة ما بعد نشأة الكون وعملية تمدده، فالمثبت علمياً من خلال الانزياح الأحمر أن الكون يتوسع بسرعات أكبر من سرعة الضوء.. و لو كان هناك مراقبان يوجدان في حيز ضمن هذا التوسع، فسيكون من السهل القول إنّ هذين المراقبين يتباعدان بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، رغم أن هذا سراب فيزيائي لأنّهما ما زالا قابعين داخل الحدود الكونية التي تمنع ذلك، وما نشاهده خرقًا لسرعة الضوء هو سرعة توسع الكون ذاته .. بمعنى آخر هنالك أشياء في الكون تتحرك أسرع من الضوء كتوسع الكون نفسه

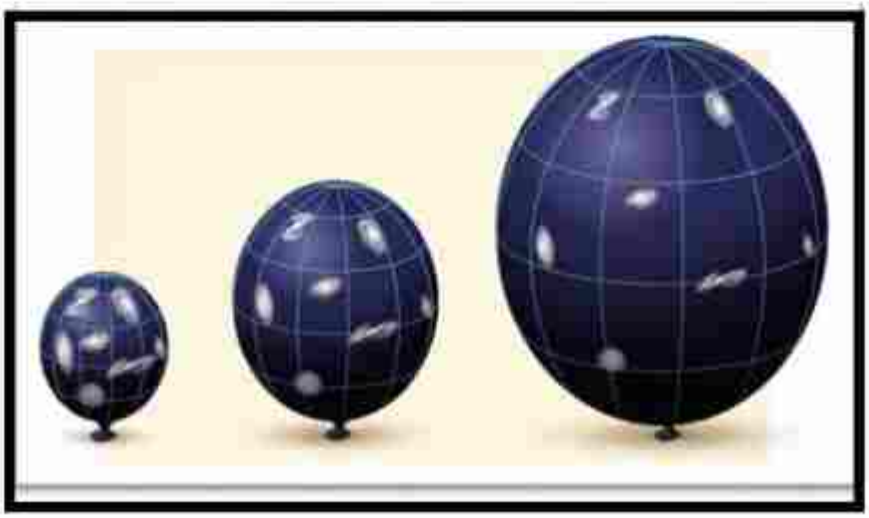

ولتحقيق مثل هذا النموذج عملياً يستوجب علينا فهم **تأثير كازيمير** ، و هو باختصار قوة فيزيائية تحدث على نطاق ميكروسكوبي في مساحة ضيّقة للغاية.. قد يبدو تعريفاً معقداً ، لكن يمكن ضرب مثالٍ يُسهّل فهمه.. فإذا وضعنا لوحين متقابلين غير مشحونين وتفصل بينهما مسافة محدودة للغاية كبضعة ميكرومترات في الفراغ، فإنّ ثمّة قوة جذب محدودة تنتج من هذين اللوحين.. و يعتقد العلماء أنّ الاستعانة بهذه القوة من شأنه تعزيز فكرة إنشاء محرك الاعوجاج عن طريق سحب و جذب المركبة الفضائية إلى الأمام بتقليص الزمكان نفسه و تشويهه كتبسيط ..

وعلى مستوى التطبيق العملي، فقد اقترح فريق من العلماء بقيادة الدكتور **هارولد وايت** الفيزيائي و المهندس لدى وكالة ناسا، هيكلاً لمحركات الاعوجاج يمكن إنشاؤه في العالم الحقيقي و استخدامه لاستكشاف تأثير كازيمير.. و تبدو هذه خطوة صغيرة، لكنها عظيمة و ممكنة على حد وصفه، و قد تفتح لنا آفاقاً مستقبلية لتنفيذ ما نشره الفيزيائي ألكوبيير للتنقل في الفضاء..

② المادة الغريبة و الأنفاق الدودية :

الأنفاق الدودية نظرية منبثقة عن معادلات أينشتاين لنظرية النسبية العامة، وهي اكتشاف مشترك بين

أينشتاين نفسه والفيزيائي الأمريكي **ناثان روزن** في عام **1935**، فقد استخلصا نموذجا نظرياً لجسور فلكية تربط بين نقطتين تفصل بينهما مسافات كبيرة في الزمكان، و تمت تسميتها **جسور أينشتاين روزين** قبل أن تتغير التسمية لاحقا إلى **الأنفاق أو الثقوب الدودية**.

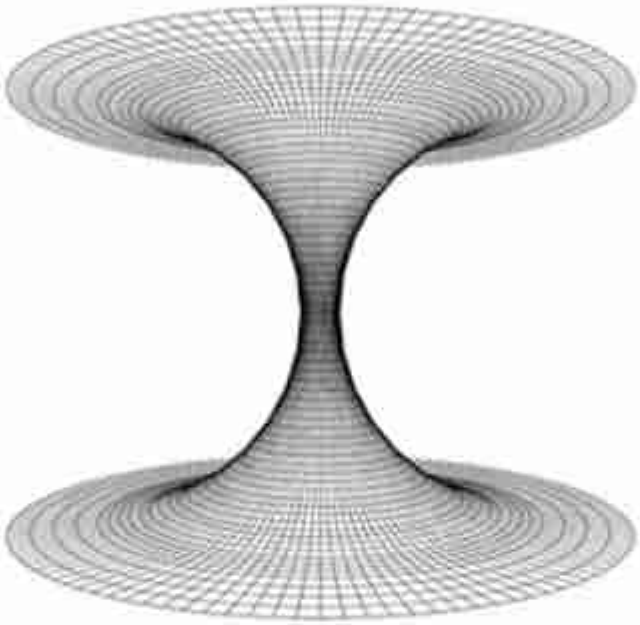

ويعتقد علماء الفيزياء النظرية أنّ وسيلة التنقل هذه قادرة على توجيه أي جسم إلى نقاط بعيدة جداً بسرعات تفوق سرعة الضوء، على أن يكون التنقل ضمن النسيج الزمكاني، وهو ما توفره هذه الأنفاق الدودية ، تماماً كطريقة محرك الاعوجاج التي ذكرناها منذ قليل ..

و هذه الأنفاق تشبه حال الثقوب السوداء، حيث كانت الاستنباطات الرياضية أول الدلائل على وجودها قبل رصدها فلكياً لاحقاً باستخدام تلسكوبات راديوية ذات تقنية عالية وتم توثيقها خلال الأعوام المنصرمة ..

ويرى كثيرون ومنهم منظّرو نظرية الأنفاق الدودية أنفسهم أنّ مثل هذه الجسور الكونية صعبة الوجود بشدة فضلاً عن أنّها خطيرة للغاية كونها غير مستقرة، أي أنّها تنهار فجأة وتضمحل دون سابق إخطار..

وفي وصف النفق الدودي، فإنّ له فوهتان، إحداهما ثقب أسود والأخرى ثقب أبيض، والثقوب البيضاء بدورها غير مكتشفة حتى هذه اللحظة، وإنما هي الأخرى من نتائج النظرية النسبية التي توصل إليها الفيزيائي النمساوي لودفيج فلام .. و تربط هاتان الفوهتان أو المدخلان نقطتين بعيدتين عن بعضهما في الكون بواسطة جسرٍ مُبطّن بمادة غريبة، و تأثير هذه المادة يعمل عكس تأثير المواد الطبيعية بسبب احتوائها على كثافة ذات طاقة سلبية و ضغط سلبي كبير .. وعوضاً عن أن تجذب الأشياء نحوها تجعلها تنفر، و هي تُبقي النفق الدودي مفتوحاً وممتداً دون أن ينهار و ينكمش على نفسه..

③ التشابك الكمّي والانتقال اللحظي:

في حديثنا عن التنقل بسرعة أعلى من سرعة الضوء، لا يمكننا التغاضي عن فيزياء الكم أو ميكانيكا الكم كما يحلو للبعض تسميتها .. وتعد نظرية التشابك الكمي إحدى تلك الظواهر المثيرة والغريبة التي تشغل حيّزاً كبيراً لدى علماء فيزياء الكم .. و تفترض هذه النظرية

وجود جسمين على مستوى عالم الكم المتناهي في الصغر ، أي صغيرين للغاية، تربط بينهما علاقة كمومية بالسرعة و الموقع و الزخم و اللف المغزلي و غيرها من الخصائص، ويتأثران بذات التأثير، فإذا تأثر أحدهما تأثر الآخر مهما بلغت المسافة الفاصلة بينهما في الكون بحكم الرابط بينهما، ويكفي النظر إلى صفات زوجٍ واحد لمعرفة صفات الآخر، ولهذا السبب سُميّت بالتشابك الكمي ..

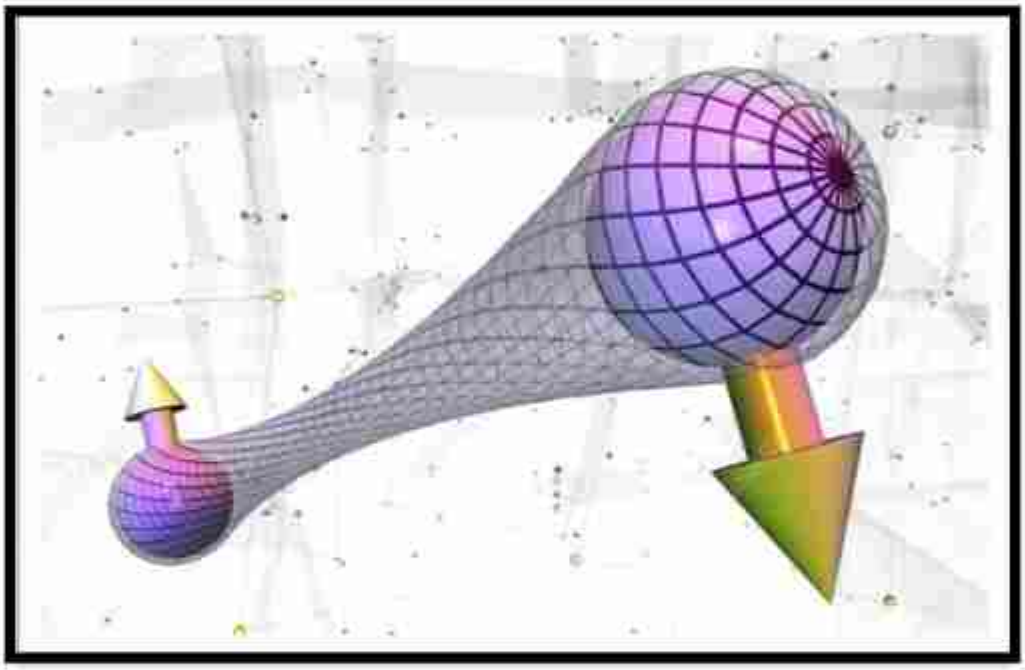

يهتم هذا الفرع من الفيزياء (مكيانيكا الكم) بعالم الأجسام دون الذرية.. و لأنّ تطبيقه صعب للغاية، يتم تبنّي فرضياته في أغلب الأحيان نظرياً و حسابياً دون اللجوء إلى التطبيق المباشر لعدم توفر الآلية والوسيلة. وفي ورقة بحثية صدرت عام **1935**، قدّم أينشتاين و روزن و الفيزيائي الروسي **بوريس بودولسكي** دراسة

لمدى قوة ارتباط الحالات الكمية مع بعضها البعض، ووجدوا أنه عندما يرتبط جسيمان ارتباطاً وثيقاً، فإنهما يفقدان حالتهما الكمومية الفردية و يتشاركان بدلاً من ذلك حالة واحدة موحدة .. كما أنّ عامل المسافة غير مهم في هذه النظرية، أي مهما بلغت فإنّ النتائج ستكون ذاتها.. و يعتقد العالم الألماني إروين شرودينغر و هو من مؤسسي فيزياء الكم ، أنّ التشابك الكمي هو أكثر المحاور جوهرية في العالم الكمّي، و أنّ وجود مثل هذه النظرية هو بمثابة الخروج الكامل من منهجية التفكير الكلاسيكية .. وما دام الانتقال والتأثير لحظياً، إذن لا بد من أنّ المعلومات المرسلة بين نقطتين تنتقل بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، وبهذا سنكسر إحدى ضوابط الكون الرئيسية.. والأمر ليس بهذه البساطة، فقد سبق لأينشتاين أن أشار إلى هذه السرعة فوق الضوئية بأنها معضلة واصفاً إياها بأنه :

(عملٌ مريع عن بعد)

و على الرغم من أنّه ليس هناك حل واضح لهذه المعضلة بعد، فإنه يمكن القول: **(كما يتبنى التشابك الكمي خاصية الانتقال اللحظي، فإنّه كذلك يحافظ على مبدأ السببية، أيّ أنّه ما من شيء يحدث دون مسبب)**

فلو أنّ مراقباً لجسم كمّي يتابع حالته، فلن يدرك التأثير الواقع عليه حتى يحصل على معلومات لمقارنة ذلك

التأثير من طرف المراقب المُرسِل ، ولن تصل هذه المعلومات إلا بعد أن تقطع المسافة الفاصلة بسرعة لا تتجاوز سرعة الضوء .. لذا يعتقد كثيرون بأنّ مثل هذه الوسيلة ما زالت حبيسة سرعة الضوء، على الرغم من كونها ظاهريا تواصل لحظي بين جسمين !!

④ التاكيونات.. جسيمات متناهية الرشاقة:

في عام **1967**، نشر فيزيائي أمريكي من جامعة كولومبيا يُدعى **جيرالد فاينبرغ** ، ورقة بحثية بعنوان:

(إمكانية وجود جسيمات أسرع من الضوء)

مستعرضاً بها جسيمات تخيلية تمتلك صفات مغايرة و مستعيناً بالنظرية النسبية الخاصة، و هي المرّة الأولى التي يظهر بها مصطلح **تاكيون** و يعني بالإغريقية جسيمات متناهية الصغر و رشيقة للغاية ..

افترض فاينبرغ وجود نوعين من الجسيمات دون الذرية، أحدهما **البراديونات** و هي تمثل كل ما يتعلق بكتلة العالم المرئي، و من أهم صفاتها أنّها تزيد طاقتها كلّما زادت سرعتها، وأنها كلما اقتربت من سرعة الضوء ستكتسب طاقة لانهائية وهذا فيزيائياً غير ممكن.. أما النوع الآخر فهو **التاكيونات** وتختلف عن نظيرتها بأنّها تفقد الطاقة بدلا من اكتسابها حينما تزداد سرعتها، ولهذا السبب يمكن لها أن تجتاز سرعة

الضوء نظرياً بالوصول إلى الطاقات السالبة ، بل ينبغي أن تكون دوماً في هذا النطاق من السرعة ..

وقد يُخيّل للبعض عند الحديث عن التاكيونات أو الجسيمات التكويونية، أنّها ضربٌ من الخيال أو أنها إحدى شطحات كتّاب الخيال العلمي في إطار سعيهم نحو خلق الإثارة الروائية ، غير أنّ الأمر له أبعاد علمية أبعد من ذلك بكثير، إذ إنّ التاكيونات نظرياً لا تخالف قوانين النسبية ما دامت تلتزم شرط تغير الطاقة اللانهائي مع زيادة السرعة..

لكن ما يخالف وجود التاكيونات فعلياً هو أنها تخالف في جوهرها أحد المبادئ الفيزيائية، وهي السببية التي تطرقنا إليها مسبقاً، لأنّها بطبيعة الحال قادرة على كسر الثابت الزمكاني الذي يربط النسيج الكوني، أي قيمة سرعة الضوء، وبالتالي قادرة على السفر بالزمن إلى الماضي، وتلقائياً سنجد أنفسنا أمام المعضلة الشهيرة **مفارقة الجد أو مفارقة قتل هتلر** ، و هي مفارقة عن السفر في الزمن تظهر تناقضات سببها تغيير الماضي ويأتي اسمها من وصف المفارقة : (**إذا قام شخص ما باختراع آلة زمن، ثم عاد بها إلى الوراء، وقابل جده ثم قتله قبل أن ينجب أطفالاً، فكيف وجد هذا الشخص في الأساس حتى يعود بالزمن لقتل جده ؟!**) ، و بالمثل تقول المغالطة أنه في حال تمكن شخص من

الرجوع بالزمن إلى الرواء و قتل هتلر فما مصير كل الأحداث التي نتجت عن وجوده ؟!

بالطبع هذه المغالطة مقترنة بعودة الكائنات الحية بالزمن إلى الوراء ، لكن ماذا عن عودة الجماد ؟! الجماد لا يخبر الحكايات و قد لا يغير الأحداث ، و لعلّ أشياءً كثيرة من حولنا ما هي إلا زوّار من المستقبل بطريقة ما !!

بمحصّلة كل ما سبق ، لا تزال فكرة السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء حلماً عصياً على الفيزيائيين الحالمين بكسر شوكة نظريتي النسبية لأينشتاين ، و لا شك أنه الطموح الذي يداعب عقول روّاد الفضاء لمن

يبتغي الوصول إلى أقاصي الكون وأطرافه من مجرة إلى أخرى بالنظر إلى ما يسمح به عمره المحدود ..

إنّ العمل تحت مظلّة مبادئ النسبية العامة لن يسمح بوجود أيّ جسيمات تخترق الثابت الكوني لسرعة الضوء في الفراغ، والحلّ الوحيد هو الالتفاف على هذه المعادلات بإثبات خطئها جزئياً أو نقصها في مواقع أخرى أو حتى استخدامها نفسها لتوليد فقاعات اعوجاج أو ثقوب دودية **تحطم الرقم القياسي للسرعة في الكون و المسجّل باسم الضوء حتى يومنا هذا** !! و من وجهة نظر شخصية ، طالما أن الكون يتوسع بسرعة تفوق سرعة الضوء ، فكل شيء جائز الحدوث ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**أسرع من الضوء**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= السفر أسرع من الضوء أمر مستحيل علمياً و عملياً

بل أن نقول :

= تجاوز سرعة الضوء أمر مثبت نظرياً و كأبسط مثال على ذلك هو توسع كوننا .. كما أن هنالك نظريات كثيرة صحيحة نظرياً تؤكد بأنّ السفر أسرع من الضوء وارد الحدوث كمحرك الاعوجاج و الثقوب الدودية و

غيرها .. و بانتظار الإثباتات العملية في قادم السنين ..

في الذكر الحكيم يصف البارئ يوم القيامة بصيغة الماضي رغم أنه شيء سيحدث في المستقبل أي لم يحدث بعد كما في الآية التالية مثلاً :

(و ما قدّروا الله حقّ قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يشركون * و نُفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون * و أشرقت الأرض بنور ربها و وُضع الكتاب)

و في هذه الفكرة تجسيد لجوهر مغالطتنا بكسر السببية و حدوث النتيجة قبل السبب أي استقبالنا للإشارة قبل انطلاقها من مصدرها ، أليس هذا مذهلاً !!

مخالصة خارج الصندوق

(العقدة الغوردية)

في إحدى المدارس الألمانية ، قام تلاميذ الصف الأول الابتدائي بإحداث جلبة شديدة في الفصل الدراسي أثارت عاصفة من الصداع في رأس المدرس ، لذا قرر إلهاءهم بإعطائهم مهمة صعبة ينشغلون في حلها ليخفّ الضجيج ..

= يا أطفال عليكم خلال بقية الحصة الدراسية أن تقوموا بجمع الأعداد ما بين **1** وَ **100**، هذا واجب ..

= حاضر أستاذ ..

ظنّ المعلم أنّ الهدوء سيعود إلى الفصل و أنّ انهماك التلاميذ في حل هذه المسالة الحسابية سيستغرق ساعات، لكن لم تمضِ سوى بضعة دقائق حتى تقدم أحد التلاميذ من المعلم و قال بثقة :

= أستاذ ، إنّ حاصل جمع الأعداد كما طلبت هي **5050** !!

انعقد لسان المعلم من الدهشة ..

= كيف توصلت إلى هذه الإجابة الصحيحة يا بنيّ ؟

= لاحظت ببساطة أنّ ناتج جمع **1 + 100** هو **101**، وناتج جمع **2 + 99** هو أيضا **101**، وناتج جمع **3 + 98** هو كذلك **101**، ويتكرر الأمر حتى نصل إلى **50 + 51**، إذاً كل ما علينا هو أن نضرب

101 في **50** وهي عدد مرات التكرار فيكون الناتج **5050**.

فتح الأستاذ فمه بذهول و هو لا يصدّق هذا الكلام الخارج من فم طفل بعمر **7** سنوات ..

هذا الصبي اللماح الذي فكر خارج صندوق المعتاد كي يحل مسألة رياضية عسيرة بلمح البصرو بطريقة بسيطة لكن عبقرية ، سيصبح في المستقبل أحد ألمع علماء الرياضيات في التاريخ ، إنه الرياضي الألماني العبقري **كارل فريدرش جاوس** الذي عاش في القرن **18**، و كانت حياته غزيرة بالإسهامات العلمية في عدة مجالات منها الجبر و الهندسة و الكهرباء الساكنة و الجيوفيزياء و الفلك و البصريات و الإحصاء و

غيرها ..

فما قصة **التفكير خارج الصندوق** هذا بالضبط ؟ و لماذا هو كما يقال **أداة تطور البشرية** عبر العصور ؟

*****

(كل شيء كان من الممكن اختراعه فقد تم اختراعه)

عبارة قالها بمنتهى الثقة **شارلز هولاند دويل** (مفوض الولايات المتحدة للبراءات والعلامات التجارية) في إحدى المناسبات من عام **1899** ..

و لك عزيزي القارئ حرية إحصاء الاكتشافات و الاختراعات التي جرت بعد ذلك العام في كافة مجالات العلوم و الحياة (بل إن أهم الاختراعات البشرية تمت لاحقاً في القرن **20**) ، لتثبت أنّ كلام شارلز كان مجرد وهم سببه **حصر نظره و تفكيره بما هو موجود بين يديه في الصندوق** و **إنكار و تجاهل العالم الرحب الذي ينتظرنا باستمرار خارج ذلك الصندوق** .. و لو أن البشرية أصغت إليه و اقتنعت بما بين يديها لما تطورت قيد أنملة !! لذلك تعتبر هذه العبارة **من أكبر مغالطات التفكير البشري** المحرضة على الركود و عدم التطور، و التي للأسف يتكرر استخدامها عبر الأجيال كلما

تقدمت البشرية أكثر في مجال العلوم حين يظنّ البشر أنفسهم قد بلغوا المنتهى ، في حين لا يزال أمامهم الكثير ليكتشفوه .. لذا هيا بنا عزيزي القارئ نفكر قليلاً خارج الصندوق لنفهم هذا المصطلح أكثر و ندرك خطورة تجاهله أو إنكاره من قبل البعض ، فنتمكن من الاستفادة منه و استخدامه بأفضل شكل بحيث نسهم جميعاً بلا استثناء في تطور البشرية أكثر فأكثر ، عندما نرفض التسليم بما بين أيدينا و الاكتفاء بما وصلنا إليه من معرفة و علوم .. و كي ننجز ذلك على أكمل وجه سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا شيقة و هامة :

① **ما هو التفكير خارج الصندوق ؟**

② **كيف تفكر خارج الصندوق ؟**

② **أمثلة بليغة للغاية عن التفكير خارج الصندوق**

❁ ما هو التفكير خارج الصندوق ؟

هو كما يعرف أغلبنا مجرد استعارةٌ تعني التفكير بشكل غير تقليدي أي رؤية الأمور من زوايا جديدة ، وغالباً ما تقترن هذه العبارة **بثالوث تطور البشرية :**

(الإبداع & الاكتشاف & إيجاد الحلول الخلاقة للمشاكل العويصة)

و يُعتقد أن هذا المصطلح وضعه الاستشاريون الإداريون في السبعينيات و الثمانينيات من القرن **20** المنصرم ..

❁ كيف تفكر خارج الصندوق ؟

للتفكير خارج الصندوق مبادئ كثيرة لعلّ أهمها :

① لا تكتفي بالمسلمات و الحقائق و المعلومات

التي بين يديك : فالاقتناع بأن ما توصلت إليه البشرية بشكل عام و الأفراد بشكل أخصّ هو الحدّ الأقصى للمعرفة و العلم ، يجعلهم يدورون في حلقة مفرغة ضمن الصندوق دون الوصول إلى أي جديد ، لذا على الإنسان أن يكون شجاعاً و جريئاً كي يقفز من الصندوق و يلقي نظرة إلى العالم الغريب و المذهل خارجه .. و أفضل طريقة لتحقيق ذلك هي التعلم المستمر و المطالعة و حتى مشاهدة أفلام الخيال

العلمي و غيره ..

② **لا تكتفي بالحلول البديهية** : فإن أوصلتك الحلول المنطقية المتوفرة بين يديك إلى حائط مسدود ، ابدأ بالتفكير بطريقة مغايرة و ربما **غير منطقية** و **مجنونة** بل فكر حتى **بالحلول السخيفة** بظاهرها ، فكثيراً ما أوصلت هذه الطرائق العلماء إلى اكتشافات مذهلة غيرت وجه البشرية .. و كما يقول الخبير الاقتصادي **توم بيترز** :

(اطلع حتى على الأفكار السخيفة فبعضها يحمل بذور العبقرية)

③ **أطلق لخيالك العنان** : ربما كان الخيال أعظم نعم الله على البشر .. فبالخيال يمكنك اقتناء أي شيء أو السفر إلى أي مكان أو تحقيق أي حلم و أنت جالس في مكانك ، و للخيال ميزة ربانية أنه ما إن ينفلت لجامه حتى يبدأ الجري بك إلى أماكن لم تخطر ببالك من قبل ، بمعنى آخر **يقفز بك حصان الخيال خارج الصندوق** ..

④ **غيّر جملة المقارنة و قم بتدوير الزوايا** : كثيراً ما يكون سبب أعقد المشاكل هو النظر إليها من زاوية خاطئة أو باستخدام جملة مقارنة غير صحيحة ، و بمجرد تغيير الزاوية أو جملة المقارنة نكتشف الحل مباشرةً .. فمثلاً إن أردت أن تثبت بأن الجبال تتحرك لا تنظر إليها و أنت أمامها على سطح الأرض بل اخرج بنفسك من صندوقنا الأرضي إلى الفضاء الرحب ، فستراها عندئذٍ تتحرك مع دوران الأرض حول نفسها و حول الشمس بعد أن اعتمدت على جملة مقارنة خارجية ..

⑤ **الجأ إلى الأطفال** : إنّ مخيلة الأطفال تعمل بجودة مذهلة و بدون تشويش.. فخيالهم خصب وغير محاصر

لأنه لم يتعرض للتدجين بعد بقيود المجتمع و العادات و الإيديولوجيا، و رغم أنّ المدرسة هي مكان لتطوير قدرات الطفل لكنها من زاوية أخرى مجرم يغتال ملكة الإبداع و الخيال لديه.. فما يميز الأطفال أنهم يلمون بأدقّ التفاصيل كونهم في مرحلة الاستكشاف، لذلك لا يتعاملون مع الأمور انطلاقاً من معلومات مسبقة .. و العالم بالنسبة لهم كيان مجهول يستحق التحري خلف أسراره الدفينة و تجربة كل شيء جديد فيه، فلا قيود تحكمهم على عكس تصرفات البالغين .. و هذا ببساطة هو التفكير خارج الصندوق الذي ينتهجه البشر أطفالاً قبل أن يدفنهم المجتمع داخل الصندوق لاحقاً كما أوضح عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو :

(الإبداع هو خاصية مميزة لجميع البشر عند الولادة)

لذا لا تتردد عزيزي القارئ في أن تتواضع و تسأل الأطفال عن نظرتهم للأمور ، ربما قد تتلقى أجوبة عفوية و ساذجة، لكنك بكل تأكيد ستصادف آراءً مميزة تعالج مشكلتك من زاوية غير متوقعة أهملتها أثناء البحث !!

⑤ **لا تهمل البساطة** : أحياناً يكون الحل لأعقد المشاكل بسيطاً للغاية و ينظر إلينا جالساً على حافة الصندوق المفتوح في حين ننشغل عن النظر إلى الأعلى بالبحث بين محتويات الصندوق الذي نعيش فيه ، و لعل خير قصة تشرح هذه النقطة هي قصة الملك **لويس الرابع عشر** مع سجينه ، حين قال له الملك :

● يوجد بزنزانتك منفذ وحيد لن أترك عليه حراسة فإن تمكنت من العثور عليه قبل شروق شمس الصباح يمكنك الخروج وأنت حرّ، وإلا فالحراس سيأتون غداً لينفذوا بك حكم الإعدام.

قضى السجين ليلته بالمحاولة مع بوادر أمل تلوح له مرة هنا ومرة هناك لكنها تفشل في النهاية حتى أشرقت الشمس و وجد وجه الملك يطل عليه من الباب ضاحكاً

- مالي أراك هنا ، ألم تجد المهرب بعد ؟!
- كنت أظنّك صادقاً معي أيها الملك ، فأنا لم أترك بقعة في الجناح لم أحاول فيها، فأين المخرج الذي زعمت أنه موجود ؟!
- لقد كنت صادقاً بالفعل ، فقد تركت باب الزنزانة الرئيسي مغلقاً لكن دون أن أقفله ورائي ، لكنك بحثت في كل مكان إلا بوابة الخروج الرئيسية .. !!

❁ **أمثلة بليغة للغاية عن التفكير خارج الصندوق :**

① الرجل و السيارة:

تضمنت استمارة طلب الالتحاق بأحد الوظائف السؤال التالي :

(كنت تقود سيارتك في ليلة عاصفة جداً .. وفي طريقك مررت بموقف للحافلات ، فرأيت **3** أشخاص ينتظرون الحافلة :

- امرأة عجوز لا تستطيع المشي ..
- صديق قديم سبق أن أنقذ حياتك..

- حبيبتك التي تودّ الزواج منها ..

و كان لديك متسع بسيارتك لراكب واحد فقط .. فأيهم ستقله معك ؟)

يمكنك بالطبع أن تقلّ السيدة العجوز لأنها لا تستطيع المشي ، و ربما من الأفضل إنقاذها أولا.. تستطيع أن تأخذ صديقك القديم لأنه قد سبق وأنقذ حياتك، وقد تكون هذه هي الفرصة المناسبة لرد الجميل .. لكن ماذا عن حبيبتك التي تود الزواج منها؟

اختلفت الإجابات بين المتقدمين على الوظيفة بين هذه الخيارات الثلاثة و منهم من رفض الإجابة بحجة أن الثلاثة يستحقون بنفس الدرجة .. لكن كان هنالك شخص واحد فقط من بين **200** شخص تقدموا للالتحاق بالوظيفة ، أجاب عن هذا السؤال بطريقة مذهلة و خارج الصندوق ، و كانت الإجابة الوحيدة

الصحيحة التي لا غبار عليها .. و كان جوابه :

(سأعطي مفاتيح السيارة لصديقي القديم وأطلب منه توصيل السيدة العجوز إلى بيتها فيما سأبقى أنا لحماية حبيبتي و تغطيتها بملابسي من الأمطار بانتظار الحافلة !)

② الفتاة و الحصاة:

قديماً وفي إحدى قرى الهند الصغيرة، كان هناك تاجر بسيط تورّط باقتراض مبلغ كبير من المال من أحد المرابين في القرية دون أن يتمكن من تسديده في الوقت المناسب .. أعجب المرابي بابنة المزارع الفاتنة، لذا عرض على المزارع عرضاً مفاده أنه سيعفي المزارع من القرض إذا زوجه ابنته .. ارتاع المزارع وابنته من هذا العرض و رفضاه مباشرةً ، وعندئذٍ اقترح المرابي الماكر على المزارع و ابنته أنا يدعا القدر يقرر هذا الأمر، فأخبرهما بأنه سيضع حصاتين واحدة سوداء و الأخرى بيضاء في كيس النقود، و على الفتاة التقاط إحدى الحصاتين .. فإذا التقطت الحصاة السوداء ، تصبح زوجته و يتنازل عن قرض أبيها .. أما إذا التقطت الحصاة البيضاء، لا تتزوجه و يتنازل عن قرض أبيها أيضاً.. أما إذا رفضت التقاط أي حصاة منهما ، سيسجن والدها وفق حكم القانون ، وافق الأب مجبراً بعد أن رجته ابنته أن يفعل ، و بينما كان الناس

واقفين على ممر مفروش بالحصى في أرض المزارع، و النقاش ملتهب بينهم ، انحنى المرابي ليلتقط حصاتين من الأرض ، فانتبهت الفتاة حادة البصر أنّ الرجل التقط حصاتين سوداوين و وضعهما في الكيس ثم طلب من الفتاة التقاط حصاة منه و هو متيقن بأنها ستلتقط حصاة سوداء في الحالتين .. فكانت أمام الفتاة الاحتمالات التالية :

- سترفض الفتاة التقاط الحصاة ..
- تخبر الفتاة الجميع بوجود حصاتين سوداوين في كيس النقود و بأنّ المرابي رجل غشاش ..
- تلتقط الفتاة الحصاة السوداء وتضحي بنفسها لتنقذ أباها من الدين والسجن..

لكنّ الفتاة الذكية كان لديها حل رابع التقطته من خارج الصندوق ، حيث أدخلت يدها في كيس النقود وسحبت منه حصاة و قبل أن تفتح يدها و تنظر إلى لون الحصاة تظاهرت بأنها تعثرت و أسقطت الحصاة من يدها في الممر المملوء بالحصى و ضاعت بينها ، و بذلك أصبح لا يمكن الجزم بلون الحصاة التي التقطتها الفتاة التي قالت ببراءة :

(يا لي من حمقاء لقد أضعت حصاتي التي التقطتها، و لكن لا مشكلة في ذلك ، نستطيع النظر في الكيس و

تحري لون الحصاة الأخرى فيه وعندئذٍ نعرف لون الحصاة التي التقطتها)

و بما أن الحصاة المتبقية سوداء، كان المفترض أنها التقطت الحصاة البيضاء، لم يكن أمام المرابي خيار سوى القبول بذلك فهو لا يستطيع فضح خطته الخبيثة ! و بذلك سقط الدين عن والدها و أنقذت نفسها بدورها من المرابي الخبيث ..

③ الرجل و القرض البنكي:

يحكى أن رجل أعمال ذهب إلى بنك في مدينة نيويورك وطلب مبلغ **5000** دولار كقرض من البنك لأنه يريد السفر إلى أوروبا لقضاء بعض الأعمال.. وافق البنك لكنه طلب من رجل الأعمال ضمانات لكي يعيد المبلغ، لم يتردد الرجل و سلم مفتاح سيارة الرولزرويز الفخمة إلى البنك كضمان مالي، فقام رجل الأمن في البنك بفحص السيارة وأوراقها الثبوتية و وجدها سليمة، و بهذا قبل البنك سيارة الرولزرويز كضمان.. و قد

ضحك رئيس البنك و العاملون كثيراً على هذا الرجل الغريب و سخروا من تصرفاته الغبية هذه ، فهو ثري كما تبين لهم ، كما أنّ سيارته الرولزرويز التي ضمنها تقدر بقيمة **250** ألف دولار مقابل مبلغ مستدان و قدره **5000** دولار.. !! بكل الأحوال قام أحد العاملين بإيقاف السيارة في مواقف البنك السفلية ..

بعد أسبوعين، عاد رجل الأعمال من سفره وتوجه إلى البنك وقام بتسليم مبلغ **5000** دولار مع فوائد بقيمة **15** دولار .. سأله مدير الإعارات في البنك بفضول و دهشة :

(سيدي، نحن سعداء جداً بتعاملك معنا، ولكننا مستغربين أشد الاستغراب، فقد بحثنا في معاملاتك و حساباتك و وجدناك من أصحاب الملايين ! فكيف تستعير مبلغاً و قدره 5000 دولار وأنت لست بحاجة إليه ثم ترهن سيارة فخمة مقابله ؟!)

رد الرجل وهو يبتسم:

(و هل هناك مكان في مدينة نيويورك الواسعة أستطيع فيه إيقاف سيارتي الرولزرويز بأجرة 15 دولار دون أن أجدها مسروقة بعد مجيئي من سفري؟)

و هذا بالضبط هو تعريف التفكير خارج الصندوق !!

④ العقدة الغوردية :

هي أسطورة تتعلق **بالإسكندر الأكبر المقدوني** ، ففي فترة من الزمان كان أهل **فريجيا** بلا ملك شرعي .. فتنبأت عرافة في **تلميسوس** (عاصمة فريجيا القديمة) أن الرجل القادم الذي سيدخل المدينة راكباً عربة يجرها ثور سيصبح الملك القادم .. كان هذا الرجل هو الفلاح الفقير **غورديـاس** الذي دخل المدينة على عربة يجرها ثور بالفعل فأعلنه الكهنة ملكاً .. وعرفاناً بذلك قام ابنه **ميداس** بتقديم العربة إلى الإله الفريجي **سبازيوس** (الذي يقابله عند الإغريق زيوس) وقام بربط العربة بعقده لا يبرز منها أي طرف حبل بحيث بدت مستحيلة الفكّ ..

كانت هذه العربة لا تزال موجودة في قصر أحد ملوك فريجيا القدماء حين دخلها الإسكندر الأكبر في القرن 4 قبل الميلاد، حيث تم إخبار الإسكندر عن سر العقدة و أنه ما من أحد تمكن من فكها ، فنظر إليها بتمعن و اكتشف بأنها بلا طرف أي أنها مستحيلة الفك ، فأخرج سيفه ببساطة و ضرب العقدة بنصله فانفكت و ابتسم .. و يقال أن العرافة كانت قد تنبأت أيضاً أن من يفك هذه العقدة سيغزو آسيا.. و قد قام الإسكندر بالفعل بغزوها حتى وصل إلى نهري جيحون و السند..
فالإسكندر الأكبر كان أول شخص يفكر بطريقة غير تقليدية و لم ينهمك في إيجاد حلول غير موجودة بالأساس ، ففك العقدة بالسيف ببساطة ..

⑤ جسور كونيغسبرغ السبعة :

هي مسألة تاريخية مشهورة في الرياضيات.. حيث تقع مدينة كونيغسبيرغ في روسيا حالياً على طرفي نهر

بريغيل و ضمنه جزيرتان كبيرتان ترتبطان مع البر الرئيسي بواسطة **7** جسور.. و المسألة تنص على إيجاد مسار ضمن المدينة بحيث يتم العبور على كل جسر مرة واحدة فقط بشكل متواصل .. لم يتمكن أحد من حلّ هذه المسألة لسنين طوال حتى عام **1736** حيث أثبت **ليونهارد أويلر** عدم وجود حلّ لهذه المسألة متبعاً طريقة الرؤوس و الأضلاع الخارجة عن المألوف.. و قد أدت هذه الطريقة لاحقاً إلى إنشاء علم المخططات وتطور أفكار الطوبولوجيا ككل ..

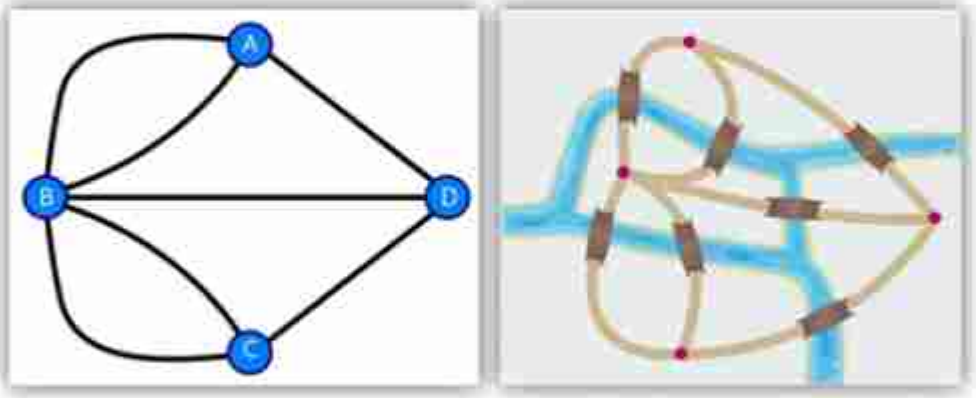

④ الشاحنة و الجسر :

في ولاية كنتاكي الأمريكيّة، و تحت جسر قليل الارتفاع ، انحشرت سيّارة شحن و لم يتمكّن السائق من تحريكها بعد انحشارها، لذا تمَّ استدعاء الشركة الهندسية المنشئة للجسر لإيجاد حل، و بعد التباحث كان أفضل الحلول فكّ طرفي الجسر ثم رفع القطعة المتوسّطة من الجسر وسحب الشاحنة أما الخيار الآخر

فهو نشر الشاحنة و عطبها ، لكنَّ بائع صحف بالجوار كان شاهداً على الحادثة أخذ يضحك بصوت عالٍ ، فالتفت الجميع إليه بدهشة ليقول لهم بعدها بصوت بارد :

(قوموا بتفريغ الهواء من عجلات الشاحنة إلى أن تنخفض فيمكن عندها سحبها من تحت الجسر)

فرجل بسيط فكر خارج الصندوق ليحل مشكلة عويصة حيرت الخبراء !!

④ عبوات فارغة :

عانت شركة صابون يابانيّة من شكوى عملائها أنَّ بعض علب الصابون كانت تصلهم فارغة مما يعني وجود عطب ما بالآلة يجعلها تتجاوز تعليب بعض قطع الصابون، اقترح المهندسون جهاز ليزريّ لكشف العبوات الفارغة قبل إرسالها للبيع لكن تكاليف الجهاز كانت باهظة للغاية ، كما أنّ الحلّ الآخر بتعيين موظفين لفحص كل عبوة مكلف أكثر ، إلّا أنَّ أحد العمّال خرج

بفكرة عبقرية للغاية من خارج الصندوق حرفياً ، و ذلك بوضع مروحة كبيرة باتّجاه عبوات الصابون ممّا يؤدّي لطيران العبوات الفارغة منها فقط ! فذهل صاحب الشركة من هذا الحلّ الفعال و غير المكلف ..

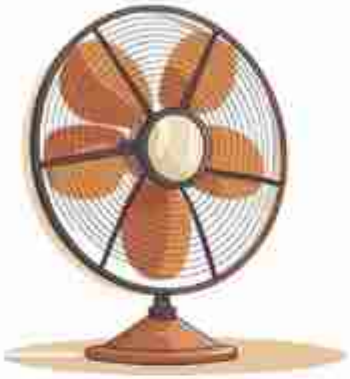

و كما ترى عزيزي القارئ من هذه الأمثلة أنّ التفكير خارج الصندوق حقيقة مثبتة بالأدلة و منجاة لنا من مآزق و ربما مهالك ، عندما نفكر بحلول خلاقة غير اعتيادية تحيل خسائرنا إلى انتصارات و مظلوميتنا إلى عدل و مشاكلنا إلى حلول بسيطة بلمح البصر ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**التفكير خارج الصندوق**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= التفكير خارج الصندوق مصطلح غوغائي لا معنى له ، فلا شيء هناك خارج الصندوق ، و كل شيء يمكن اكتشافه موجود في الصندوق و قد اكتشفناه بالفعل ..

بل أن نقول :

= و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ، فما هو كائن خارج الصندوق أكثر بكثير مما هو معروف في داخله ، و لا يمكننا بلوغه و اكتشاف الجديد و المثير إلا بالشجاعة و الجرأة و القفز من الصندوق و زيارة العالم المحيط به عبر التفكير الخلاق و غير التقليدي ..

و ألا نقول :

= هذه مشكلة بلا حل .. سأعلن الاستسلام ..

بل أن نقول :

= إن كانت جميع الحلول داخل الصندوق غير مجدية ، عليّ إذن أن أفكر خارج الصندوق فثمة كم هائل من الأفكار الجديدة التي تحل مشكلتي عندما أفكر بطريقة مختلفة و أنبذ المسلّمات و أطلق لخيالي العنان ..

في ذات يوم و في جامعة كوبنهاجن بالدنمارك، و خلال امتحان مادة الفيزياء كان أحد الأسئلة كالتالي:

(كيف تحدد ارتفاع ناطحة سحاب باستخدام جهاز قياس الضغط الجوي البارومتر؟)

والإجابة الصحيحة كانت بديهية وهي قياس الفرق بين الضغط الجوي على الأرض، وأعلى ناطحة السحاب،

لكنّ إجابة أحد الطلبة كانت مستفزة لأستاذ الفيزياء لدرجة أنه أعطاه صفراً دون إتمام إصلاح بقية الأجوبة و أوصى برسوبه لعدم قدرته المطلقة على النجاح، وكانت إجابة الطالب كالتالي:

(أربط البارومتر بحبل طويل وأدليه من أعلى الناطحة؛ حتى يمس الأرض، ثم أقيس طول الخيط)

قدم الطالب تظلماً لإدارة الجامعة مؤكداً أنّ إجابته صحيحة مائة في المائة، وحسب قانون الجامعة تم تعيين خبير للبت في القضية، و أفاد تقرير الخبير أن إجابة الطالب صحيحة لكنها لا تدل على معرفته بمادة الفيزياء و قرر إعطاء الطالب فرصة أخرى و إعادة الامتحان شفهيًا وطرح عليه الخبير نفس السؤال ثانيةً، ففكر الطالب قليلاً ثم قال:

- لدي إجابات كثيرة لقياس ارتفاع الناطحة ولا أدري أيها أختار؟

فقال له الخبير:

- هات كل ما عندك

فأجاب الطالب:

- يمكن إلقاء البارومتر من أعلى الناطحة، ويقاس الزمن الذي يستغرقه حتى يصل إلى الأرض؛ وبالتالي يمكن معرفة ارتفاع الناطحة بحسبة بسيطة ، أو يمكن

قياس طول ظل البارومتر وطول الناطحة فنعرف طول الناطحة من قانون التناسب بين الطولين و بين الظلين، وإذا أردنا أسرع الحلول فإنّ أفضل طريقة هي أن نقدم البارومتر هدية لحارس الناطحة على أن يعلمنا بطولها، أما إذا أردنا تعقيد الأمور فسنحسب ارتفاع الناطحة بواسطة الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وأعلى الناطحة باستخدام البارومتر..

كان الخبير ينتظر الإجابة الأخيرة التي تدل على فهم الطالب لمادة الفيزياء، بينما الطالب يعتبرها الإجابة الأسوأ نظراً لصعوبتها وتعقيدها في حين حلّ ذلك التلميذ رباط خيل خياله و تركه يعدو في كل الاتجاهات و يقفز خارج صندوق المألوف و البديهي .. و هذا الطالب هو (**نيلز بور**) و هو الدنماركي الوحيد الذي حاز جائزة نوبل للفيزياء.. و أعتبره شخصياً رفقة **أينشتاين و تسلا و جاوس** أكثر **4** عقول تفكر خارج الصندوق في التاريخ ..

لطالما اهتم البشر عامة و العلماء خاصة بالتفكير بمحتوى كوننا العزيز و كشف أسراره الدفينة ، لكنّ أعظم مثال في الكون عن التفكير خارج الصندوق هو الكون بحد ذاته .. أي التفكير خارج حدود الصندوق الكوني (الكون الأصغر) أو العالم الافتراضي الذي نعيشه ثم اكتشاف الجنان العظيمة المنتشرة في (الكون الأكبر) خارجه بعوالمها الافتراضية التي لا تنتهي .. فلا تضع أفقاً لخيالك على الإطلاق و اسرح به إلى أبعد مدى تريده ، فما سمي الخيال خيالاً إلا لأنه كالخيل يقفز فوق المسلمات إلى خارج الصندوق و يأتيك بالحلول الخلاقة التي لم تخطر ببالك من قبل !!

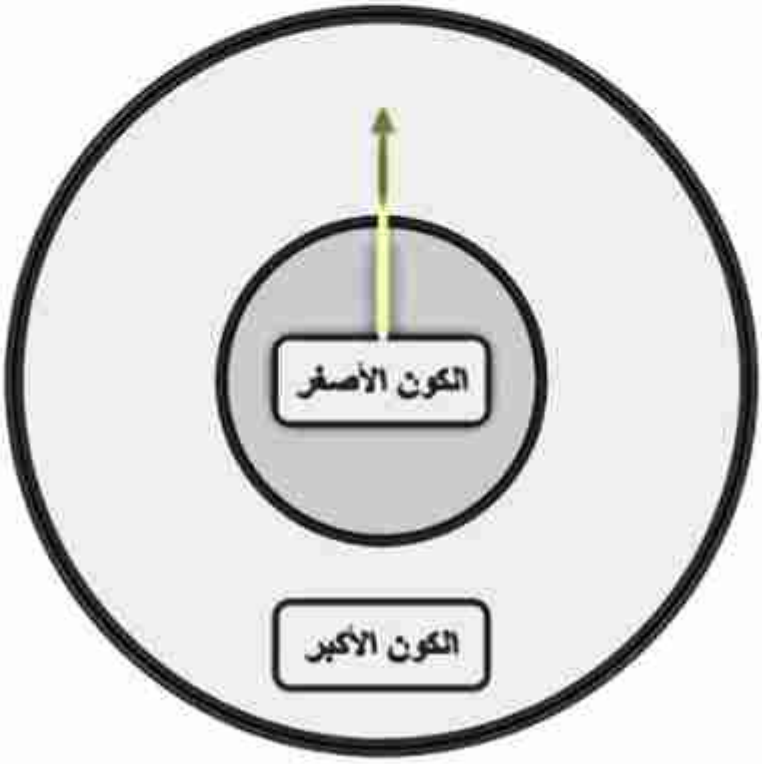

مخالطة العلاقة السامّة

(وند دراكولا)

= ما أخبارك يا صديقي ؟ لماذا يبدو عليك التعب و الإرهاق ؟

= من العمل يا صديقي ..

= لكنّ عملك ليس شاقاً إلى هذه الدرجة كما أعلم !!

= أعلم .. المشكلة ليست بطبيعة العمل بل بطبيعة الموظفين ..

= لم أفهم !

= إنه زميلي في العمل ..

= ما خطبه ..

= يتعامل معي و كأنني عبد بين يديه ، فيتهكم عليّ و يملي عليّ طلباته و كأنها أوامر .. كما أنه يزعزع كثيراً ثقتي بنفسي و يشعرني بمشاعر سلبية حول شخصيتي و شكلي ..

= أعتقد أنني كطبيب فهمت مشكلتك بدقة ..

= حقاً ! ما هي ؟!

= إنك في علاقة سامة يا صديقي ..

= علاقة سامة ؟!

= أجل .. أي علاقة يُشعر فيها أحد الطرفين الطرف الآخر بالدونية و النقص هي علاقة سامة يعوّض فيها الطرف الآخر عن نقص حقيقي يشعر به ..

= أي أنها مشكلة نفسية بالأساس ..!

= تماماً ، و في الطب النفسي ندعو هذه الشخصية السامة (دراكولا) .. لأنها تمتص طاقة و سعادة الطرف الآخر و تدمر حياته كما يمتص دراكولا دماء ضحاياه بالضبط حتى ينهي حياتهم ..

= حسبت دراكولا شخصية خيالية ، لكن يبدو أنه يعيش بيننا بصورة أشخاص سامين ..

= بالفعل ، و في الحقيقة أن دراكولا شخصية حقيقية على أرض الواقع عاشت في القرن **15** ..

= حقاً ؟!

= بالطبع و كان اسمها الحقيقي **فلاد الثالث** الذي تولى حكم **رومانيا** و اعتبره الرومانيون بطلاً قومياً أنقذ أوروبا من الغزو العثماني، بينما نظر إليه البعض على أنه مجرم أنهى حياة أكثر من **100** ألف شخص دون

رحمة أو شفقة .. و قد حكم رومانيا لفترات متقطعة امتدت إجمالاً حوالي **7** سنوات ، ولُقب بدراكولا، لانضمامه لما يُسمى **بعصبة التنين** ، التي كانت اتحاداً سرياً ضم مجموعة من أمراء و نبلاء أوروبا الوسطى و الشرقية للوقوف ضد المدّ العثماني، ويعني اسم دراكولا باللاتيني (**ابن التنين**) ، أما في الرومانية الحديثة فتعني (**ابن الشيطان**) .. و قد اشتهر باسم فلاد المخوزق لأنه كان يعتمد الخازوق كوسيلة لقتل ضحاياه ، كما كان يخلط دماءهم بالخمر و يستلذ بشربه !!

= معلومات غريبة !!

= أجل هي كذلك ، و بالعودة إلى موضوعنا الأساسي بعلاقتك السامة مع زميلك ، فعليك انهاؤها بأسرع وقت و إلا تطورت حالتك الراهنة من مجرد قلق و تعب و اكتئاب إلى عزلة اجتماعية و خراب حياتك الشخصية و المهنية أو ما هو أسوأ من ذلك ؟

= و هل هنالك ما هو أسوأ من هذا ؟!

= بالطبع ، هنالك بشر كثر انتحروا جرّاء العلاقات السامة لأنهم أهملوا أنفسهم ..

= انتحار !! أمر مخيف ، و كيف أخرج من هذه العلاقة السامة إذن ؟

= الشخص السام يميل إلى التلاعب النفسي بالطرف الآخر و تحريكه كرجل الدمى بخيوط وهمية ، لذا عليك

قطع هذه الخيوط بنفسك ..

= و كيف ذلك ؟

= يلقب دراكولا بالأساطير (**الرجل الذي لا يموت**) لأن دماء الآخرين تحافظ على شبابه و خلوده ، لكن بحسب الأسطورة أيضاً هنالك طريقتان لقتل دراكولا ..

= و هما ؟

= نور الشمس لذلك يميل دراكولا إلى الحياة في الليل فقط أما الطريقة الفعالة الأخرى فهي طعن قلبه بوتد خشبي ..

= و كيف يكون إسقاط ذلك على العلاقات السامة ؟!

= بالوقوف في وجه الشخص السامّ و وضع حد لتماديه معك وذلك بالكلام الحاسم و الموقف الحازم ، و عليك أن تعود إلى حيويتك لتشرق شمسك بطاقة و نور جديدين فهذا كفيل بزرع وتد خشبي في قلب الطرف السامّ من العلاقة (دراكولا) يقضي على علاقته السامة إلى الأبد ..

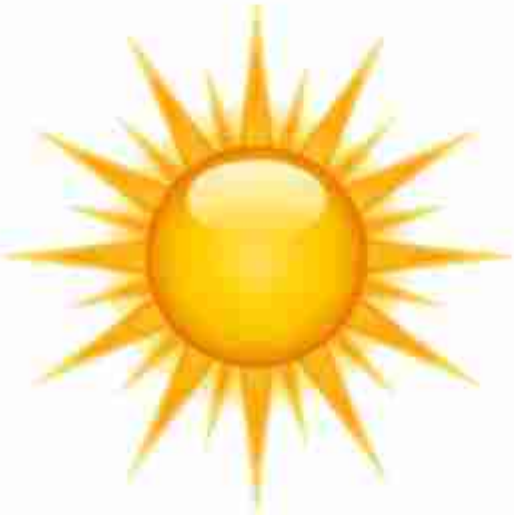

= و نعم الرأي .. هذا ما أنا مقدم على فعله دون تأخير أو تردد ..

*****

الشخص السامّ يخنق ضحيته كالوردة التي يتم قطع الماء و الهواء عنها فتذبل رويداً رويداً حتى تموت بالنهاية .. و الأسوأ أن ضحيته المسمومة تتعلق به أكثر كلما خنقها أكثر ليصبح إفلاتها من براثنه بحاجة لمعجزة حقيقية ..

فهل العلاقة السامة قدر لا مهرب منه ، أي كطريق باتجاه وحيد نحو الهاوية بلا إمكانية للرجوع أم أنّ هذا مجرد مغالطة جديدة ؟!

إنّ جوابنا الوجيز المبدئي على هذا السؤال هو :

(العلاقة السامة مصيدة شائكة ، كمتاهة يدخلها الإنسان بلا إرادته غالباً ليصبح الخروج منها مهمة شاقة تحتاج منه الإرادة القوية و العزيمة الهائلة و اتباع بروتوكول معين حاسم و حازم)

تعال عزيزي القارئ نوضح جوابنا بدقة أكثر عبر تحليل مغالطتنا من **5** زوايا هامة للغاية :

① تعريف العلاقة السامة ..

② أنواع العلاقات السامة ..

③ كيف تعرف أنك في علاقة سامة ؟..

④ أطراف العلاقة السامة ..

⑤ عواقب العلاقة السامة ..

⑥ كيف تخرج نفسك من علاقة سامة ؟ ..

❁ تعريف العلاقة السامة :

عندما تجد أنَّك في علاقة تمتص طاقتك و حيويتك، و تجعلك شخصاً مهموماً و كئيباً و سوداوياً، و تفقدك متعة الحياة و بهجتها، و تُشعِرك بأنَّك تبتعد عن ذاتك الحقيقية وتتبنى مفاهيم و قناعات الطرف الآخر (بغضِّ النظر عن تقاربها أو تعارضها مع قناعاتك) تبنياً كاملاً، و تؤثر سلباً على كلٍّ من عملك وصحتك الجسدية و النفسية و كلِّ تفاصيل حياتك الشخصية و تقلل من تقديرك الذاتي لنفسك شكلاً و مضموناً و تشعرك بالذنب باستمرار ، فإنَّك بلا شكّ عالق في فخّ علاقة مؤذية أو سامة و لم تسمّ هذه العلاقة سامة إلا لكونها ذات تأثير قاتل كالسموم على صحتك النفسية و ربما الجسدية و على حياتك الشخصية و المهنية ككل

❁ أنواع العلاقات السامة :

◉ **العلاقة المسيطرة** : و هي العلاقة التي يفرض فيها أحد طرفيها كلمته على الطرف الآخر و يمنعه من التعبير عن نفسه ، أي أنها علاقة عبودية بمعنى آخر ..

◉ **الغيرة المرضية** : و نجدها بكثرة في العلاقات العاطفية كحال المتزوجين ..

◉ **الشك المرضي** : و هي علاقة يرتاب أحد طرفيها بالآخر و يساوره الشك في أي كلام أو أفعال تصدر عنه و يفسره بطريقة سيئة تنطوي على مؤامرة ..

◉ **الشكوى المفرطة** : و فيها يحول أحد الطرفين حياة الطرف الآخر إلى كابوس من الكآبة بسبب شكواه المستمرة من كل شيء في حياته ..

◉ **اللوم الزائد** : و فيها يزعزع أحد الطرفين ثقة الطرف الآخر بنفسه بتحميله اللوم الدائم في كل الأخطاء التي تحدث فيخلق لديه عقدة ذنب قاتلة !

◉ **العنف** : و فيها يتنمر أحد الطرفين على الآخر لفظياً أو جسدياً و يعنفه باستمرار و هو النوع الوحيد من العلاقات السامة الذي يلحق بالطرف المسموم أذى جسدي إضافةً إلى الأذى النفسي ..

◉ **الكذب المفرط** : و فيها يميل أحد الطرفين إلى التستر عن أخطائه و عيوبه باختلاق الأكاذيب المستمرة بدون توقف ، حتى تضيع الثقة تماماً بين

الطرفين و يفقد الطرف المسموم التوجه العاطفي في العلاقة و لا يعرف كيف يديرها بحكمة و توازن ..

◉ **النرجسية** : العلاقة السامة الأخطر ، و فيها يميل الطرف النرجسي إلى تحقير الطرف الآخر و إحساسه بالدونية و النقص ، و بأنه محظوظ للغاية لأنه جزء من هذه العلاقة ، و هذا نوع من أنواع اضطرابات الشخصية .. و هي علاقة منهكة نفسياً تشعر الطرف المسموم و كأنه حبيس هذه العلاقة و لا يعرف كيف يتحرر منها ، لأن الطرف السام يميل دوماً إلى التمسكن و تغيير طباعه عندما يشعر بنية الطرف المسموم بإنهاء العلاقة حتى يقنعه بالعودة إليها ليحكم الخناق عليه مجدداً ، و استمدت هذه العلاقة اسمها من نبات النرجس في الطبيعة الذي يقتل كل النباتات من حوله كي ينفرد بالغذاء من التربة ، و هذا حال الشخصية النرجسية ، تدمر المحيط بها نفسياً كي تشعر بالتميز و التفوق الوهمي عليها ..

❁ كيف تعرف أنك في علاقة سامة ؟

إذا شعرت بإحدى الصفات التالية فاشتبه بقوة بأنك متورط بعلاقة سامة :

① تقدّم أكثر مما تأخذ، وتشعر بأنك مستغَل ..

② تشعر بتدني الثقة بالنفس ..

③ تشعر بأنك غير متفهَّم من الآخر و غير مدعوم أو تشعر بالتهديد بشكل مستمر منه..

④ تشعر بانعدام الطاقة أو بالغضب الشديد بشكل متكرر عند التواجد أو الحديث مع الطرف الآخر..

⑤ لا تستطيع أن تأخذ حريتك وراحتك خلال وجودك مع الطرف الآخر، وقد يصبح همّك الأكبر تجنب المشاكل معه فقط ..

⑥ تبذل الكثير من الوقت والجهد في محاولة إسعاد الطرف الآخر على حساب سعادتك و راحتك الذاتية ..

⑦ تشعر بأنك دائما مخطئ ومُلام دون سبب واضح، حتى لو كان الخطأ من الطرف الآخر، وتشعر بنهاية كل حوار أن اللوم يقع عليك ..

❁ أطراف العلاقة السامة :

غالباً ما نجد العلاقة السامة بين الأطراف التالية :

◉ **العلاقات الأسرية** : بالتحكم بمصير الأبناء أو استغلالهم عاطفياً أو إلغاء القرارات الذاتية لديهم أو تحميلهم ذنب أي مشكلة تحدث في المنزل ..

◉ **العلاقات العاطفية** : كحال الأزواج مثلاً و تشيع هنا الغيرة و الشك و الشكوى و العنف ..

◉ **علاقات العمل** : بين الزملاء أو بين الرئيس و المرؤوس ..

◉ **العلاقات الاجتماعية** : بين الأصدقاء أو بين الأعداء أيضاً ..

❁ عواقب العلاقة السامة :

تصل العلاقة السامة بالطرف المسموم في النهاية إلى اضطرابات جسدية و نفسية مزمنة و خطيرة كالتعب و القلق و الخوف و الاكتئاب و ضعف الثقة بالنفس و الانعزال الاجتماعي و تدهور الحياة الشخصية و المهنية و ربما انتهى به المطاف إلى الانتحار !! لذا فهي موضوع حساس و خطير للغاية يقلب الحياة **180** درجة نحو الأسوأ ، لذا عليك عزيزي القارئ أن تخرج نفسك بأي طريقة من أي علاقة سامة تمتص طاقاتك كدراكولا و تدمر نجاحاتك و تدفن سعادتك .. كالطلاق أو الابتعاد عن المعارف السامين أو التمرد على العائلة

السامة ، فإن كان الله قد أوصاك ألا تقول لوالديك أفٍّ ، فإنه أوصاهما قبل ذلك باحترامك و حمايتك و البحث عن سعادتك ، فإن قصرا هما في واجباتهما ، سقطت عنك واجباتك شرعاً ..

❁ كيف تخرج نفسك من علاقة سامة :

عليك اتباع البروتوكول الخماسي التالي للخروج من العلاقة السامة :

① **أن تعي جيداً أنك في علاقة سامة :** فتشخيص المشكلة أو خطوات الحلّ ..

② **غادر العلاقة على الفور إن كان ذلك ممكناً :** فإن كنت متزوجاً طلّق ، و إن كنت في علاقة اجتماعية فاقطعها ، و إن كنت في علاقة مهنية حاول تغيير مكان عملك إن أمكن ..

③ **في حال كانت العلاقة السامة مفروضة عليك** : لا تسلم مفاتيح سعادتك و شخصيتك للطرف السام من العلاقة ببساطة بدافع القلق أو الخوف ، بل احتفظ بقرارك الذاتي و لا تنصع لرغباته و تعلم قول (لا) في وجهه عندما يكون على خطأ ، و حافظ على حيويتك و تألقك لأن قوته من ضعفك و قوتك تضعفه ..

④ **في حال أوصلك الطرف السام إلى مراحل متقدمة و مزمنة من الألم و الضياع** : الجأ للطب النفسي و لا تهمل نفسك ، فالعلاج المعرفي السلوكي و/أو الدوائي يساعدك على النهوض مجدداً على قدميك بأسرع وقت كي تتعافى من آثار العلاقة السامة عليك ..

⑤ **استعن بالأصدقاء الحقيقيين الذين يرفعون همتك و يقدرون قيمتك** : ففضفضة المشاعر للناس المناسبين تريح النفس ، و الاستماع لنصائحهم تنير الدرب و تشعرك بأن لديك سند حقيقي تتكئ عليه في محنتك.

و كما تلاحظ عزيزي القارئ العلاقة السامة ليست مجرد علاقة عابرة أو علاقة عشوائية يمكنك تخطيها بسهولة ، بل فخ حقيقي كمصيدة تطحنك حرفياً فتنهكك نفسياً و جسدياً و تتلاعب بمشاعرك ، لذا عليك وأدها في مهدها قبل أن تئدك هي في النهاية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**العلاقة السامة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا متعلق بالطرف الثاني و لا يمكنني التخلي عنه رغم الكم الهائل من التعب و الألم الذي يسببه لي ..

بل أن نقول :

= إن مجرد كلامك هذا دليل دامغ على أنك في علاقة سامة ، و هذه العلاقة لا يمكن إطلاقاً أن تنتهي على خير ، فإما أن تغادرها بإرادة قوية و تقطع الحبال التي تحركك أو أن ينتهي بك المآل تنحدر نحو الهاوية من تعب و قلق إلى ألم نفسي ثم عزلة اجتماعية و بعدها تدهور الحياة الشخصية و المهنية حتى ينتهي بك الأمر بالانتحار حرفياً .. لذا قل (لا) بعلو الصوت و بلا تردد قبل فوات الأوان ..

أبلغ توصيف للعلاقة السامة في هذه الحياة بأنها عبارة

عن **ثقب دودي** له مدخل عبارة عن **ثقب اسود** له أفق حدث غير مرئي كمصيدة للآخرين ، ما إن تتجاوزه حتى تقع في الفخ فيجذبك بقوة إلى غياهب ظلماته لتتوه فيها و يتلقفك الضياع النفسي و الفكري و يتوقف الزمن عندك في مكانه فلا تتقدم بالحياة و لا تعيشها ، و تعزف عن العمل و الإنجاز فتبقى حرفياً في مكانك إن لم ينقلب الزمن بك و تراجعت حياتك للوراء .. ولا أمل لك بالخروج منه إلا عبر **ثقب أبيض** من الجهة المقابلة (يسمى ذلك علمياً جسور أينشتاين روزين) ، لكن المضي قدماً في ظلمات الثقب إلى المخرج عبر جسر النجاة هذا بحاجة لإرادة هائلة و إصرار فولاذي .. عدا ذلك فمصيرك التوهان في الظلام إلى الأبد و توقف حياتك مكانها .. لذا اقطع الحبال التي يتلاعب بك الطرف السامّ نفسياً من خلالها بأسرع وقت و تحرر من عبوديته و ظلمه و قيوده ..

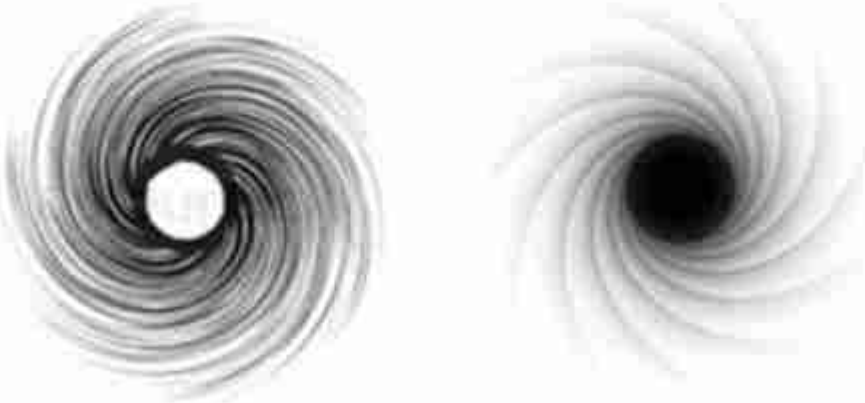

مغالطة البارانويا

(نظريات المؤامرة)

= ما آخر الأخبار على هاتفك يا صديقي ؟

= لا يزال ترند **معاداة السامية** متصدراً الصفحات بعد التفجير الإرهابي الأخير ..

= أنا أسمع كثيراً عن هذا المصطلح دون أن أعرف معناه بدقة ، فما هو بالضبط ؟

= معاداة السامية مصطلح ابتدعه اليهود كنوع من الاحتجاج على الإساءة لديانتهم و النظر إليهم كمجموعة عرقية أو إثنية بغيضة أو ذات طبيعة أدنى من غيرها من إثنيات المجتمع .. و هذه الإساءة يتم التعبير عنها بصورة تصريحات أو أفلام أو رسوم كاريكاتورية أو أعمال إرهابية أو غيرها ..

= فهمت ، لكن ما معنى سامية ؟

= السامية تعني الشعوب المنحدرين من نسل سام ابن النبي نوح ، و قد تغير هذا المصطلح عبر الزمن ، ففي

العصور الوسطى لأوروبا ، كان يُعتقد أن جميع الشعوب الآسيوية هم من نسل سام .. لكن بحلول القرن **19** بات مصطلح السامية مقتصراً على المجموعات العرقية التي تحدّثت تاريخياً لغاتٍ سامية أو لها أصول في الهلال الخصيب كاليهود و الآشوريين و الآراميين و الفينيقيين و غيرهم ..

= و هل حقاً يتم النظر إلى اليهود بهذه الطريقة المسيئة أم أنها مجرد نظرية من نظريات المؤامرة كغيرها ؟!

= في الحقيقة اليهود كغيرهم من إثنيات الأرض مظلومة من جوانب و ظالمة من جوانب أخرى ، مما يجعلها عرضة لنظريات المؤامرة من الجهتين ..

= لم أفهم ؟

= مثلاً ظلم اليهود أمر واقع في التاريخ ، حيث اضطهدهم البابليون و السلوقيون و الرومان ثم لاحقاً الأوروبيون خاصة روسيا و إسبانيا و ألمانيا النازية (**الهولوكوست الشهير**) و صفحات التاريخ تعجّ بالمجازر بحقّ اليهود التي لا يمكن انكارها ..

= إذاً فمعاداة السامية حقيقة ؟!

= ليس تماماً .. فمقابل ظلم الآخرين لليهود تاريخياً نجد ظلمهم للآخرين أيضاً ، مثل اضطهادهم للفلسطينيين اليوم ، كما نجد نظريات مؤامرة كثيرة ضدهم حول العالم كحال **الماسونية** و محاولتها

السيطرة على العالم ، و سيطرة اليهود على نظام المصارف العالمي عن طريق **عائلة روتشيلد** الشهيرة و على نظام الاحتياطي الفدرالي الأمريكي و يزعم كثيرون أنهم يسيطرون أيضاً على هوليوود و على عالم وسائل الاتصالات للدعاية لأهدافهم ..

= و هذه أمور لها ما يبررها بلا شك ..

= تماماً ، مما يجعل اليهود موضوعاً دسماً لنظريات المؤامرة معهم أو ضدهم .. لكن الأكيد في الموضوع أن فكرة معاداة السامية هي فكرة غير منطقية لأنها تحتكر نسل سام لليهود ، في حين أن هنالك إثنيات

كثيرة غيرهم ينحدرون من نسله دون أن ننسى بأنّ انتسابك لأي نسل لا يمنحك أي ميزة سواء كنت يهودياً أو عربياً أو فارسياً أو أوروبياً أو صينياً أو غيره ، بل أفعالك فقط من تحدد قيمتك ..

= و هل نظريات المؤامرة حقيقية أم مؤامرة وهمية لا أكثر ؟

= هذا موضوع فرعي واسع للغاية ، تعال لأحدثك أكثر عنه يا صديقي ..

*****

كثيراً ما يرد مصطلح نظرية المؤامرة أمامنا لوصف ظاهرة ما كحقيقة بدون وجود أدلة عليها ، فهل هذا المصطلح حقيقي بمعنى أن تلك مؤامرات وهمية ، أم أنه مغالطة جديدة تنضم لقبيلة مغالطاتنا لتحمل عنوان :

(**مغالطة البارانويا**) ؟!

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية عبر مقاربة مغالطتنا من **4** زوايا غاية في الأهمية :

① **مصطلحا نظرية المؤامرة و البارانويا ..**

② **نظيرة العملة المعدنية ..**

③ **نظرية المؤامرة و الدين ..**

④ **أمثلة عن أشهر نظريات المؤامرة حول العالم ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نحلل هذه النقاط بالترتيب علّنا نصل إلى نتيجة مرضية ، فأنا مرتاب للغاية من صحة مغالطتنا هذه !

❁ مصطلحا البارانويا و نظرية المؤامرة :

◉ **البارانويا** (**جنون الارتياب**) : مصطلح طبي نفسي يعني شكّ الإنسان بالمحيط من حوله من أشخاص أو أحداث مع الاعتقاد الراسخ بأن هذا المحيط يتآمر عليه ..

◉ **نظرية المؤامرة** : مصطلح يشير إلى حدث أو موقف على أنه مؤامرة دون مبرر لذلك ، و غالباً ما تكون المؤامرة في مضمونها عبارة عن أفعال غير قانونية أو مؤذية تنفذها حكومة أو منظمة أو أفراد..

و وفقاً للعالم السياسي الأمريكي **مايكل باركون**، تعتمد نظريات المؤامرة على افتراض أنّ الكون تحكمه **3** مبادئ :

- لا شيء يحدث بالصدفة ..
- لا شيء يكون كما يبدو عليه ..
- كل شيء مرتبط ببعضه..

و تتطور نظريات المؤامرة لاحقاً لتدمج في تفاصيلها

أي دليل يدعم فرضية الشخص المتمسك بها و لو كان افتراضياً أو زائفاً ، حتى تصبح النظرية بذلك غير قابلة للدحض بالنسبة له ، وعليه تصبح نظرية المؤامرة :

(إيمان راسخ بلا أدلة حقيقية)

لقد ورد مصطلح (نظرية المؤامرة) لأول مرة في مقالة اقتصادية نشرت عام **1920**، ولكن جرى تداوله في العالم بشكل رسمي و شائع عام **1960**، وتمت بعد ذلك إضافته إلى قاموس أكسفورد للغات عام **1997** ..

و بشكل عام يمكن القول بأن المؤامرة لها طرفان رئيسيان ، هما المتآمِر (الحكومات عادةً) والمُتآمَر عليه و هو (الشعب عادةً) لإخفاء الحقيقة، وهي كما هو واضح من اسمها مقتبسة من الفعل تآمر والذي يعني صياغة أكاذيب بشكل منظم، **فقد تحدث في المنزل وقد تحدث في العمل وقد تحدث في الدولة وقد تحدث على مستوى عالمي** ، هذا على المستوى المكان ، و على مستوى الزمان أيضاً هي **مصطلح غير محدود نجده متكرراً باستمرار عبر صفحات التاريخ** ..

و غالباً ما يتم تمثيل هذه النظرية **برجل الدمى** الذي يتحكم بدماه عبر خيوط ، فمؤيدو هذه النظرية يؤمنون بأن الحكومات أو بعض الجهات المتنفذة تتحكم

بالشعوب عن بعد بطرق خفية للسيطرة عليها و توجيهها كما تشاء ..

وقد حدد الصحفي الأمريكي **جيسي ووكر** عام **2013** **5** أنواع من نظريات المؤامرة:

- **العدو الخارجي** : شخصيات يُزعم أنها تقوم بالتخطيط ضد مجتمع ما من الخارج ..

مثال : تهديد التنظيمات الإرهابية لدول العالم ..

- **العدو الداخلي** : المتآمرون داخل الأمة ولا يمكن تمييزهم عن المواطنين العاديين ..

مثال : الجماعات الانفصالية حول العالم ..

- **العدو الأعلى** : وهم أشخاص أقوياء يتلاعبون بالأحداث من أجل مكاسبهم الخاصة..

مثال : عائلات ثرية تتحكم باقتصاد الكوكب ..

- **العدو الأدنى** : الطبقات الأدنى تعمل على قلب النظام الاجتماعي ..

مثال : نشوء الماركسية و انتشارها ..

● **المؤامرات الخيّرة** : هي قوى ملائكية تعمل خلف الكواليس لتحسين العالم ومساعدة الناس..

و لا أمثلة عنها لأنها تعمل خلف الكواليس كما يفترض

❁ نظرية العملة المعدنية :

نظرية المؤامرة تأخذ شكل العملة المعدنية بالضبط فهي ذات وجهين ، وجه يؤكدها متسلحاً بأدلة حقيقية لم تأتِ من فراغ و وجه ينفيها متسلحاً بأدلة تحمل نفس الصفات ، مما يجعلها من أكثر النظريات ديمومة كونها بقطبين كالدارة الكهربائية لذا فتيار حديث الناس عنها لن يتوقف ..

مثال :

نظرية المؤامرة القائلة بوجود فضائيين في المنطقة **51** في أمريكا ، فلا يوجد أي دليل ملموس دامغ حتى

اليوم على وجود الفضائيين بالأساس ، لكن السرية المحيطة بتلك المنطقة إضافةً إلى شهادات كثير من المواطنين لا يمكن إنكارها بالمطلق لتبقى نظرية المؤامرة هذه حية و مستمرة !!

❁ نظرية المؤامرة و الدين :

لقد ذكر البارئ بوضوح فكرة المؤامرة في الذكر الحكيم بقوله :

(يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون)

و هذا أكبر شكل من أشكال المؤامرة و هو تآمر بعض الناس على الله نفسه على نحوٍ غريب مثير للشفقة كي يطمسوا نوره ، و الله يطمئن المؤمنين بأنه متم نوره مهما فعل البعض بشكل منطقي و بديهي .. و هو ليس

نظرية كغيره بل واقع حقيقي يتبعه كارهو الأديان في كل زمان و مكان لتوهين النزعة الروحانية عند الآخرين و دفعهم للإلحاد أولاً ثم إلى الفجور باحتقار الأخلاق و المبادئ السامية لاحقاً ..

و في قصص الأنبياء كم هائل من أشكال المؤامرة كتآمر إخوة و يوسف و زوجة العزيز عليه و تآمر فرعون على موسى و تآمر اليهود على المسيح و تآمر قريش على نبي الرحمة و غيرها .. و هذه القصص الكثيرة ربما زرعت في عقول أتباع الديانات بشكل غير مباشر و في اللاوعي و عبر الزمن فكرة تآمر بعضهم على بعض فنجد المسيحي يشك بالمسلم الذي يشك باليهودي و هكذا .. و الحقيقة يعتبر الدين من أهم مولدات نظرية المؤامرة حول العالم ، لأن قصص الأنبياء تلك تعزز بناء إنسان يميل للمظلومية باستمرار و يشعر بالبارانويا تجاه الآخرين عامة و المختلفين عنه دينياً على وجه الخصوص كحال فوبيا الإسلام و معاداة السامية و غيرها ..

❁ أمثلة عن أشهر نظريات المؤامرة حول العالم :

① مؤامرة الأعلام المزيفة :

و هي عمليات سرية تقوم بها الحكومات و المؤسسات والمنظمات بشكل سري بحيث يظهر و كأنّ من قام بها

هي جهة أخرى .. و قد تم التحقق من بعض هذه العمليات أما البعض الأخر ما زال يلفه الغموض..
فمثلاً في عام **1933** تم اتهام الشيوعيين بحرق البرلمان الألماني مما استغله النازيون الألمان للقضاء على الشيوعيين .. لكن في عام **2001** أثبت **4** مؤرخون ألمان أنّ النازيين هم من قام بالعملية كجزء من خطة علم مزيفة ، و هناك البعض الذين ما زالوا يشككون بهذه الفرضية ..

و من أشهر عمليات العلم المزيف نذكر:

◉ **تفجيرات المباني الروسية عام 1999 :**

تم اتهام الشيشانيين بالقيام بالعملية لكن نظرية المؤامرة تتهم المخابرات الروسية بالقيام بها مما أشعل حرب الشيشان الثانية..

◉ **أحداث 11 سبتمبر 2001 :**

نظرية المؤامرة هنا تحلل هجمات **11** سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية أنها إما عمليات سُمّح بحدوثها من قبل مسؤولين في الإدارة الأمريكية أو أنها عمليات منسقة من قبل عناصر لا صلة لها بالقاعدة بل أفراد في الحكومة الأمريكية أو بلد اخر.. و هنالك مبررات لهذا الشك من قبيل توقع روايات و برامج تلفزيونية سابقة بوقوعها أو بسبب طريقة تفجّر

البرجين بتصاعد طبقي عكس المنطق أو بسبب الاستثمار الواسع لهذه الهجمات لاحقاً في غزو بلدان أخرى ..

◉ تفجيرات اسبانيا عام **2004** :

حدثت هذه التفجيرات في محطة قطارات في العاصمة مدريد إسبانيا ، و يعرفها الإسبان بلقب **M 11** ..
التحقيقات القضائية الإسبانية لاحقاً أثبتت من جهتها أنّ المنفذين لهذه التفجيرات كانوا من خلية استوحت فكرها من جماعة القاعدة الإرهابية .. لكنّ نظرية المؤامرة تقول بتورط أفراد من قوات الأمن و المخابرات الوطنية الإسبانية بالتفجيرات..

② مؤامرة الزواحف البشرية :

اتهم مؤلف هذه المؤامرة **ديفيد إيكي** العديد من

الشخصيات السياسية اليهودية بأنهم من الزواحف المتحولين و يدّعي أنّ عائلة روتشيلد اليهودية جزء من سلالة من الزواحف البشرية التي تسيطر سراً على العالم .. و في نفس السياق يشير البعض من الجماعات اليمينية المتطرفة إلى أن العرق اليهودي قد يكون نشأ من الهندسة الوراثية لكائنات فضائية شريرة تشارك في صراع بين النجوم ..!! و هذه بالطبع نظرية مؤامرة واضحة للغاية ..

③ مؤامرة يسوع و الكتاب المقدس:

تفترض نظريات مؤامرة الكتاب المقدس أنّ أجزاءً كبيرة من العهد الجديد خاطئة أو محذوفة.. ويُقال إن مجموعات دينية حقيقية (مثل **الفاتيكان**) ومزيفة (مثل **أخوية سيون**) تقوم بقمع المعلومات ذات الصلة فيما يتعلق بمواضيع دينية كحال الكأس المقدسة و كفن

تورينو غيرها .. و أنّ الكتاب المقدس كان يتضمن توضيحاً لها .. و تصاعدت شعبية نظرية المؤامرة هذه من خلال كتاب بعنوان (**الدم المقدس والكأس المقدسة**) صدر عام **1982** ، والذي ادعى أن يسوع ومريم المجدلية كانا متزوجين و أنّ ذريتهما و أحفادهما كانوا مختبئين سراً في أوروبا بعد وفاة يسوع، و قد ادعى الرسام الفرنسي **بيير بلانتارد** أنه من سلالة و نسل يسوع .. ثم أصبحت شعبية هذه النظرية في الذروة بعد نشر الرواية الشهيرة (**شيفرة دا فينشي**) للكاتب **دان براون** في عام **2003**

④ مؤامرة الحرب على الإسلام :

يؤمن بهذه النظرية عدد كبير من المسلمين الذين يعتقدون بوجود جهات خارجية تسعى لإلحاق الضرر بالنظام الاجتماعي داخل الإسلام أو القضاء عليه.. و

يُزعم أن مرتكبي هذه المؤامرة هم غير مسلمين أو مسلمين مزيفين يقومون بالتواطؤ مع الجهات الفاعلة السياسية في العالم الغربي ، غالباً ما تستخدم هذه النظرية للإشارة إلى المشكلات والتغيرات الاجتماعية الإسلامية الحديثة، ولكن البعض يشير إلى الحروب الصليبية كنقطة انطلاق لها .. و تصاعدت شعبية هذه النظرية عقب أحداث **11** أيلول و غزو العراق و أفغانستان مع انتشار ظاهرة (فوبيا الإسلام) حول العالم ..

⑤ مؤامرة التمييز العنصري :

انتشرت في الولايات المتحدة في أواسط القرن الماضي ، و مفادها أن الأميركيين الأفارقة هم ضحايا الإبادة الجماعية التي فرضها الأمريكيون من ألوان بشرة أخرى .. وقد وصف **مؤتمر الحقوق المدنية** رسمياً عمليات الإعدام من دون محاكمة والتمييز العنصري بأنها إبادة جماعية في عام **1951**.. وتحدث مالكوم **X** أيضاً عن الإبادة الجماعية للأفارقة في أوائل عقد **1960** ، و وصف التمويل العام لحبوب منع الحمل المركبة و لعمليات الإجهاض أيضاً بأنها إبادة جماعية في مؤتمر انعقد عام **1967** .. و اليوم لا يزال هنالك كثير من الأمريكيين الأفارقة يعتقدون بأن الأمريكيين من ألوان بشرة أخرى يسعون للتوسع الديموغرافي

على حسابهم لتهديد وجودهم ..

بالمقابل نجد نظرية مؤامرة مشابهة في الاتجاه الآخر و تتحدث عن الإبادة الجماعية للبيض و تقول بأنّ الهجرة و الإندماج و انخفاض معدلات الخصوبة والإجهاض يجري الترويج لها في البلدان ذات الغالبية البيضاء من أجل تحويل الأشخاص البيض إلى أقلية أو التسبب في انقراضهم ، وعلى سبيل المثال، وجدت دراسة أجريت عام **2017** في فرنسا من قبل **المعهد الفرنسي للرأي العام**، أنّ **48 %** من المشاركين يعتقدون دون دليل أنّ النخب السياسية والإعلامية في البلاد تتآمر لاستبدال البيض بالمهاجرين الأفارقة و غيرهم ..

⑥ مؤامرة بيتزا غيت:

هي فضيحة انتشرت بشكل واسع عام **2016** و

تتلخص قصتها في أنّ **مطعم كوميت بينغ بونغ** في العاصمة واشنطن ، هو عبارة عن واجهة لعصابة تستغلّ الأطفال جنسياً و تروّج لعبادة الشيطان ، وتديرها عصابة من الديمقراطيين بمن في ذلك المرشحة الرئاسية السابقة **هيلاري كلينتون** بالإضافة إلى ضلوع مجموعة من الممثلين من أمثال **توم هانكس** ، وقد نشر الممثل **اسحق كابي** على موقعه على صفحات التواصل الاجتماعي فيديو هات كثيرة تذكر بالأسماء كثيراً من المتورطين و أكد على صحة هذه النظرية قبل أن يموت في ظروف غامضة للغاية !!

⑦ مؤامرة الهبوط على القمر :

فأنصار هذه النصرية يستشهدون بصورة ناسا التي

نشرتها عن هبوط الأمريكيين على القمر و التي يظهر فيها علم بلادهم يرفرف علماً أن القمر لا يمتلك غلافاً جوياً و بالتالي ما من رياح على سطحه ، و من جهة أخرى إن كان بمقدور البشر الهبوط على القمر بهذه السهولة فلماذا لم تتكرر التجربة لاحقاً مع تقدم العلوم و التكنولوجيا الفضائية !!؟

⑧ مؤامرة المنطقة 51 :

تقول النظرية بأن هذه المنقطة الموجودة في صحراء نيفادا الأمريكية تحوي فضائيين بالفعل و يجري عليهم العلماء تجارب مختلفة ، و قد شهد مواطنون كثر برؤية أطباق طائرة في سماء تلك المنطقة ، كما أنه

يحظر على أي إنسان الاقتراب منها أو دخولها !!

⑨ مؤامرة عائلة سيمبسون :

تقول هذه المؤامرة بأن برنامج عائلة سيمبسون الأمريكي مسيطر عليه من قبل الحكومة الأمريكية و يتم تمرير رسائل خاصة و تنبؤات غامضة عبر حلقاته و التي تحقق قسم كبير منها بالفعل لاحقاً !!

⑩ مؤامرة أحجار على رقعة الشطرنج :

أما هذه المؤامرة فتزعم بأنّ هنالك جهات خاصة عالمية تتحكم بمصير كوكب الأرض فتثير الحروب متى شاءت كي تبيع الأسلحة أو كي تغير التوزع الديموغرافي للشعوب أو بغية تقسيم الدول ، كما تتلاعب باقتصاد الكوكب كما يحلو لها ، و تنشر الأوبئة و الأمراض بغية تصفية البشر للوصول إلى حلم المليار الذهبي و من ثم بيع اللقاحات المعدة مسبقاً ، بل إنها تتلاعب بالمناخ فتحرض حدوث زلازل و براكين و أعاصير كحال **مشروع هارب** الشهير مثلاً ، بمعنى أن العالم أمامها كرقعة شطرنج و الدول و الأفراد عبارة عن قطع تحركها أيدٍ خفية كما تشاء.

⑪ مؤامرة موت هتلر :

يفترض أنصار هذه النظرية بأن الزعيم النازي أدولف هتلر لم يمت في الحرب العالمية الثانية كما يشاع ، بل

هو على قيد الحياة و يعيش في الأرجنتين و البعض يقول أنه يقيم في مكان ما من القطب الجنوبي !!

و كما تلاحظ عزيزي القارئ فالقسم الأكبر من نظريات المؤامرة هذه ذو صبغة دينية كما تحدثنا من قبل !!

و لن أبدي رأيي في نظريات المؤامرة السابقة ، بل أدعك عزيزي القارئ تقرر ما تشاء بعقلك النير الذي أؤمن به ، فتوافق على ما يقبله و ترفض ما يستهجنه.

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**البارانويا**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا متأكد من وجود مؤامرة خلف هذه الحادثة ، أو أنا أنفي تماماً وجود مؤامرة خلف حادثة أخرى ..

بل أن نقول :

= المؤامرة في الحياة شيء موجود بلا شك ، لكن علينا ألا نحول كل حادثة إلى نظرية مؤامرة .. و بنفس الوقت علينا ألا ننفي تماماً وجود مؤامرة بطريقة ما تقف خلف جزئيات بعض الحوادث .. و الأنسب أن نحتكم للعقل و الأدلة و البراهين لتفسير أي حادثة أو ظاهرة تحدث في العالم تجنباً للافتراء أو التبرئة العبثية

من الخطير في دول كثيرة من العالم أن تتحول نظريات المؤامرة إلى شمّاعة تعلّق عليها الحكومات أو الشعوب إخفاقاتها .. فنجد مثلاً الفساد مستشرٍ في بعض الدول بتورط حكومي و شعبوي في حدوث ذلك ، ثم ببساطة يحمّلون جهات عالمية خارجية مسؤولية تدهور أوضاعهم بدلاً من تصويب أخطائهم الذاتية ..

و لعلّ أفضل من وصف نظرية المؤامرة في شعره هو الشاعر العبقري **المتنبي** بقوله :

نعيب زماننا و العيب فينا

و ما لزماننا عيبٌ سوانا

و نهجوا ذا الزمان بغير ذنبٍ

و لو نطق الزمان لنا هجانا

حيث يشير إلى نظرية مؤامرة عالمية يهاجم فيها كثير من البشر الزمان أو القدر على مصائبهم أو تخلّفهم ، في حين يكون العيب الوحيد كامناً في هؤلاء البشر أنفسهم بتقصيرهم أو لامبالاتهم أو إنكارهم لعيوبهم ، أما الزمن فبريء تماماً من نظرية المؤامرة الشمولية هذه !!

مغالطة الصدفة

(السماء لا تلعب بالنرد)

= أتعرف من خطر في بالي في هذه اللحظة ؟

= من ؟

= زميل الدراسة هاني ..

= هاني ! ما الذي جعلك تتذكره ؟ إننا لم نلتقِ به منذ **15** سنة !!

= صحيح ، لا أدري لماذا ؟! فقد اقتحمت صورته مخيلتي عنوةً و فجأةً دون سبب ..!

بعد أمتار قليلة و مع انعطاف الصديقين عند نهاية الشارع يظهر أمامهما زميلهما هاني الذي كانا يتحدثان عنه ..

= يا إله العرش .. هذا مستحيل ..

= أهلاً بزملاء الدراسة .. يا لها من مناسبة سعيدة ..

= أهلاً هاني !!!

= و ما هو هذا المستحيل ؟

= هل تصدق أننا كنا نتكلم عنك منذ ثوانٍ ..

= حقاً ! بخصوص ماذا ؟

= لا شيء ، لقد خطرت على بالي فجأة دون سبب لأراك أمامي بعد لحظات !!

= يا محاسن الصدف ..

= صدفة أم ترتيب إلهي ؟

= أنا أراه لقاءً وليد الصدفة أو الحظ ..

= أنا أراه لقاءً بمشيئة إلهية .. و أنت يا هاني ؟

= أفضل تسميته إيحاءً سماوياً أو (إلهاماً ربانياً) ..

*****

من الأرجح أنك عزيزي القارئ قد مررت بمثل هذه التجربة أو ما كان على شاكلتها و لو لمرة واحدة على الأقل في حياتك .. عندما تقف مذهولاً أمام حادثة غريبة و نادرة يعجز عقلك عن تفسيرها ، فيردها البعض إلى الحظ و يدعونها صدفة ، في حين يردها البعض الآخر إلى السماء فيدعونها قدراً أو مشيئة إلهية ، و في كلتي الحالتين لا تتمكن من معرفة الآلية الدقيقة بالضبط التي جرت تلك الحادثة الغريبة من خلالها .. و هذا ما سنحاول خلال الصفحات التالية أن نفسره سواءً من منظور علمي أو ديني أو من وجهة نظر شخصية لنفهم أكثر هل تسمية مثل هكذا حوادث (صدف) هو مغالطة شائعة بين الناس أم لا ؟ ، و في حال كانت مغالطة فما هو التوصيف الدقيق الصائب لهذه الحوادث .. فهيا بنا لمقاربة مستهل مغالطات الكتاب و هي (**الصدفة**) عبر **4** زوايا هامة ثم نختمها بذكر مجموعة حوادث عجيبة و مذهلة من صفحات التاريخ ستدهشك بلا أدنى شك، إذ يقف العلم و المنطق مكتوفي الأيدي في تفسير أيٍّ منها ..

❁ **أولاً ، الزاوية العبثية** : و هي الزاوية التي يصف بها الإنسان غير المؤمن بوجود إله خالق للكون الصدفة بأنها حادثة غريبة نادرة وقعت بلا تخطيط مسبق و بدون غايات منطقية لاحقة .. أي أنها حادثة عبثية بالمجمل .. و هذا رأي يُحترم لكنه من منظور ديني و شخصي إيماني غير صحيح و بسيط لا يبذل فيه الإنسان أي جهد لتفسير تلك الحوادث ، بل يقبلها كيفما أتت دون تفكير ..

❁ **ثانياً ، الزاوية العلمية** : و سننطلق في مناقشتها من مقولة شهيرة لأحد ألمع نجوم العلم في التاريخ (**ألبرت أينشتاين**) تنصّ على ..

((**السماء لا تلعب بالنرد**))

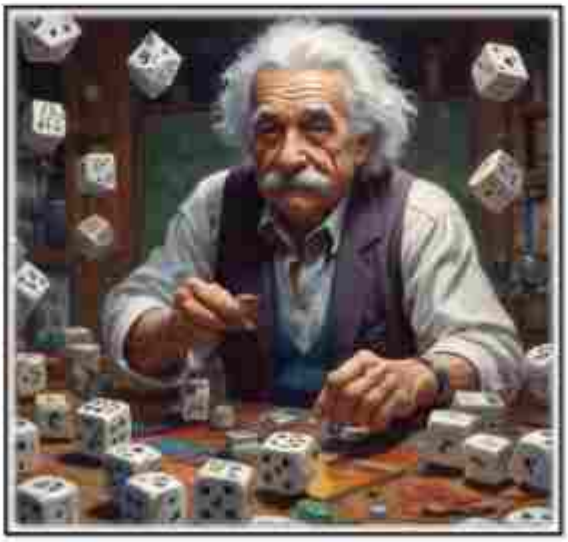

و في هذه المقولة إيمان و قناعة من أينشتاين أن ما من شيء يجري في هذا الكون هو وليد الصدفة .. بل لكل شيء تفسير

منطقي و علمي بحكمة من الإله ..

في الحقيقة إنّ أشهر محاولتين علميتين لتفسير مفهوم الصدفة كانتا في **مطلع القرن العشرين** على الشكل التالي :

= نظرية عالم البيولوجيا **بول كاميرر** في كتابه (**قانون السلاسل**) التي تعتمد على تكرار الأحداث في الحياة و المجتمع و تفترض أن هناك قوى خفية تحكم حركة موجات الأحداث تلك ، و ما يظهر لنا هو **قمم تلك الموجات** فقط على هيئة صدف أما مسبباتها العلمية فتقبع في القاع دون أن نتمكن من إدراكها منطقياً ..

= نظرية عالم النفس الشهير **كارل جوستاف يونج** في كتابه (**التزامن**) ، و التي تفترض أن عدد الأحداث ذات المصادفات الغريبة في حياتنا هو أكبر من عدد احتمالات حدوثها الرياضية ، مما يجزم أن هناك عاملاً إضافياً يشرح ظاهرة الصُدف دعاه بالتزامن أو التخاطر .. و ليس الموضوع مجرد احتمالات رياضية فحسب من وجهة نظره ..

و في كلتي هاتين النظريتين نجد أن بول و كارل ردّا الصدفة إلى سبب علمي مجهول عجزا عن إدراكه بدقة و لا يخلو من لمسة غيبية سماوية مما يقودنا إلى الزاوية الثالثة

من مقاربتنا (الصدفة في عين السماء) ..

❁ **ثالثاً ، الزاوية الدينية** : و سننطلق في مقاربتها

بدورها من آيتين في القرآن الكريم تتحدثان عن نفس المفهوم و هو القدر أو كتاب الحياة المكتوب مسبقاً و الذي نقوم بتلاوته لا أكثر خلال حياتنا بأفعالنا المبرمجة مسبقاً ..

الآية الأولى :

(ثم جئت على قدرٍ يا موسى)

و هنا يخاطب الله نبيه موسى مبيناً له أن لقاءه بربه على الجبل هو قدر مكتوب و ليس مجرد صدفة عبثية ..

و الآية الثانية :

(و لو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي

الله أمراً كان مفعولاً)

و بنفس المضمون يبين الله أن ما يجري في حياتنا هو أمر مسبق مخطط له نقوم بتنفيذه لا أكثر .. تماماً كحال صديقنا هاني في مطلع مغالطتنا .. فلو أن هؤلاء الأصدقاء الثلاثة اتفقوا على اللقاء مسبقاً لتأخر أحدهم على الأقل عنه ، لكن اللقاء تم بتقدير إلهي في وقته بالضبط .. أي أنه ليس محض صدفة على الإطلاق ، بل تدبير سماوي لا يشق له غبار ..

و كخلاصة لهاتين الآيتين و عشرات الآيات المشابهة لهما في المضمون من الذكر الحكيم ، فإنّ الله يوضح بشكل نهائي بأنّ لا وجود للصدف العبثية في حيواتنا ، بل كلها مخطط لها **مسبقاً** و لغايات خاصة **لاحقة** .. لكننا هنا نصطدم مجدداً بحائط عدم تفسير آلية حدوث ما ندعوه (صدفة) في الحياة .. صحيح أن كلاً من العلم و الدين أكدا أنها ليست حوادث عبثية قائمة على الاحتمال الرياضي فحسب .. لكنهما لم يفسرا كيفية وقوعها مما يفجّر العقل حيرةً و ذهولاً .. لماذا فكر الصديق بزميل الدراسة هاني على حين غرّة قبل لقائه به بثوانٍ معدودة ؟ لماذا نفتح هاتفنا أحياناً في تاريخ **24** من شهر شباط **2** مثلاً في عام **2024** لنجد أن الساعة هي **20:24** و غيرها من الصدف المدهشة بلا تفسير منطقي لها ؟!! هذا يقودنا إلى الزاوية الرابعة و الأخيرة من مقاربتنا و هي محاولة

شخصية لتفسير جوهر المصادفات يحتمل الصواب أو الخطأ بالطبع لكنه على أقل تقدير يطرح تفسيراً مقبولاً و معقولاً لهذه الظواهر المدهشة ..

❁ **رابعاً ، الزاوية الشخصية** : بعد بحث مطول و محاكمة عقلية حثيثة وجدتُ أن موضوع (الصدفة) يمكن تفسيره عبر اتحاد نظريتين معاً :

- **نظرية (الراوتر السماوي)** : و تفترض هذه النظرية وجود مصدر مطلق للأفكار في مكان ما من هذا الكون الفسيح أو ربما خارجه ، يرسلها باتجاه الأرض فيستقبل كل إنسان بعضها تبعاً لمستقبلات خاصة في دماغه بحسب تكوينه البيولوجي و التي تختلف من شخص لآخر كنوح من الوحي السماوي أو الإلهام الرباني ، فهذا المصدر مشابه تماماً لآلية عمل جهاز الراوتر الذي يطلق الموجات لتستقبلها أجهزة حاسوب أو جوال خاصة دون غيرها .. هذه النظرية تفسر على سبيل المثال لماذا انبثقت أفكار كثير من الاكتشافات من أدمغة العلماء فجأة دون سابق إنذار ، الأمر الذي يصفه الأديب الشهير **مارك توين** خطأ بأنه صدفة بقوله

(إنّ أعظم مكتشف في التاريخ هو الصدفة)

فرغم أن هذه المقولة صحيحة من جهة أن أغلب الاكتشافات

و الاختراعات عبر الزمن تمت دون تخطيط مسبق لها ، إلا أنها خاطئة من جهة وسمها بصفة العبثية المطلقة و الحظ ..

و هذه النظرية تفسر أيضاً لماذا اخترقت حيز تفكير صديقنا في مستهل المغالطة صورة زميله هاني دون مقدمات قبل لقائه بلحظات .. كما تفسر جميع أشكال (المصادفات الأخرى) ..

● **نظرية (الصورة الممزقة)** : و تفترض هذه النظرية بدورها أنَ البشرية جمعاء عبارة عن لوحة فنية معقدة مرسومة بأنامل القدر الإلهية ثم مزقت إلى مليارات القطع الصغيرة في بدء الخليقة ، كل منا يمثل قطعة منها .. و ليست الحياة على الأرض سوى عودة التحام هذه القطع معاً و بالترتيب الصحيح .. مما يفسر لنا لماذا نلتقي بأشخاص

بعينهم أو تجري معنا مواقف خاصة دون أخرى، فهي ليست سوى التئام للقطع المتجاورة مع بعضها في الصورة الكبرى الشاملة .. ففي مثالنا الأول كان الصديق و زميله هاني عبارة عن قطعتين متجاورتين في الصورة ، و لقاؤهما معاً بعد سنوات هو التحام لقطعتيهما في بعض الأجزاء منهما ..

و ستنتهي الحياة و تقوم الساعة عند التحام آخر قطعتين من تلك الصورة لتعود من جديد كاملةً و واضحة كما كانت قبل الخليقة تروي حكاية البشرية جمعاء من البداية إلى النهاية ..

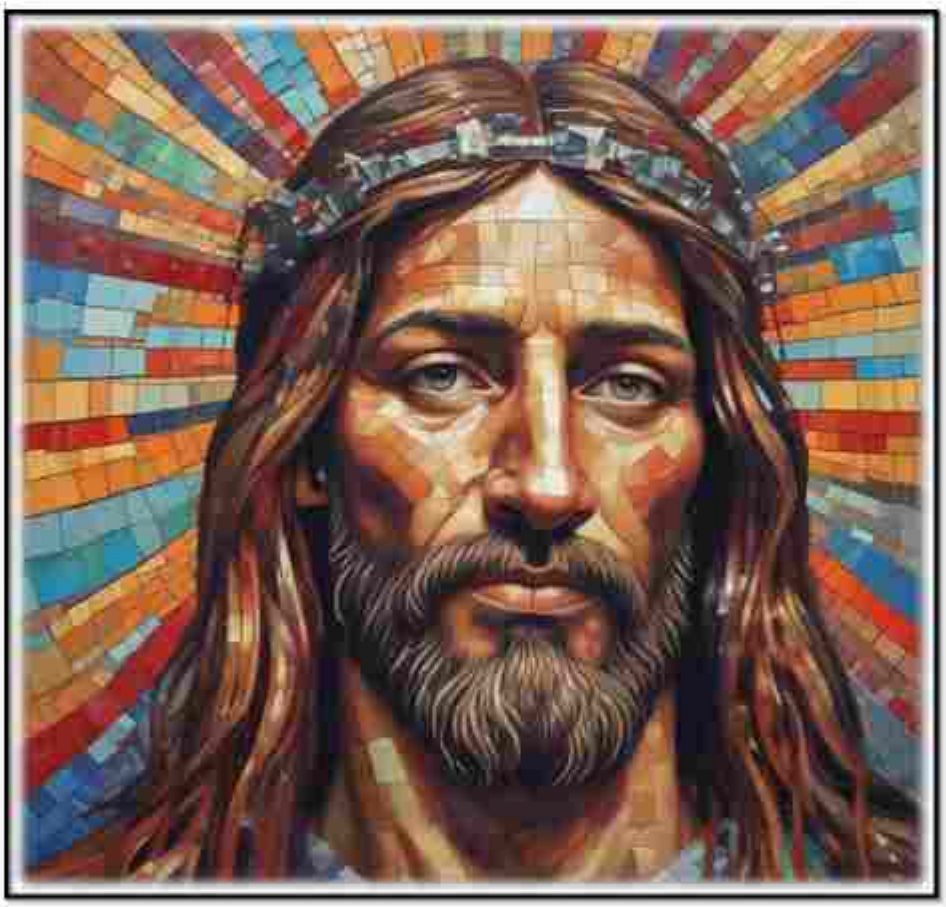

و الله أعلم في كلتي النظريتين و يكفينا شرف المحاولة ..
لكن الشيء المؤكد كخلاصة للزوايا الأربعة السابقة أن الصدف في حياتنا ليست حوادث عبثية و عشوائية و لا تفسر

كاحتمالات رياضية فحسب ، بل أمور مخطط لها مسبقاً بترتيب إلهي لغايات سماوية نبيلة و حكيمة كالعادة .. ففي صراع الاحتمال الرياضي و القدر المكتوب في تفسير الحوادث النادرة الغريبة (الصدف) ينتصر القدر لا محالة ، فهذه الحوادث أغرب و أعقد بسنين ضوئية من وسمها بصفة العبثية أو العشوائية أو الاحتمال الرياضي النادر .. و انطلاقاً من هذه الخلاصة أدعك الآن عزيزي القارئ مع مجموعة من الصدف العجيبة التي حدثت بالفعل في صفحات التاريخ لتستنتج بنفسك منها النتيجة الأخيرة التي توصلنا إليها، فكل حادثة منها تنطق بفصاحة بالحقيقة النهائية بأن القدر يحكم خطواتنا ، أفكارنا ، كلامنا و أفعالنا ..

❶ نجا الياباني **تسوتومو ياماجوتشي** مرتين من قنبلتين ذريتين فجرتهما الولايات المتحدة في السادس والتاسع من أغسطس/آب **1945** بمدينتي **هيروشيما** و **ناغازاكي** اليابانيتين ، الأمر الذي أسفر عن مقتل حوالي **90** ألف شخص ..

وأكدت الحكومة اليابانية عام **2009** أن ياماجوتشي كان موجوداً في كلتي المدينتين أيام التفجيرات ، فقد كان بمدينة هيروشيما في السادس من أغسطس/ آب، في رحلة عمل سائراً على قدميه عندما سمع صوت الطائرة وشاهد سقوط القنبلة و نجا منها بأعجوبة لا تفسر .. و بحلول التاسع من أغسطس/آب، عاد المواطن إلى منزله في ناغازاكي ليكون شاهدا على التفجير للمرة الثانية، ورغم تعرّضه للإشعاع في كلتي الحالتين، عاش حتى سن **93** .. !!!

❷ التم شمل التوأمين **جيم** و هما بعمر **39** عاماً بعد أن فُصلا عن بعضهما البعض بعمر **4** أسابيع، دون أن يعلم أي منهما بوجود الآخر طيلة تلك السنوات ..

أما المذهل في القصة هو أن والدي التوأمين بالتبني أطلقا على كلٍّ منهما اسم (**جيم**) دون معرفتهما بذلك، وتبين لجيم و جيم بعد لقائهما أن كليهما يحب الرياضيات والنجارة و كليهما يعمل في مجال الأمن، والأكثر غرابة أنهما تزوّجا

من امرأتين اسم كل منهما **ليندا** ، كما تزوجا مرة ثانية بعدها من امرأتين تحملان اسم **بيتي** أيضاً !!! .

3 في عام **2001** قامت طفلة بعمر **10** سنوات تُدعى **لورا بوكستون** بالوقوف في باحة منزلها الأمامية في **بلورتون** في **ستافوردشر** وبيدها بالون أحمر، وقد كتبت على بالونها عنوان منزلها مع عبارة (**أرجوك ارجع إلى لورا بوكستون**) ، ثم سمحت للبالون بالانطلاق إلى الأجواء العالية، وبالفعل فلقد انطلق البالون وحلق لمسافة **140** ميلًا تقريبًا قبل أن يستقر وينزل في باحة منزل آخر توجد فيه طفلة أخرى تبلغ **10** سنوات، وكان أسمها هو ... لورا بوكستون، وقد كشفت التحقيقات التي أجريت بعد ذلك أن كلتي الطفلتين كانتا تلبسان أزياء متشابهة ولديهما مقتنيات متشابها إلى حدٍ بعيد.

4 صدق تنبؤ الكاتب الشهير **مارك توين** بموعد وفاته بعد أن توقع أنه سيفارق الحياة في عام ظهور **مُذنّب هالي** بجانب الأرض الذي يتم مرة واحدة كل **76** عاماً ..

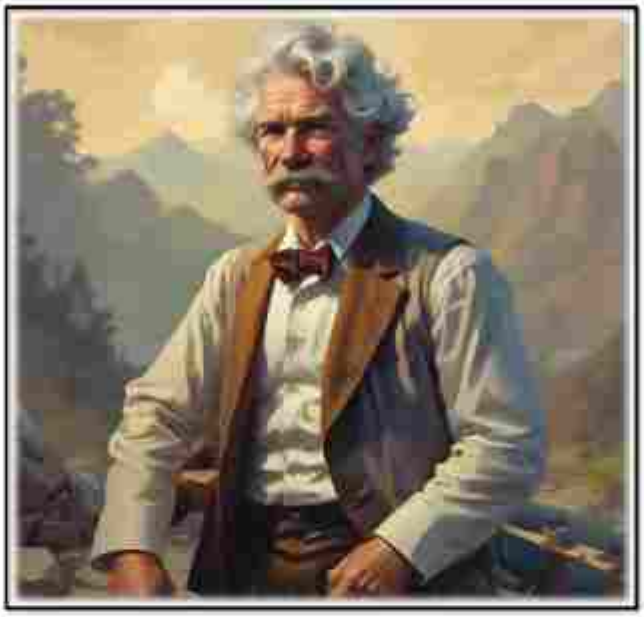

العجيب في الأمر أن مارك توين ولد عام **1835** مع ظهور ذلك المذنب ، وتنبأ عام **1909** بأنه سوف يموت في العام التالي عندما يمر المذنب مرة أخرى بجوار الأرض .. و هذا ما حدث بالفعل ، فقد توفي عام **1910** مع ظهور مذنب هالي للمرة الثانية بعد **76** سنة !!!

5 في عام **1941**، قام علماء الأنثروبولوجيا السوفييت بنبش قبر أثري لأحد حكام تركيا ليجدوا نقشًا عليه يتضمن تحذيراً يقول (**بأن من يتجرأ على نبش القبر سيطلق العنان لغزوٍ هائل على وطنه**) ، بالفعل بعد ثلاثة أيام فقط من نبش القبر غزت ألمانيا النازية الاتحاد السوفييتي بأكثر من أربعة

ملايين جندي .. !!!

6 جمعت العديد من المصادفات بين حياة كل من الرئيسين الأمريكيين الراحلين إبراهام لينكولين وجون كينيدي، ومن بينها سنة الانتخاب للكونغرس، حيث انتخب الأول عام **1846**، في حين انتخب الثاني عام **1946**، وكذلك الحالة بالنسبة لانتخابات الرئاسة، حيث انتخب لينكولين عام **1860**، وانتخب كينيدي عام **1960**..

ومن بين المصادفات الأخرى العديدة بين حياة الرئيسين مقتل كل منهما يوم **الجمعة** برصاصة في رأسه، واغتيل لينكولين في مسرح **فورد**، في حين اغتيل كينيدي في

لينكولين فورد، أيضاً فقد خلف لينكولن **أندرون جونسون** الذي ولد عام **1808** ، وكذلك خلف كينيدي **ليندون جونسون** الذي ولد عام **1908** ..

7 في عام **1835**، حاول شخص يدعى **ريتشارد لورانس** اغتيال رئيس الولايات المتحدة آنذاك **أندرو جاكسون**، لكن لسببٍ ما لم يعمل مسدسه وفشل في إطلاق النار.. تبع ذلك مشاجرة بينهما وأطلق لورانس عليه النار من مسدس آخر، لكنه لم يعمل أيضاً.. مع ذلك، في وقتٍ لاحق عندما تم اختبار كلي المسدسين، عملا بشكلٍ جيد !!!

8 في عام **1975**، قتل مواطن أمريكي في حادث اصطدام دراجته النارية بسيارة أجرة .. بعد عام قام أخوه بإصلاح الدراجة و استخدمها مجدداً ليتعرض لحادث سير آخر في نفس الشارع الذي تم فيه حادث أخيه .. المذهل في

القصة أنه كان حادثاً مع نفس سيارة الأجرة و يقودها نفس السائق كما أنه كان يقل نفس الزبون ، ليموت الأخ أيضاً !!!

9 كان الملحن النمساوي **أرنولد شوينبيرج** مُصابًا **برهاب الديكتروفوبيا** ، وهو الخوف من الرقم **13** طيلة حياته لدرجة أنه أطلق عليه **A.12** بدلًا من **13** ..

عندما بلغ ذلك الملحن **76** عامًا (**7 + 6 = 13**)، مكث في الفراش طوال يوم الجمعة الموافق لتاريخ **13** تموز /

يوليو من عام **1951** حرصاً منه على تجنب أي خطر.. الأمر المذهل بحقّ أنه مات بالفعل قبل منتصف الليل بدقائق قليلة دون سبب واضح! أي أنه مات في تاريخ **13** الذي كان يخشاه طيلة حياته عن عمر **76** عاماً الذي مجموع رقميه هو **13** أيضاً !!

و قائمة الحوادث الغريبة في التاريخ تطول و بحاجة لموسوعات للإحاطة بها ، لكن ما يهمنا بالفعل في مغالطتنا هذه أنه لو تأملنا جيداً كل قصة من هذه القصص لوجدنا أنها تسمو عن كونها مجرد صدف عبثية أو احتمالات رياضية ، بل أن أنامل القدر العبقري تتحكم بها و ترسمها لتنفذ كما كتب في كتاب حيواتنا بالضبط دون تغيير أو تقديم أو تأخير ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الأولى في الكتاب (**الصدفة**) من الأقرب لعقولنا بعد اليوم عزيزي القارئ ألا نقول :

= يا لها من مصادفة !! .. إنها حادثة غريبة جرت بشكلٍ عبثي و عشوائي ..

بل أن نقول :

= الله لا يلعب النرد في كونه الذي خلقه، بل كل تفصيل يجري في حياتنا سواءٌ فسرناه أم عجزنا عن ذلك ، هو مكتوبٌ في لوحٍ محفوظ قبل أن نأتي إلى هذه الحياة و ما نحن سوى ممثلين على مسرح الحياة نؤدي أدوارنا المكتوبة فحسب ، و لعل الأفكار التي تهبط على عقولنا فجأةً دون سابق إنذار ما هي سوى موجات مرسلة من مصدر خاص خارجي تلقفها مستقبلات خاصة في أدمغتنا .. و علاقتنا المميزة بأشخاص أو أشياء بعينها دون أخرى ، ليس إلا إسقاط لعلاقة فريدة تجمعنا كقطع متجاورة من لوحة الحياة الشاملة ..

و في النهاية أدعك عزيزي القارئ مع هذه الآية الكريمة المذهلة تاركاً لعقلك النير متعة محاكمتها و التفكّر بغرابتها و خطورتها ..

(ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم)

مغالطة العقل و الحاسوب

(و فيك انطوى العالم الأكبر)

= يا له (ماهر) من شخص موهوب .. تخيلوا أنه يجيب على ناتج ضرب أرقام كبيرة خلال ثوانٍ فقط ، سبحان الله على عقله .. !!

= و ما المدهش في الموضوع .. الحاسوب يجيبك على ناتج أي شيء آنياً .. سبحان العلم العظيم يا صديقي ..

= و من صنع هذا الحاسوب بالأساس ، أليس عقل الإنسان الذي خلقه الله بالأصل ؟

= ربّ تلميذٍ تغلب على معلمه ..

= إنك تقول هذا لأنك قاصر المعرفة حول إمكانيات العقل الفذّة .. أنصحك باستخدام عقلك للبحث أكثر في هذا المجال و ستغير قناعاتك جذرياً .. أعدك بذلك ..

*****

من وحي هذا النقاش الدائر بين صديقين أحدهما يؤمن بأن العقل البشري معجزة لا شبيه لها ، و الآخر يؤمن بأن الحاسوب يتفوق على العقل بمسافات ضوئية ، تبصر مغالطتنا الجديدة (**العقل و الحاسوب**) النور كي نجيب بشكلٍ كافٍ و وافٍ كما آمل على هذا التساؤل المشروع و الشائع بين الناس :

(أيهما أعظم قدرةً العقل البشري أم قدرة الحاسوب

الذي صنعه هذا العقل ؟!)

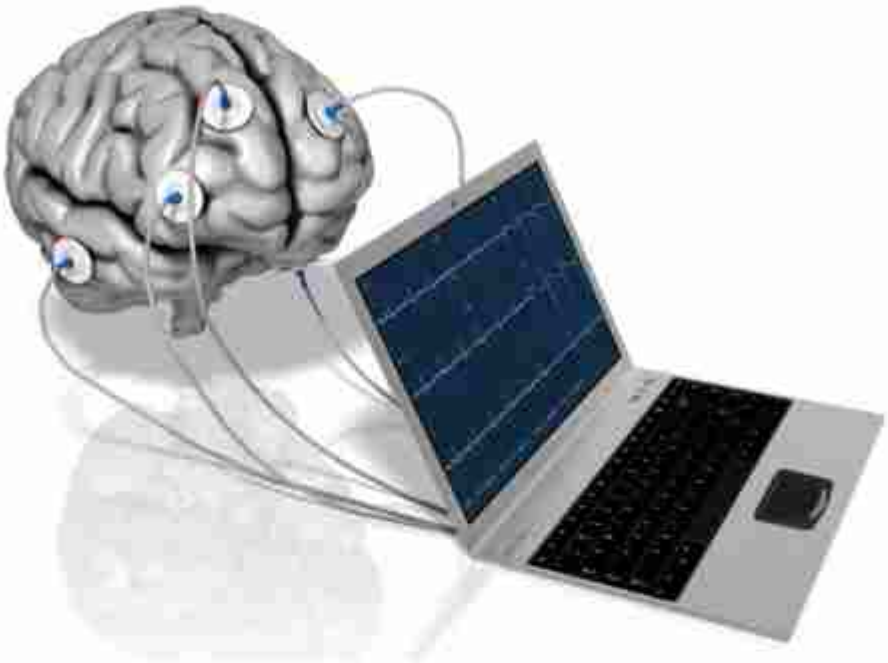

و في سعينا للوصول إلى هذه الإجابة سنقارن بين العقل و الحاسوب من عدة زوايا غاية في الأهمية و بطريقة علمية بحتة و بالأرقام ، فهيا بنا نبحر في محيط هذه المقارنة ..

❁ الحاسوب معروف بتفاصيله الدقيقة و آلية عمله بحذافيرها كونه صناعة بشرية أما الدماغ البشري فأسراره لم تكتشف بعد بكاملها ، بل لم نقترب حتى من ذلك.. فلا تزال هنالك حتى اليوم أجزاء مجهولة الوظيفة بدقة في الدماغ ، ناهيك عن الوظائف الأخرى الجديدة التي تكتشف في الأجزاء المعروفة ، و العلم لا ينفك يذهلنا بكل جديد في هذا المجال يوماً بعد يوم ..

❁ **سعة تخزين** ذاكرة الدماغ لا محدودة بحسب دراسات كثيرة ، و حتى الدراسات التي تجرأت على وضع رقم

تقريبي لها دون إثبات علمي نهائي تذكر أنّ سعة التخزين بالدماغ البشري تعادل **بيتابايت (الرقم 1 متبوعاً بـ15 صفراً)** من البيانات، أو ما يعادل سعة الشبكة العنكبوتية العالمية بأسرها .. و لا يوجد حاسوب في العالم ينافس العقل البشري في ذلك و لو على نطاق ضيق !!

❁ **سرعة معالجة** الدماغ خيالية تعجز أحدث الحواسيب عن مجاراتها تماماً ، و قد ذكرت أحدث الدراسات أن البشر بحاجة لحوالي **75** ألف معالج لمحاكاة سرعة معالجة العقل للمعلومات في الثانية الواحدة ..

❁ **القدرة على دمج المعلومات و الخروج بمعلومات جديدة خلاقة** عبر المحاكمة العقلية أما الحاسوب فيقتصر عمله على ما أدخل إليه من بيانات و لا يتحرك ميكروناً واحداً خارجها ..

❁ الحاسوب يجب ان يرتاح كل فترة و إلا عطب ، أما الدماغ البشري فيعمل باستمرار حتى خلال ساعات النوم و طوال عمر الإنسان .. !!

❁ الحاسوب يحتوي عدداً محدوداً من الدارات أما الدماغ البشري فيحتوي على **100** مليار خلية عصبية !!! و هذا بحد ذاته يعطينا نظرة سريعة شاملة لفرق الإمكانيات بينهما دون التطرق إلى أي نقطة أخرى ..

❁ العقل البشري يتمتع بخاصية **الخيال** الآني الذي يولّد

صوراً و معلومات جديدة من العدم قبل ارتداد الطرف فيخلق بيانات جديدة ، أما الحاسوب فهو مبرمج سلفا ببيانات ثابتة و لا يعرف معنى الخيال من الأساس .. هذا الخيال الذي مكن الإنسان عبر التاريخ من اكتشاف و اختراع كل جديد بما فيه الحاسوب نفسه ..

❁ **البرمجة الآنية** للدماغ للبيانات التي يستقبلها عبر الحواس ، في حين أن برمجة الحاسوب تستغرق شهوراً أو سنوات لهدف معين و على نطاق ضيق جداً ..

❁ الدماغ عدا عن الوظيفة المعرفية فهو يتحكم بعمل أجهزة الجسم كلها من حركة ، هضم ، طرح فضلات و غيرها ، أما الحاسوب فلا يعدو كونه جهازاً بدائياً من هذه الناحية لا يؤثر بما يحيط به أو يتفاعل معه حتى الان ، ووظيفته معرفية بحتة ..

❁ لم ينجح أي حاسوب رغم تطوره الهائل حتى الآن في **حل المسائل العلمية المعقدة** الرياضية أو الفيزيائية أو غيرها التي لم يعثر الانسان على حلها بعد ، في حين نجد أن الانسان مع الزمن يصل الى حلها تباعاً لتسقط واحدة تلو الاخرة باستخدام عقله الجبار فقط ..

❁ كل ما اكتشفه الانسان من أسرار الكون و الأرض بما فيها الحاسوب نفسه تم بواسطة العقل كآلة لا تتعب او تتوقف عن اتحافنا بالمزيد ، كما أننا جميعاً ندرك و نؤمن يقيناً بأنه طالما هنالك إنسان يعيش على وجه الارض فالاختراعات و

الاكتشافات لن تتوقف انطلاقاً من ثقتنا العمياء بإمكانيات العقل الهائلة .. أما الحاسوب فلو تركته إلى الأبد فلن يتغير أو يتطور أنملة من تلقاء نفسه ما لم يطوره الإنسان بعقله و يحدّث برمجته بمزيدٍ من البيانات الجديدة ..

و القائمة تطول كثيراً في المقارنة بين الصانع (**العقل**) و المصنوع (**الحاسوب**) لذا سأكتفي بما ذكر على سبيل المثال لا الحصر ، مع التأكيد على حقيقة علمية ثابتة و هي :

يستحيل على المخلوق أن يتفوق على الخالق

مهما فعل

ننتقل الآن إلى زاوية أخرى في مقاربتنا ، و هي حقيقة علمية مثبتة بأنّ أعظم عباقرة التاريخ **كأينشتاين** و **تسلا** و **دافنشي** و غيرهم لم يستخدموا أكثر من **5 %** من إمكانيات العقل المبهمة حتى اليوم كلغز حقيقي بالنسبة للبشر ..

و هذه النسبة الضئيلة هي التي اخترعت الحاسوب و غيره و تتفوق عليه بمسافات على قلتها ، فتخيل عزيزي القارئ لو أن الإنسان تمكن من استخدام **100 %** من إمكانياته العقلية ، ما الذي كان ليحدث ..؟! ربما تماهى الإنسان ساعتها مع خالقه (**المعرفة المطلقة و القدرة اللامحدودة**) أو كما يقال في المثل الشعبي (**الله لم يرَ لكنه عُرف بالعقل**) مما يؤكد أكثر أن هذه الهبة الربانية المجانية التي منحنا إياها الخالق هي الوسيلة للوصول إليه و الاتحاد بذاته (الروح العظيمة الأساسية التي انبثقت عنها أرواحنا جميعاً)..

و خير من تطرق إلى هذه الفكرة المذهلة هو فلم (**لوسي**) السينمائي للمثل المبدع **مورغان فريمان** .. و أنصح الجميع بحضوره و التمتع بطريقة تناوله الفريدة لهذه النقطة.

و ربما ستزداد هذه النسبة أكثر مع السنوات القادمة مع اكتشاف العلم لأسرار و وظائف الدماغ البشري أكثر فأكثر

إنّ هذا السر الخطير اكتشفه الرسام الإيطالي الفنان **مايكل أنجلو** منذ قرن و ضمنه كلغز في جداريته الشهيرة في **كنيسة السيستين في الفاتيكان** عندما رسم الإله على صورة العقل البشري كما يظهر في عملية التشريح ..

و من وحي هذه المعلومة الطبية الغريبة ننتقل إلى عالم الطب و نقارب بعض الحالات الطبية الفريدة التي تثبت وجود قدرات كامنة في الدماغ كما تحدثنا و تؤكد أن دماغ كل منا يحوي إمكانيات هائلة نائمة و قد تستيقظ في ظروف خاصة .. و سأكتفي بذكر حالتين من مجال عملي تعززان هذه النظرية :

◈ **متلازمة سافانت** (**الموهوب**) و هي حالة تحدث لبعض مرضى التوحد أو الأشخاص الذين تعرضوا لأذيات عصبية من نقص تروية أو نزوف ، و في هذه المتلازمة يتحول الشخص من إنسان عديم الموهبة في مجال معين من الحياة إلى عبقري فيه كالحساب أو الرسم أو الموسيقى ... إلخ ..

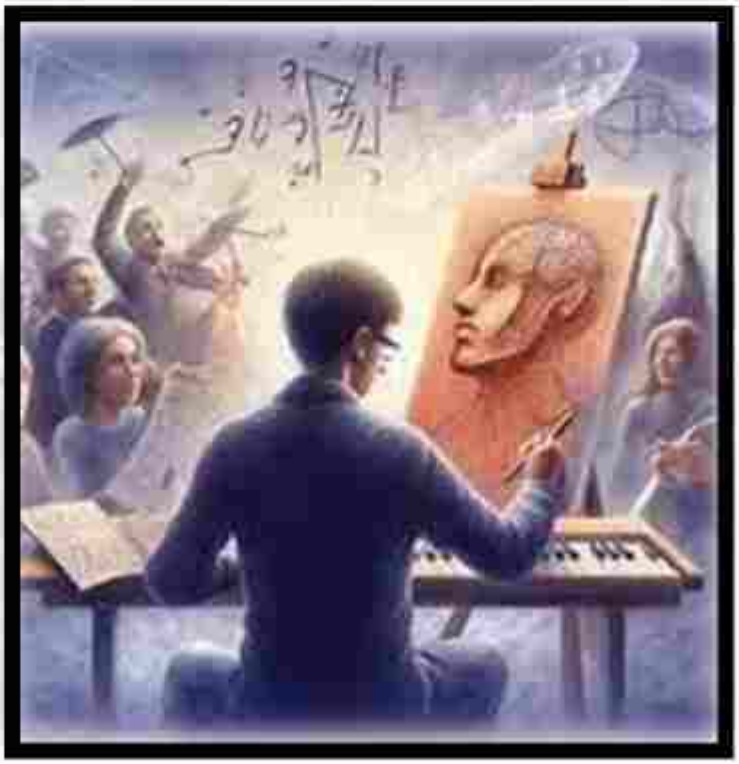

و خير مثال على هذه الحالة قصة الشاب الأمريكي **جون بادجيت** الذي كان تلميذاً فاشلاً في المدرسة **يكره الرياضيات للغاية** ، لكنه تعرض ذات يوم لحادث اعتداء و ضُرب على رأسه ، الأمر الذي غير حياته جذرياً إذ أصابه بهذه المتلازمة ليصبح **نابغة في الرياضيات** بين ليلةٍ و ضحاها .. مما يؤكد أن هذه الإمكانيات كانت موجودة بالأساس في دماغه لكنه لم يعرف الطريق لاستثمارها ..

◈ **متلازمة فرط الاستذكار** ، و في هذه الحالة يستطيع المريض تذكر كل تفصيل من حياته السابقة مهما كان صغيراً أو بعيداً لعقود خلت من عمره .. فهل هنالك بالله عليك عزيزي القارئ حاسوب على وجه الأرض قادر على القيام بذلك ؟!

في تجربة علمية مذهلة تفجّر العقول ، قام كل من **فرانكو فازا** *عالم الفيزياء الفلكية* في جامعة بولونيا الإيطالية ، و**ألبرتو فيليتي** *جراح الأعصاب* في جامعة فيرونا الإيطالية بإجراء مقارنة بين **الشبكتين الكونية و العصبية** في الدماغ ، لتظهر لهما أوجه تشابه مفاجئة كثيرة بينهما ..

❁ الدماغ البشري يعمل بفضل شبكته العصبية الواسعة التي تحتوي على ما يقارب **100** مليار خلية عصبية، كذلك الأمر يتكون الكون المرئي من شبكة كونية من **100** مليار مجرة

على الأقل ..

❁ داخل كلا النظامين تتكون **30%** فقط من كتلة الشبكتين من مجرات وخلايا عصبية، في حين يتكون **70%** من توزيع الكتلة أو الطاقة من مكونات تلعب على ما يبدو دورا سلبياً ، الماء في الدماغ والمادة و الطاقة المظلمة في الكون المرئي ..

❁ ليس ذلك فحسب بل أن تراتب المجرات والخلايا العصبية هو نفسه في خيوط طويلة مع عقد بين الخيوط ..

❁ أخيراً تبين أن الكثافة الطيفية متشابهة بين الشبكتين ..

و كأن الكون برمته عبارة عن دماغ عملاق بحد ذاته !!

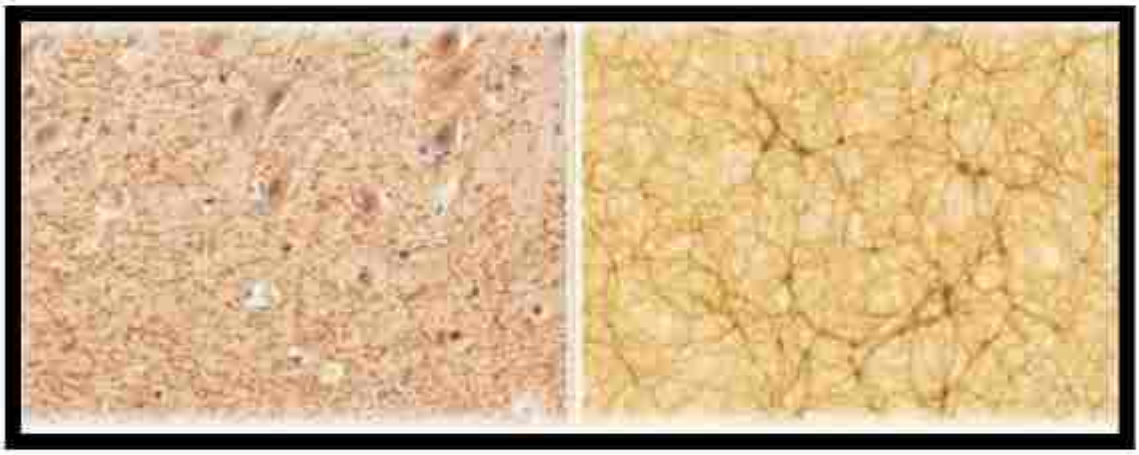

مما يقودنا إلى البيت الشعري التالي لكبير الفلاسفة الإمام علي بن أبي طالب و هو يخاطب الإنسان فيقول :

و تزعم أنك جرمٌ صغير

و فيك انطوى العالم الأكبر

سبحان الله ، و بعد ذلك كله يأتي أحدهم ليقول : الحاسوب الذي

صنعه العقل البشري أفضل من هذا العقل بكثير !!!

*****

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الجديدة (**العقل و الحاسوب**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= العقل البشري يعجز عن حساب ناتج ضرب رياضي بسيط

فكيف نقارنه بالحاسوب الذي يجري أعقد الحسابات بلمح البصر ؟

بل أن نقول:

= **أولاً** العقل البشري يتفوق على الحاسوب من نقاط كثيرة ليس أقلها أنه هو بنفسه من صمم الحاسوب و جعله موجوداً ،

و **ثانياً** إمكانيات العقل البشري ليست محدودة بما يستطيع الإنسان استثماره منها ، بل بالإمكانيات المطلقة النائمة في عقولنا و التي ربما تستيقظ في أي لحظة لسببٍ ما كما يحدث في بعض الأمراض ، أو مع تطور العلم و اكتشاف بنية و وظيفة كل أجزاء الدماغ البشري قاطبةً ..

العقل هبة إلهية عظيمة و مجانية منحنا إياها الخالق دون مقابل ، كأمانة في أعناقنا علينا أن نحسن استخدامها لتعلم كل جديد ، و اكتشاف الكون و اختراع ما يحسن حيواتنا نحو الأفضل لذا علينا استخدامها لا رميها على رفوف جماجمنا كتحفة للزينة فحسب .. و الأهم أن نستخدمها من أجل الخير و صالح الأفكار و الأقوال و الأعمال ..

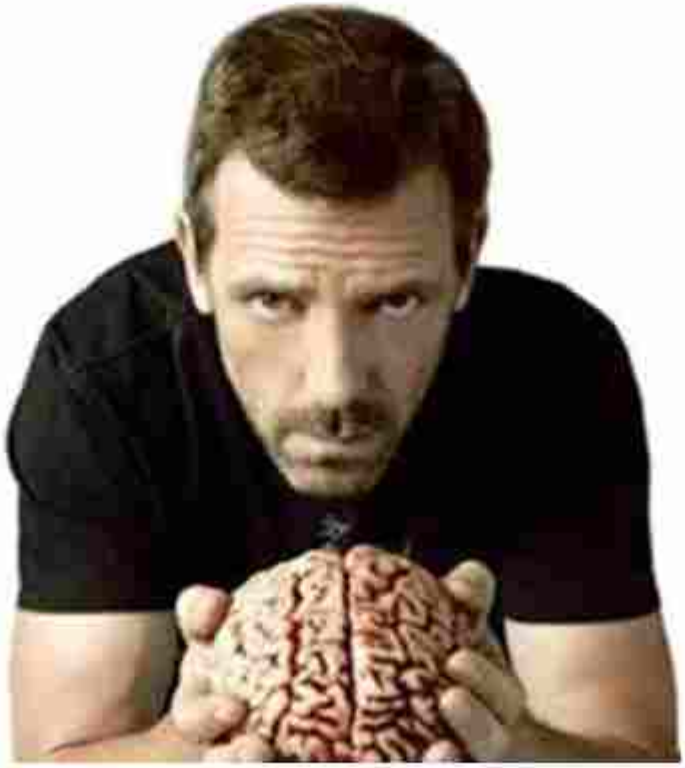

كي نكون بحق خليفة الله (العقل الأعظم) في الأرض ، كما قال سبحانه :

(إني جاعلٌ في الأرض خليفة ليعمرها)

مغالطة الأديان صناعة بشرية

(الإله إيل و الديانة الميترائية)

= هل ستذهب معنا في رحلتنا خلال العطلة القادمة يا ادوارد ؟

= لا .. الأحد هو عيد القيامة و ينبغي أن أحضر القداس ..

= التزامك الديني المتشدد هذا غريب و مزعج ..

= لكل منا حرية المعتقد يا صديقي .. هل أتدخل في إلحادك؟

= ليس الموضوع هكذا ، لكن ما يسمى تجاوزاً بالأديان السماوية ليست سوى صنيعة بشرية للسيطرة على البشر و التوسع الجغرافي ، إنه أمر واضح لطفلٍ صغير ..

= و ما دليلك على ذلك أيها العجوز المحنك ؟

= أداة كثيرة ، فالأديان السماوية مثلاً اشتقت مبادئها من أديان أرضية سابقة ، كما نجد أن اليهودية مختلفة مع المسيحية ، و المسيحية مختلفة مع الإسلام في نقاط جوهرية ، فكيف يكون مصدرهم واحد و نجد كل هذا الشقاق بينها ؟

= أولا من الطبيعي أن تتشابه مبادئ جميع الديانات مع بعضها فملهمها واحد و هو الله و الأخلاق لا تتجزأ ، أما موضوع الخلافات بين الأديان السماوية فلا دليل ينفي بأنها خلافات من صنيعة بشرية لخدمة مصالح بعض الحكام و رجال الدين ، و لا تنس يا صديقي أن ما يجمعها ببعض أكثر بكثير مما يفرقها ، فلماذا تصمم على رؤية الربع الفارغ من الكأس ؟! للكون خالق و هذه هي الحقيقة الثابتة الأهم ، ما بقي مجرد تفاصيل يكمن فيها الشيطان بالفعل ،

فقد تلاعبت بها عقول شيطانية عبر التاريخ ، لذا لا تهمني أبداً ..

*****

كثيرا ما دار هذا الحوار الوجيز و الهام بين ملحد و متدين عبر سنين التاريخ .. و في الحقيقة للملحد أدلة لا يمكن تجاهلها أو المرور بها مرور الكرام ، كما أن للمتدين براهين لا تدحض بدوره ، مما يخلق لدينا مغالطة حقيقية كي نقاربها الآن من جديد ، و هي مغالطة (**الأديان صناعة بشرية**) ، و بالطبع سؤالها الشهير:

(هل بالفعل مصدر الأديان السماوية هو السماء أم أنها اختراع بشري أخذ عما سبقه ثم أضاف بعض الجديد أو غير بعض التفاصيل ؟ ما الأدلة و البراهين التي تحسم الجدل بين الفرضيتين ؟)

سنتناول الجواب على هذا السؤال الهام من زاوية كل من الملحد و المتدين لنرى أخيراً أيهما أكثر منطقية من الآخر ..

◈ **زاوية الإنسان الملحد** : و هي تقوم على عدة مبادئ سأذكر أهمها فقط ..

❁ التشابه الكبير بين مبادئ بعض الديانات البشرية التي سبقت الأديان السماوية بفترة طويلة و مبادئ الأخيرة .. في الحقيقة هذا البند يحتوي على قائمة تطول بالدلائل و ربما احتاجت كتاباً خاصاً بها ، لكن التشابه الأبرز يتضمن :

= قصة الخلق .. و الأفعى و المعرفة ..

= الطوفان العظيم ..

= الجنة و النار ..

= البرزخ بين الدنيا و الآخرة الذي يفصل فيه المؤمنون عن الكافرين ..

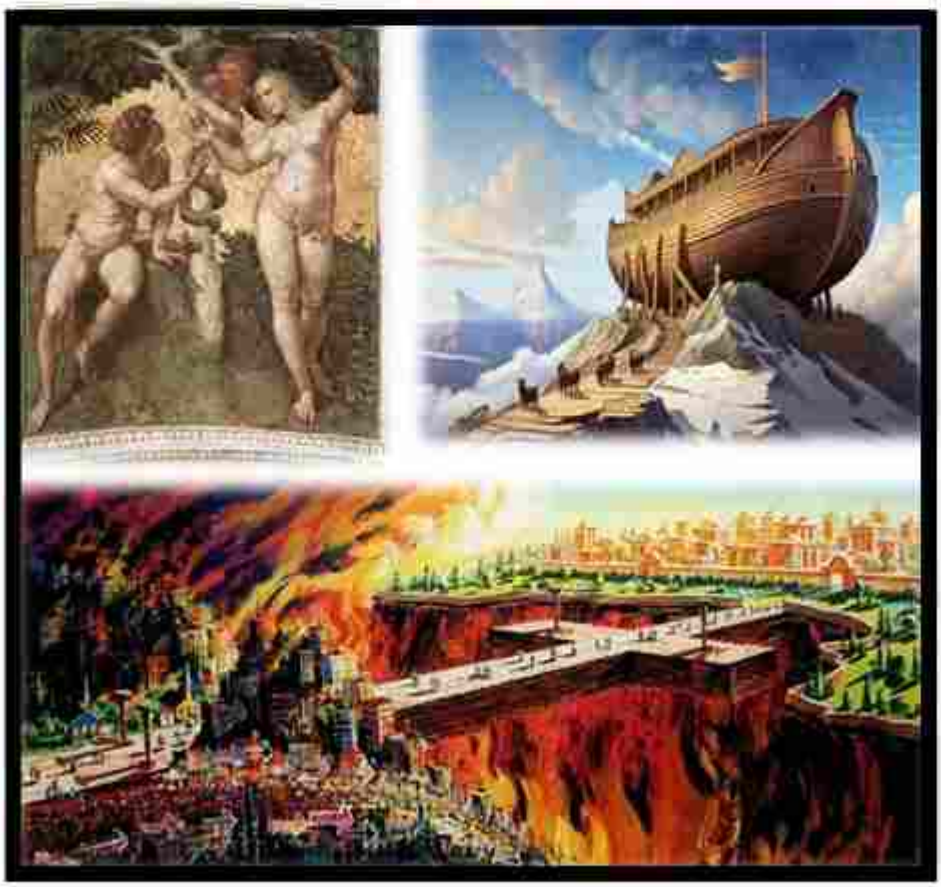

= الحور العين التي تنتظر المؤمنين كمكافأة في الجنة ..

= التشابه بين قصة بعض الرموز الدينية القديمة و قصص بعض الأنبياء ، كقصة طوفان نوح كما ذكرنا ، و قصة زاردشت النبي الأوحد للإله الأوحد (**أهورا مازدا**) حسب الديانة الزاردشتية الذي يقال أنه رمي في النار و لم يتأثر كقصة النبي إبراهيم تماماً ..

❁ التشابه الكبير بين مبادئ الديانة اليهودية و الأساطير البابلية القديمة و سأكتفي بذكر بندين يلفتان الانتباه بقوة ..

= التشابه الحرفي بين نصوص ملحمة جلجامش القديمة المكتشفة و بعض نصوص التوراة .. فكيف حدث ذلك ؟

= اسم إله اليهود : بابل كان اسمها الأكادي هو **باب-ايليم** ، و هو مكون من مقطعين (باب) والتي تعني ايضا باب ومقطع (**إيل**) والتي تعني الله أو الإله وبذلك يكون معناها **باب الله** . ولا نزال جميعاً نستخدم هذه الكلمة عندما نسأل عن شخص في عمله فيكون رد عائلته انه خرج (على باب الله) اي طالباً الرزق ..

فإيل هي كلمة سومرية معناها الله، ويقال (إيلو) أحياناً ، و قد أخذ اليهود من السومريين الاسم والمعنى لكلمة (إيل) بالكامل .. فقد كان يُعرف الله عند اليهود بهذه الكلمة قبل أن يتحول إلى **يهوه** .. كما استخدم هذا الاسم لدى اليهود في تسمية المقدسات والأماكن والأشخاص أيضاً، فيضعه اليهود إما في آخر الكلمة أو في أولها، كالتالي:

- **اسرائيل** : أي، الذي جاهد مع الله.
- **ميخائيل** : أي، من مثل الله.
- **جبرائيل** : رجل الله.
- **بيت إيل** : أي، بيت الله.
- **إيليداع** : أي، من يعرف الله.
- **إيليعازر** : أي، الله المعين.

لكن بعد ذلك بفترة من الزمن شاع عندهم إسم (**يهوه**)، وهو رب اليهود الذي يرعاهم .. وهي أيضاً كلمة سومرية

الأصل في الواقع ، فقد آمن السومريين أن الإله (**آن**) هو رب العالم بأكمله، و رب الناس أجمعين ، أما الإله (**انليل**) أو إيل فهو رب السومريين حصراً ، و كانت إحدى رموز إنليل هي (**الحمامة السماوية**) التي تسمى عند السومريين (**أياهو**)، وقد أخذ اليهود من السومريين ذلك الرمز و اختاروا أن يكون هو إلههم (يهوه) فأصبح الإله القومي الذي يرعى بني إسرائيل ويفضلهم على العالمين جميعاً .. كما كان يفعل انليل مع السومريين..

ومن الجدير بالذكر ان صفات يهوه كما جاءت في التوراة هي نفسها صفات إنليل التي اكتشفها الباحثون على الرقم الحجرية..

❁ التشابه الكبير بين مبادئ الديانة المسيحية و مبادئ ديانات سابقة لها و خاصة **الديانة الميثرائية** و هي ديانة رومانية باطنية سرية ظهرت في القرن **1** قبل ميلاد المسيح في روما بحسب أغلب الدراسات ، و في الاصل تعود لعبادة الاله **ميثرا** (إله النور و الحرب) في بلاد فارس ثم مزجت بالفلسفة الإغريقية لاحقا ..

جوهر هذه العقيدة هو طلب إله الشمس من ابنه ميثرا أن يضحي بثور ففعل ذلك و من جسد الثور القتيل نشأت الحياة في الكون، و قد انتهت هذه الديانة في القرن **4** ميلادي باعتناق الامبراطور **قسطنطين** للمسيحية فأجهز عليها نهائياً

أما أوجه التشابه الغريبة بينها و بين الديانة المسيحية فتتمثل في النقاط التالية :

■ ولادة الاله (ميثرا) ابن اله الشمس بشكل اعجازي في **25** كانون الأول و هو يوم مولد يسوع المسيح ..

= ظهور نجم في السماء يقود المجوس الى المخلص ميثرا كما ينص الإنجيل بالضبط ..

■ مات ميثرا و رفع الى أبيه في السماء بعد أن أكل الخبز و

شرب الخمر في عشائه الأخير، و لا يخفى عليك عزيزي القارئ أن هذه كانت نهاية يسوع المسيح !!

■ سيظهر ميثرا مرة أخرى في نهاية الزمان لتخليص البشرية كما تقول نصوص المسيحية بخصوص المسيح ..

■ طقوس التعميد الشهيرة في المسيحية كانت مشهورة أيضاً بين أتباع الديانة الميثرائية ..

❁ تتلمذ رسول الإسلام محمد على يد كهنة مسيحيين قبل بعثته **كالراهب بحيرة** من بصرى الشام مثلاً كما يقول

المسيحيون و كما يتقاطع مع السيرة النبوية في مفاصل كثيرة ، و لا يخفى عنا تشابه قصص الأنبياء في القرآن مع قصصهم في الإنجيل و التوراة ..

❁ الاختلافات الجوهرية بين الأديان السماوية ، كيف **يمكن** تفسيرها إن كان الإله الذي شرّعها واحد ، و مثال ذلك :

- لا يعترف اليهود بأنبياء بعد أنبياء بني إسرائيل ، أي لا تؤمن بنبوة (أو ألوهية) المسيح أو محمد ..
- لا يعترف المسيحيون بالإسلام ..
- يرفض الإسلام فكرة ألوهية يسوع و قصة صلبه ..

◈ **زاوية الإنسان المتدين** : و فيها يدافع المتدين عن قناعاته عبر نقاط كثيرة سأورد أهمها ..

❁ أولاً كل شيء في الكون يثبت وجود خالق له ، و المنطق يقتضي أن يبلغ هذا الخالق تعاليمه للبشر عبر وسيط

كالأنبياء و الرسل ..

❁ التشابه بين الأديان السماوية و حتى مع الديانات الأرضية منطقي لأن ملهم البشر واحد و هو الله ..

❁ الاختلافات بين الأديان السماوية ربما كانت صناعة بشرية بحد ذاتها خدمة لمصالح بعض الحكام و رجال الدين لغايات مادية أو سياسية أو عقائدية أو عسكرية .. إلخ ..

❁ لابد من وجود اختلافات بين الأديان السماوية و إلا لما كان هنالك من فرق بينها أو من داعٍ لإنزال عدة ديانات ، فيمكن للخالق أن يكتفي بديانة واحدة لجميع البشر.

❁ أوجه التشابه بين جوهر الأديان السماوية كثيرة ، بل تكاد تكون متطابقة من حيث الوصايا العشر ، المبادئ الأخلاقية الموحدة ، قصة الخلق ، قصص الأنبياء و توصيف الآخرة و الحساب و من ثم الجنة و النار ..

❁ الاختلاف الأكبر بين الأديان هو بالطقوس و هذا أمر طبيعي لإضفاء صبغة خاصة لكن دين ..

❁ لو كانت الأديان السماوية صناعة بشرية لما تمكنت من الانتشار الهائل في العالم و لقرون طويلة و إقناع المليارات بمبادئها .. فكثير من الأديان الأرضية انقرض أو انكمش في أحسن الأحوال ..

❁ موضوع التشابه بين الأساطير البابلية و الديانة اليهودية ، و أيضاً بين الديانة الميثرائية و الديانة المسيحية ، و أخيراً

الإسلام و ما سبقه هو دليل و إثبات بحد ذاته على هشاشته .. فالناس ليسوا أغبياء و إن كانت هذه الأديان قد تمت بطريقة النسخ و اللصق البسيطة هذه للفت ذلك انتباه العامة و وعيهم فرفضوه من أساسه كونه ليس بجديد بل دين مسروق عما سبقه ..

❁ البند الأهم : لو كانت الأديان السماوية صناعة بشرية فمن

المنطقي أن يسلك صناعها (الأنبياء) إحدى سياستين حتميتين :

- إما الاختلاف الجذري عن جوهر العقيدة السابقة منذ الخلق إلى الحياة الدنيا انتهاءً بالحساب لكي ينسف كل دين ما سبقه و يستحوذ على أتباعه ..
- أو المحافظة على أسس العقائد السابقة ، فالاختلافات الجوهرية في أهم النقاط بين الأديان هي سياسة ساذجة و فاشلة بكل بساطة لو كانت صناعة بشرية ، فماذا يستفيد محمد من الطعن بقصة صلب المسيح و قيامته سوى تنفير أتباع المسيح من الإسلام .. رجل عبقري كمحمد تمكن من إقناع الملايين تفوته هذه الفكرة التي لا تمر على طفل صغير !! لو أراد محمد خداع الناس بالفعل لثبّت مثلاً كل ما جاء به من سبقه من أنبياء حرفياً كي يقنع أتباعهم ثم أضاف أموراً بسيطة جديدة كنوع من التغيير أو التطوير ..

بغض النظر عن وجهة نظري الشخصية كإنسان مؤمن بالله و بأنبيائه و دياناتهم و أترفع عن خلافات بسيطة معدودة بينها لها ما يفسرها عبر التاريخ كمصالح بشرية .. فإنني لن أفاضل بين الزاويتين السابقتين سواءً الملحد أو المتدين ، و أترك لك عزيزي القارئ هذه المهمة كي تخرج بها بقناعتك الخاصة فأنا مؤمن تماماً أيضاً بوعيك و حكمتك و محاكمتك المنطقية ، فلكل منا عقل هبة من الله (**كنبي صالح لكل زمان و مكان**) يدله إلى الحقيقة و الصراط المستقيم ..

*****

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الحساسة (**الأديان صناعة بشرية**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أنا (كملحد أو متدين) أحتكر الفكر الصحيح ..

بل أن نقول :

= لكل منا وجهة نظر منطقية لم تأتِ من فراغ ، كما أنّ لكل منا عقله المتنور يستخدمه كما يشاء ليعتقد ما يشاء .. كما قال بوذا الحكيم :

(اعبد الحجر لو شئت ، لكن لا ترجمني به)

و أخيراً أعتقد من وجهة نظر شخصية أن ما يهم بالفعل هو فكرة وجود خالق لنا جميعاً ، أمرنا باتباع الأخلاق الحميدة عبر الوصايا العشر مثلاً المشتركة بين جميع الأديان كي نهذب نفوسنا و نرتقي بأرواحنا كي تليق بها الحياة الأبدية في العالم الآخر بعد الموت .. الباقي تفاصيل لن تغير من هذه الحقيقة ، فلنركز على ما يجمعنا لا ما يفرقنا ..

الشفرة الكونية ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة المتوالية الهندسية (أنا و الساعة كهاتين)
- مغالطة الشفرة الكونية (النسبة الإلهية فاي)
- مغالطة الإشباع و بداية الضياع (الكون 25)
- مغالطة العبقرية الكئيبة (ذو العقل يشقى)
- مغالطة تعدد الآلهة (فإنك شمس و الملوك كواكب)
- مغالطة الحياة لا تتكرر (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)
- مغالطة القرآن البدوي (دمى الماتريوشكا)
- مغالطة القرآن بيد فنان (أسرار دافنشي)
- مغالطة الكؤوس الملونة (لا تحكم على الكتاب من غلافه)
- مغالطة علم الغيب (رؤية زرقاء اليمامة و رؤيا نوستراداموس)
- مغالطة خوارزمية الله (الرسم بلونين)
- مغالطة مارد الفانوس (عندما ينقلب السحر على الساحر)
- مغالطة قيمة الجرس برنته (الخُلق سرّ الخَلق)
- مغالطة الصبغي X (ضلع حواء و الفخّ الذهبي)
- مغالطة حقل الألغام (بثماني أضعاف الطلقة)
- مغالطة التطور (للعلم وجه وحيد و للنص الديني أوجه عدة)
- مغالطة فوبيا الإسلام (النص و الإخراج و التمثيل)
- مغالطة أسرع من الضوء (أسطورة التكيونات)
- مغالطة خارج الصندوق (العقدة الغوردية)
- مغالطة العلاقة السامة (وتد دراكولا)
- مغالطة البارانويا (نظريات المؤامرة)
- مغالطة الصدفة (السماء لا تلعب النرد)
- مغالطة العقل و الحاسوب (و فيك انطوى العالم الأكبر)
- مغالطة الأديان صناعة بشرية (الإله إيل و الديانة الميثرائية)